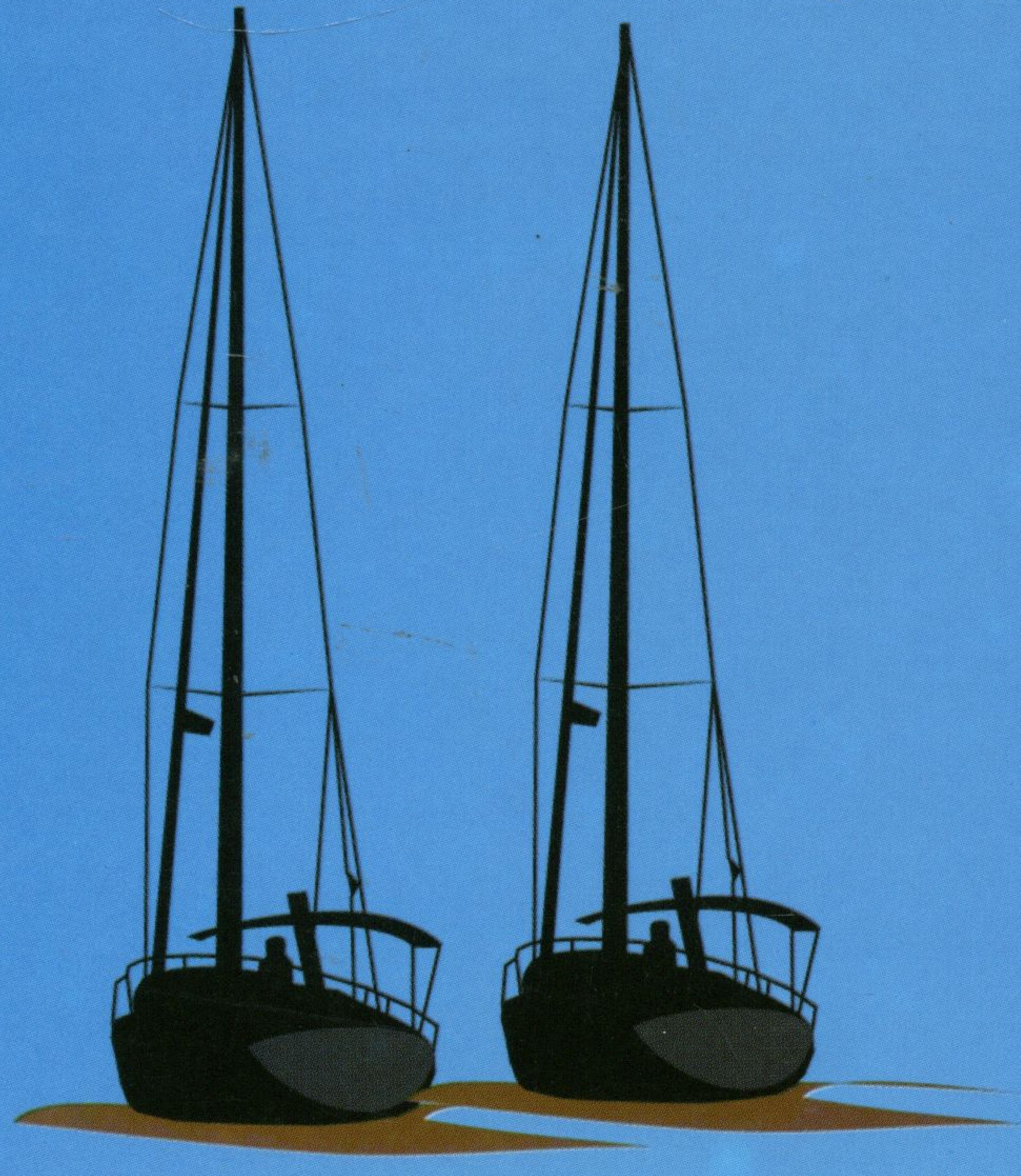
علوم الأرض

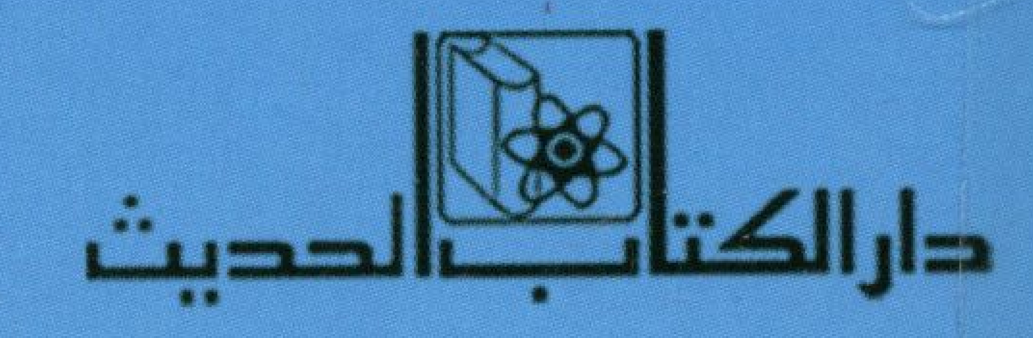
دراسات فى التعدين وجغرافية السكان

عيذاب

دراسة تاريخية وجغرافية جيولوجية لثغر عيــــذاب على البحر الأحمر

إعداد أ.د محمد رجائي جودة الطحلاوى





علوم الأرض

دراسات فى التعدين وجغرافية السكان

عَيْذَاب

دراسة تاريخية جغرافية جيولوجية لثغرعلي البحر الأحمرازدهر ثم اندثر

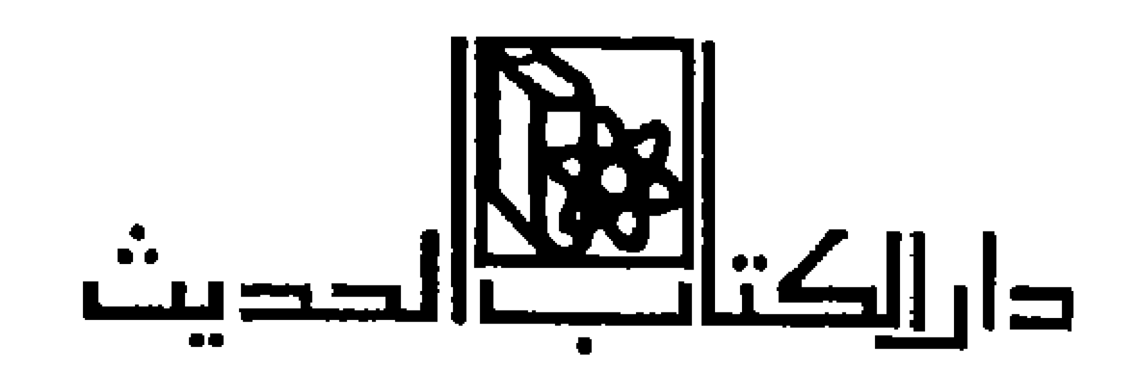
أعظم مراسي الدنيا في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

إعداد

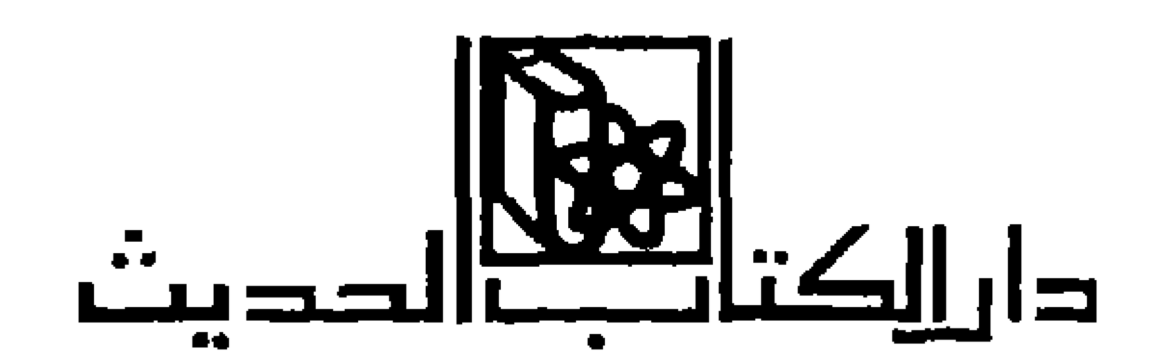
أ. د. محمد رجائي جودة الطحلاوي

رئيس جامعة أسيوط الأسبق

ومحافظ أسيوط الأسبق



1431 هـ / 2010 م



القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هـاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، بـرج الصـديق ص.ب : 22754 – 13088 الصـفاه هـاتف رقـم 2460634 (965 00) فـاكس رقـم : 2460628 (965 00) بريـد إلكترونـي : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail dk.hadith@yahoo.fr

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿15﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ[1] وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ[2] وَأَثْلٍ[3] وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ[4] قَلِيلٍ ﴿16﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿17﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿18﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿19﴾

صدق الله العظيم

(سورة سبأ)

---

[1] سيل العرم: السيل الذي لا يطاق، وقيل هو اسم وادٍ، وقيل هو المطر الشديد (مختار الصحاح).

[2] خَمْطٍ: كل نبت أخذ طعمًا من المرارة أو الحموضة وتعافه النفس، وقيل أنه ثمر كل شجر ذي شوك (النباتات ، ص 29)، ويقال في "لسان العرب" والقاموس المحيط ضربٌ من الأراك له حَمْل يؤكل.

[3] الأَثْل: شجر طويل مستقيم ، أغصانه كثيرة التعقد وورقه دقيق وثمره حب أحمر لا يُؤكل.

[4] سِدْر: شجرة النبق.

إهداء

إلي العالم الجليل

الأستاذ الجيولوجي/محمد سميح عافية

مؤرخ التعدين في الوطن العربي

شكر واجب

تعجز الكلمات عن أن تفي الإخوة الزملاء والأصدقاء حقهم جزاء ما قدموا لي من عون غير محدود وما زودوني به من معلومات عن واحدة من أهم المناطق في تاريخ مصر الإسلامي الوسيط والتي لعبت دورًا كبيرًا كطريق للحج إلي الأرض المقدسة بالجزيرة العربية عندما أغلق الصليبيون الطريق البري عبر شبه جزيرة سيناء. وإن كنت لا أود أن أختص أحدًا بالشكر لأن الجميع كانوا علي قدر كبير من العطاء والتفاني، إلا إنني أجد لزامًا عليّ أن أشكر صديقي وزميل الدراسة الدكتور رودي هني (Rüdy Hänny) الأستاذ بجامعة بازل السويسرية والذي لولا جهوده وما زودني به من معلومات ما كان لهذا العملِ المتواضع أن يري النور، فقد أقام بيني وبين مكتبة جامعة بازل العريقة والحافلة بالمراجع النادرة القيمة، جسرًا الكترونيًا كان خير معين لي في إتمام هذا الكتاب.

وقد آثرت أن أشكر كل من عاونني وفقًا لترتيب أسماء البدو بالحروف الأبجدية، وأدعو الله ألا يكون قد غاب عني اسم واحد منهم:

- د. أحمد محمد السيد الزاملي، الأستاذ بقسم الجغرافيا بكلية الآداب، جامعة القاهرة.
- د. أحمد عاطف دردير، رئيس هيئة المساحة الجيولوجية المصرية الأسبق.
- الجيولوجي / أحمد نور مدير عام مركز المعلومات بالهيئة المصرية العامة للثروة المعدنية.
- الأستاذ / السيد عبد الله هميمي من رجال التعليم بمحافظة قنا.
- د. السيد همام، أستاذ اللغة الألمانية المساعد بكلية الدراسات والترجمة للبنات، جامعة الأزهر بأسيوط.
- د. الخضر عبد الرحيم أحمد، أستاذ بجامعة أم درمان بالسودان.

- د. حافظ شمس الدين عبد الوهاب، الأستاذ بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم، جامعة عين شمس بالقاهرة.
- المهندس / حسين إدريس، خبير هيدروجيولوجي، الرئيس الأسبق لشركة رِجْوا لحفر الآبار.
- د. حسين حمودة محمد، رئيس الهيئة المصرية العامة للثروة المعدنية الأسبق.
- د. خليفة عويس، رئيس الإدارة المركزية للمساحة الجيولوجية المصرية الأسبق.
- د. زكريا السيد هميمي، الأستاذ بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم، جامعة الزقازيق.
- د. زينهم الألفي، رئيس مجلس إدارة شركة حمش للذهب بمصر.
- السيد / صابر أحمد قناوي، صديق العمر، مفتش العلوم الأسبق بمحافظة أسوان.
- د. عبد العزيز عبد القادر، المدير العام الأسبق بهيئة المساحة الجيولوجية المصرية.
- د. عبد الغني زيدان، الأستاذ بقسم الجغرافيا بكلية الآداب، جامعة القاهرة.
- المهندس / عصام أبو زيد، مدير وحدة الصيانة والدعم الفني والشبكات بالهيئة المصرية العامة للثروة المعدنية.
- د. عماد رمزي فيليبس، الأستاذ بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم، جامعة أسيوط.
- المحاسب / فتحي فضل، مدير البنك الأهلي الأسبق بأسيوط
- د. فريال مرسي البديوي، الأستاذ غير المتفرغ بقسم علوم البيئة بكلية العلوم بدمياط، جامعة المنصورة.

- د. قدري عمارة، الأستاذ بكلية الزراعة، جامعة أسيوط.
- السيد / الأخصائي محمد البهنساوي، أمين نقابة البصريين بمصر
- الجيولوجي / محمد سميح عافية، الخبير الجيولوجي والمدير العام الأسبق بهيئة المساحة الجيولوجية.
- الأستاذ / محمد محمود أحمد السيد، أخصائي حاسبات آلية، الهيئة المصرية العامة للثروة المعدنية.
- د. محمد عبد الحميد الشرقاوي، الأستاذ بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم، جامعة القاهرة.
- د. محمد محمود عابد، الأستاذ بقسم الجيولوجيا بكلية العلوم، جامعة المنصورة.
- السيد / محمود عبد الغني مدير المعاشات الأسبق بجامعة أسيوط.

سوف يظل إسهامهم في تزويد هذا الكتاب بالمراجع والمعلومات القيمة دينًا في عنقي لن أنساه مدي الحياة. والحمد لله من قبل ومن بعد.

محمد رجائي جودة الطحلاوى .

المقدمة

وما مِن كاتِــبٍ إلا سَيفنَى ****** ويَبقي الدَهرُ ما كَتَبَــتْ يَداه

فلا تكتُبْ بكفِّكِ غيرَ شيءٍ ****** يَسُرُّك في القِيامةِ أنْ تَــرَاه

(جميلة حسن)

يقع ميناء عَيْذاب[5] في أقصي جنوب الصحراء الشرقية[6] علي شاطئ البحر الأحمر في أراضي جمهورية مصر العربية علي بعد 24 كيلومتــرًا (14 ميلاً) إلي الشمـــال من قرية حلايب[7]، وإحداثياتـــــه: شمال "51 '19 °22 - وشرق "25 '29 °36 (شكل 0–1). لم يتبق من عَيْذاب الآن سوي عدد قليل من الروابي وأطلال تدل علي صهريجين لتخزين الماء وقطع متناثرة من الفخار والزجاج والخزف الصيني.

لا يوجد في المراجع أي معلومات عن نشأة ميناء عيذاب، ولكن المؤرخين يرجحون أن الميناء نشأ في الغالب في أواخر القرن العاشر الميلادي،

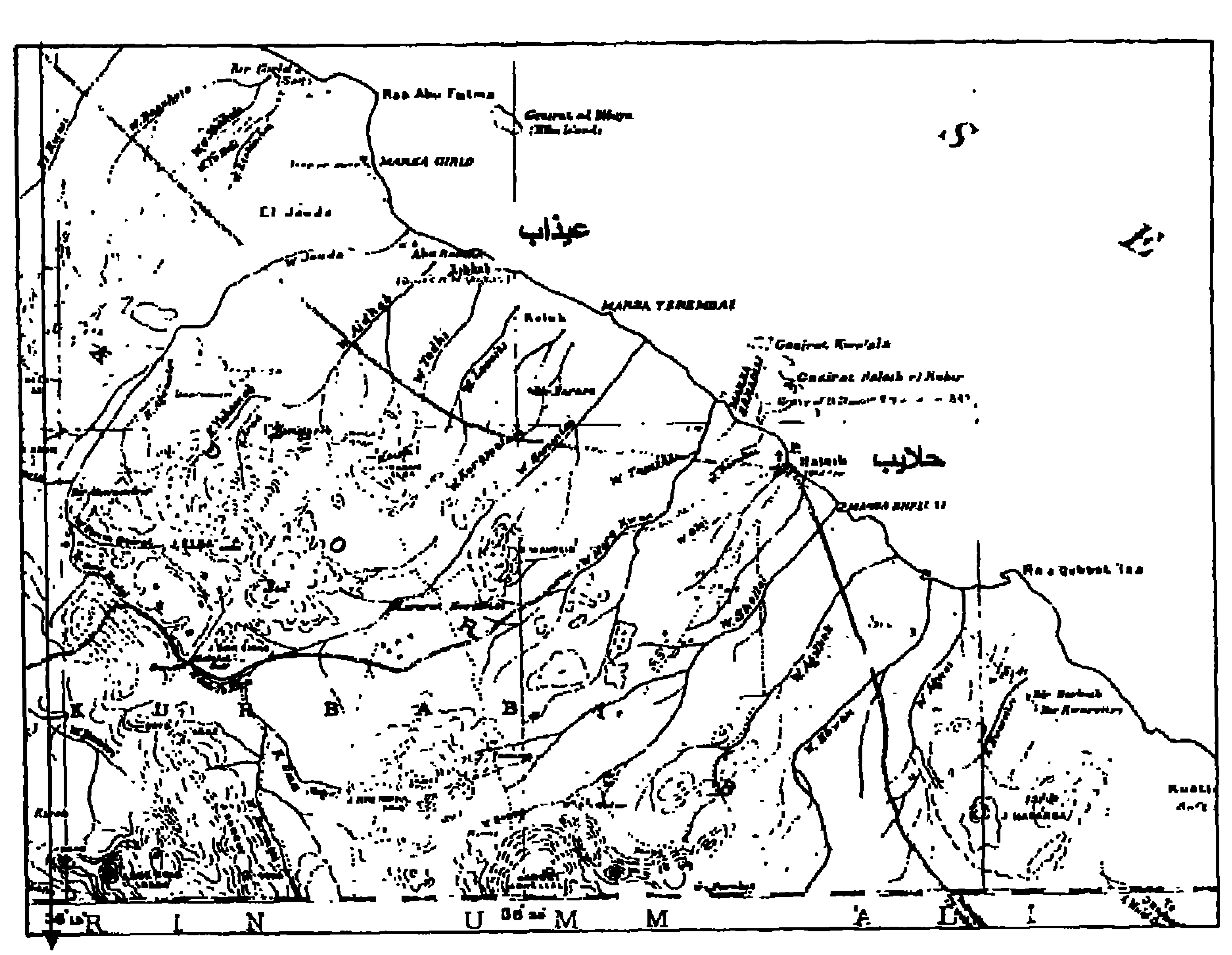
---

[5] كان الميناء يسمي أيضا سواكن القديمة.

[6] لم تكن الصحراء الشرقية الجنوبية بقعة جرداء كما هي الآن!! إنما كانت وديانًا وجبالاً وسهولاً خصبة، وكان وادي عيذاب حافلا بالخضرة اليانعة وأطيب الثمار ويطل على جبل علبة الذى تكسو سفوحه الخضرة وشتى أنواع النبات والأشجار المورقة الكثيفة العالية، وتحيط به غلالة بيضاء من الضباب الأبيض، كأنه نور يشع حتى أطلقوا عليه (الجبل الأبيض) أو الجبل المقدس واستمرت قداسته في الديانة الفرعونية القديمة فلقبت الصحراء الشرقية الجنوبية (ببلاد الآلهة) وكانت تتساب من قمم جبل علبة المقدسة المياه العذبة إلى الوادي، ولذلك سمي وادي عيذاب، ومن الأقاويل أيضا أنه نظرًا لكثافة الأشجار والغابات حيث لا يقدر أحد من البشر أن ينفذ منها لداخل الغابة تم التسمية بعيذاب نسبة لعذاب من يحاول الدخول الى الغابة.

[7] حلايب: قرية ساحلية صغيرة على الحدود مع السودان استمدت اسمها من الشيخ «محمد علي حلايب» والذي استوطن المنطقة مع أهله وعياله وأحفاده؛ وهناك رأي آخر يتبناه الإخوة السودانيون أن معنى اسم (حلايب) حسب اللغة البجاوية التي يتحدث بها سكان المنطقة من البشاريين وغيرهم من قبائل البجا وهي كلمة (أولايب) أي ثمار الأشجار التي تأكلها الإبل التي اشتهر البشاريون بتربيتها والتي تعد من أفضل أنواع الإبل في السودان بل الوطن العربي كله.

وكانت الموانى الرئيسية في البحر الأحمر – كما سيجيء ذكر ذلك لاحقًا – تتغير تبعًا لتغير الظروف السياسية في الشرق الأوسط، وكانت هناك بعض الموانى التي قامت بأدوار ثانوية بجانب الموانى الرئيسية لمعاونتها في جمع المكوس. وقد تضاربت أقوال من كتب عن عيذاب من الأوربيين، فمنهم من افترض أنها احدي الميناءين القديمين برنيس وميوس هرمس اللذين كانا علي الشاطئ الغربي للبحر الأحمر منذ عهد البطالسة ومنهم من ظن أنها حلايب...الخ.



شكل (0-1): لوحة حلايب: جنوب شرق مصر، مصلحة المساحة المصرية، 1935م، مصر.

يقول «ياقوت الحموي»[8] في معجم البلدان: (عيذاب: بالفتح ثم السكون وذال معجمة، وآخره باء موحدة: بُليدة علي ضفة بحر القُلزم[9] هي مرسي المراكب التي تقدم من عَدَن[10] إلي الصعيد). يُعرف أهلها الساكنون بها بالبجاة، ولهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها، وربما وصل في بعض الأحيان واجتمع بالوالي الذي فيها من الغز إظهارًا للطاعة، والفوائد كلها للوالي إلا البعض منها (ابن جبير الأندلسي[11]).

كانت مدينة عَيْذَاب في زمانها من أهم وأحسن الموانى المعروفة في الشرق الأوسط، فقد كانت تستقبل التوابل من الهند والخزف والسلادون[12] والحرير من الشرق الأقصى وقد جاء ذكرها في كثير من كتابات الجغرافيين العرب، وبعضهم زارها مثل «ابن جبير الأندلسي» و«ابن بطوطة الطنجي[13]» والرحالة الفارسي «ناصر خسرو[14]»، ومعظم ما جاء في المراجع جاء عن

---

[8] **ياقوت الحموي**: (574 - 626هـ / 1178 - 1229م): أبو عبد الله، شهاب الدين، مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، أصله من الروم. من أشهر كتبه (معجم البلـــدان)، و(إرشاد الأريب)، ويعزف بمعجم الأدباء.

[9] **القُلزم**: الاسم القديم للبحر الأحمر، وكانت السويس تسمي قديما القلزم.

[10] **عدن**: ميناء يمني هام.

[11] **ابن جبير**: محمد بن أحمد (540-614هـ / 1145-1217م): رحّالة أندلسي ولد في بلنسيه، ترجم كتابه "رحلة ابن جبير"، والذي يعتبر مرجعًا هامًا، إلي عدد كبير من اللغات الأجنبية.

[12] **السلادون**: نوع من الخزف الأخضر كانت تشتهر به تايلاند والصين وكوريا قديمًا.

[13] **ابن بطوطة**: من المغرب العربي (703-779هـ / 1304-1377م)، تلقبــه جامعــة كامبريــدج البريطانية في كتبها وأطالسها بأمير الرحّالة المسلمين، طاف بلاد المغرب العربي ومصـــر والشـــام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وجزءًا من الصين وجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا.

[14] **ناصر بن خسرو**: (1004 – 1088م) رحالة وشاعر وفيلسوف فارسي، اعتنق المـــذهب الشـــيعي الإسماعيلي وعمل داعيًا له. من أشهر كتبه "كتاب الأسفار" أو "السفر نامه"، الذي دوّن فيــه أخبـــار أسفاره في أرجاء العالم الإسلامي، والكتاب باللغة الفارسية، ومترجم إلى العربية.

طريق النقل أو السماع من الآخرين وليس عن طريق المشاهدة الميدانية، وجدير بالذكر أنها ظهرت علي بعض الخرائط الأوروبيـــة في القرن الرابع عشـــر (Paul, 1955). وقد تم تخريب عيذاب تمامًا في القرن الخامس عشر الميلادي ولم تكتشف إلا في مطلع القرن التاسع عشر بواسطة الجغرافي البريطاني «بنت» Bent[15].

امتد النشاط التجاري في البحر الأحمر حتى منتصف القرن التاسع الميلادي فـ«ابن خرداذبة»[16] يذكر أن التجار اليهود كانوا يأتون من بلاد الفرنج قاصدين مصر فينزلون بالفرما[17] ثم يعبرون برزخ السويس إلي القُلزم ومنها يركبون البحر إلي الجار[18]، ثم إلي جدة ومنها إلي عدن في طريقهم إلي سواحل الهند.

وبعض الأقوال ترجح أن تاريخ إنشاء الميناء يعود إلي أيام البطالسة، ولكن لا توجد دلائل تؤكد هذا القول، ولكن من الثابت أن أول من ذكر الميناء

---

[15] **بنت**: (1852 – 1897م): جيمس تيودور، مستكشف وعالم آثار بريطاني، قام بدراسات مستفيضة في آسيا الصغرى، والبحرين والخليج الفارسي وحضرموت، كان أول من تعرف علي أطلال ميناء عيذاب. أصيب بحمي الملاريا وتوفي وعمره خمس وأربعين عامًا.

[16] **ابن جرداذبة**: (205–280هـ / 820 - 893م) هو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المؤرخ الجغرافي. وُلد بخراسان. يصل عدد مؤلفاته إلى عشرة، أشهرها كتادي كاسترو ب "المسالك والممالك" الذي يعتبر أول كتاب كامل في الجغرافيا الوصفية يصل إلينا من التراث العربي الإسلامي والذي يبين فيه المسافات بين البلدان.

[17] **الفرما**: إحدى المدن الثلاث لمنطقة بورسعيد القديمة طبقًا للحدود الإدارية لها، حيث توجد مدينـــة الطينة شرقًا، وكذلك مدينة تنيس، وكان الفرما تسمى "بيلوز"، وقد وصل عدد سكانها إلى مائة ألـــف نسمة، ومن الفرما بدأ الفتح الإسلامي لكل مصر. ويقال إن فيها قبر أم إسماعيل بن إبراهيم عليهمـــا السلام.

[18] **الجار**: ميناء المدينة المنورة قديمًا وكان يقع بالقرب من ميناء ينبع شمالاً.

كان «عبد الرحمن العمري»[19] في القرن التاسع الميلادي. وقد بدأ طريق الحج عن عيذاب عام 460هـ وازدادت أهميته الفعلية من عام 1100م، عندما أصبح الميناء الرئيسي لحجاج إفريقيا وذلك بعد أن استولي الصليبيون[20] علي ميناء العقبة مما جعل الطريق البري عبر سيناء محفوفًا بالأخطار.

ساهمت ظروف التجارة بين الشرق والغرب في ازدياد نشاط عيذاب التجاري الذي بلغ أوجه في العصر الفاطمي، فقد تميز هذا العصر بالتسامح الديني من جانب الفاطميين تجاه التجار الأوربيين وخاصة الايطاليين فتسابقوا من جنوب ايطاليا إلي أسواق الإسكندرية ودمياط والقاهرة وحصلوا من الفاطميين علي حق إقامة الفنادق وتخفيض المكوس بعد أن عقدوا معهم معاهدات تجارية.

استمر ازدهار ميناء عيذاب طوال العصر الأيوبي الذي تلي العصر الفاطمي كقاعدة رئيسية لتجارة مصر في البحر الأحمر بالرغم من تأثره بضع سنوات بسبب مناوشات «أرناط» أمير الكرك، فقد كان لمحاولات بعض الصليبيين في العدوان علي الأراضي المقدسة أثر كبير في السياسة المصرية التي منعت التجار الأوربيين من مزاولة نشاطهم التجاري في البحر الأحمر، وبالرغم من ذلك فلم يكن لذلك الإجراء أي تأثير علي التجارة بين الشرق والغرب إذ انتعش التجار في عهد «صلاح الدين الأيوبي» وقاموا بنقل التوابل من عدن إلي عيذاب وانتقل نشاطهم إلي قوص التي أصبحت أهم مدينة تجارية

---

[19] **عبد الرحمن العمري:** قائد عربي (حفيد الراشد عمر بن الخطاب، رضي الله عنه) نزح إلي منطقة وادي العلاقي لاستغلال الذهب وكبح جماح البجا في صعيد مصر عام 255هـ / 869م ومنها استقر العرب في بلاد البجا وزاد العمران والناس نظرًا لنزوح الكثير من القبائل العربية.

[20] **الصليبيون:** الحركة الصليبية (في نظر المؤرخين) هي الحملات العسكرية المسيحية التي جاءت من غرب أوروبا لحرب المسلمين في الشرق في الفترة 1096 – 1292م.

في الصعيد ومنها إلي الفسطاط التي بنوا فيها فندقًا لهم عام 579هـ/1183م، ولأهمية عيذاب للأيوبيين ضموها إلي ولاية قوص.

كما شهد عصر «صلاح الدين» عودة التجار الأوربيين وخاصة الايطاليين وقد توّج ذلك بثلاث معاهدات مع جمهوريات جنوة والبندقية وبيزا الايطالية. وبسبب سياسة التسامح الديني التي انتهجها «صلاح الدين الأيوبي» انتعش النشاط التجاري لعيذاب مرة أخري مع ازدياد النشاط التجاري مع الجمهوريات الايطالية.

وقد غيّر «صلاح الدين» من نظام المكوس بعيذاب ولم يبق إلا علي الزكاة فقط أي ربع العشر، ومرّة واحدة في العام، مما لقي قبولاً حسنًا من الناس دفع «ابن جبير» إلي الإشادة به قائلاً (ومن مفاخر السلطان «صلاح الدين» المزلفة من الله وآثارها أبقاها الله للدين والدنيا، إزالته رسم المكس المضروب وظيفة علي الحجاج مدة دولة العبيديين "الفاطمية")، وكان المسلمون والمسيحيون يقاسون علي السواء من تشدد رجال الجمارك وغلظة الإجراءات التي يتبعونها في الجباية.

وفي بحر عيذاب مغاص على اللؤلؤ في جزائر على مقربة منها، وأواني الغوص فيه هو شهر يونيه وشهر يوليو، ويستخرج منه جوهر نفيس، له قيمة عالية، ويذهب الغائصون عليه إلي تلك الجزائر في الزوارق ويقيمون فيها الأيام فيعودون بما قسم الله لكل واحد منهم بحسب حظه من الرزق (رحلة ابن جبير).

وبالرغم من أهمية عيذاب فإن سمعتها كانت سيئة للغاية، فجوها حار جدًا وماؤها مر المذاق حتى إن «ابن جبير» الرحالة الأندلسي يصفه بأن (العطش أشهي إلي النفس منه)، كما أن أهلها (الحداربة) الذين يتكونون من

مزيج من العرب والبجا (قبائل البشارية والعبابدة) كانوا مضرب الأمثال في القسوة والجشع والاستغلال، وكانوا يغالون في أسعار السلع كما كانوا يفرضون رسومًا باهظة علي حجاج بيت الله الحرام لنقلهم لمكّة المكرمة، كما كانت معاملتهم معهم سيئة للغاية وكثيرًا ما كانوا يكدسون الركاب في مراكبهم التي كانوا يسمونها الجلاب[21] "حتى يجلس بعضهم علي بعض وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة" علي حد قول «ابن جبير»، وكثيرًا ما كانوا يغشون الحجاج ويسيرون بهم في دروب خالية من الماء ويعذبوهم ليحصلوا منهم علي أجور باهظة.

والقاصد عيذاب من قوص يسلك طريق العبدين، وهي أقصر مسافة، والآخر طريق من قنا، ويلتقي الطريقان على مقربة من ماء دُنقاش[22]. ولهما مجتمع آخر على ماء يعرف بشاغب أمام ماء دنقاش بيوم (ابن جبير).

بدأ الرحالة الأوربيون يرتادون المنطقة في نهاية القرن التاسع عشر، وبدأت بعثات البحث عن الآثار تجوب المنطقة وازداد بذلك حجم المعلومات عنها خاصة بعد العثور علي قطع الخزف والصيني وبقايا العملات المغدنية من عصور الفاطميين والأيوبيين والمماليك.

كما بدأ العلماء اليابانيون في الاهتمام بالمنطقة مؤخرًا وزارها أكثر من وفد علمي منذ منتصف العشرينات من القرن العشرين وقد نشروا جانبًا من نتائج أبحاثهم باللغة الانجليزية بالإضافة إلى اللغة اليابانية، كما قام فريق من

---

[21] الجلاب: جمع جلبة وهي المراكب في البحر الأحمر والخليج العربي وتصنع من جزوع النخيل، وتستعمل في السفر والغوص على اللؤلؤ، والصيد أحيانًا، ويتراوح طولها ما بين 20-30 قدمًا حمولتها من 15-60 طنًا ونوع آخر وسط، يتخذه تجار اللؤلؤ.

[22] دنقاش: اسم بئر ماء ووادي وجبل علي مسافة 90كم جنوب شرق قوص بإحداثيات 00˝ 00´ 34˚ شرقـــا و24˚ 57´ 30˝ شمالاً.

العلماء الفرنسيين والسودانيين يعمل دراسة مستفيضة لمنطقة عيذاب أواخر القرن العشرين.

ولعيذاب منزلة كبيرة عند الصوفية، حيث كانت الميناء التي تعوّد أن يبحر منه القطب الربّاني الشيخ «أبو الحسن الشاذلي»[23] والذي وافته المنية أثناء رحلته الأخيرة إلي الأراضي المقدسة عام 656 هـ / 1258م ودفن في وادي حميثرا (حميثرة) علي مسيرة يومين من عيذاب حيث يقام له مولد كبير في شهر ذي الحجة من كل عام، ونادرًا ما يقوم الزوار بالذهاب إلي عيذاب أو يعرفون عنها شيئًا سوي أنها كانت مقصد شيخهم الجليل.

بدأ تدهور الأحوال في عيذاب بعد هزيمة الصليبيين في حطّين عام 1187م فقد عاد الحجاج لاستخدام الطرق البرية بعد أن أصبحت آمنة وساعد علي ذلك نضوب مناجم الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية (صحراء عيذاب سابقًا)، وفي القرن الخامس عشر الميلادي أرسل حاكم مصر السلطان «برسباي»[24] حملة عسكرية خرّبت المدينة تمامًا عام 1426م عقابًا علي نهبهم احدي قوافل الحجاج. ومنذ ذلك الوقت لم تقم لعيذاب قائمة ولم يبق منها سوي بعض الأطلال الطفيفة وأماكن تدل علي أحواض المياه القديمة.

---

[23] **أبو الحسن الشاذلي: الشاذلي أبو الحسن** علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية وله عبارات في التصوف ،ولد 571هـ بقبيلة الأخماس الغمارية ، تفقه وتصوف في تونس ، وسكن مدينة (شاذلة) ونسب إليها ، وتوفي الشاذلي بصحراء عيذاب متوجهًا إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة 656هـ.

[24] برسباي: (ت. ذي الحجة 841هـ / مايو 1437م) كان الأشرف أبو النصر برسباي شركسيًا اشتراه تاجر يهودي جاء به إلى حلب. عُيّن بالطباق السلطانية بالقلعة، ثم أعتق، وتدرج في المناصب حتى صار سلطانًا عام 825هـ / 1422م، فتح قبرص عام 829هـ وأدخلها داخل حدود الدولة الإسلامية.

ولقد ضاعت معالم موقع عيذاب بمرور الزمن، والشاهد على ذلك أنّ «دون خوان دي كاسترو»[25]، الذي قام بزيارة مواني البحر الأحمر سنة 948 هـ/1541م ذكر أنه زار موانئ زيلع وسواكن القصير والسويس والطور وجدة ولكنه لم يذكر عيذاب لاندثار معالمها. والدليل أيضًاعلى اندثار تلك المدينة ذات التاريخ العريق أنّ مماليك «علي بك الكبير»[26]، في التاريخ الحديث، وهم في طريقهم إلى الحجاز أقلعوا من ميناء القصير إلى جدة لأنه لم يعد لعيذاب آنذاك أي أثر.

---

[25] **دي كاسترو**: أدميرال ورحالة برتغالي، وصف سواكن القديمة في السودان بأنها لشبونة الشرق وذلك عند الغزو البرتغالي على مدينة سواكن.

[26] **علي بك الكبير**: (1140 هـ / 1728 م - 25 صفر 1187 هـ / 8 مايو 1773 م) هو مملوكي حكم القاهرة كشيخ البلد أيام المماليك ثم أصبح حاكم مصر أيام العثمانيين.

1- مواني البحر الأحمر القديمة

يشقُّ عُبَابَ البحر خَيْشُـــومُها كما قَسَّـم التُربَ المفايلُ[27] باليــدِ
كأنَّ حُدُوج[28] المالكيــــة غُدْوةً خلايا[29] سفين بالنواصف من دَدِ
عدولية[30] أو من سفين ابن يامن[31] يَجورُ بها الملاّحُ طورًا ويَهتَدِي
(طرفة بن العبد)
من كبار شعراء الجاهلية

كان هناك في العصر الروماني خمس مواني علي الشاطئ الغربي للبحر الأحمر والتي كانت تمثل محطات للسفن التجارية في طريقها إلي الهند والشرق الأقصى، وعلي هذا الطريق كانت ترد البضائع من شرق آسيا مثل التوابل والحرير والخزف في مقابل بضائع الشرق الأوسط مثل النبيذ الايطالي والفضة. والمواني الخمس الرئيسية كانت:

- القُلزم (السويس) Clysma في مصر،
- مايوس هرموس[32]Myos Hormus (القصير القديمة) في مصر،
- برنيس[33] (راس بناس) Berenice في مصر،

---

[27] **المفايل:** لعبة يلعبها الصغار، يخبئون فيها التراب خبيئا ثم يقسمونه قسمين.

[28] **الحدوج:** جمع حدج وهو مركب من مراكب النساء.

[29] **الخلايا:** والخلايا جمع خلية وهي السفينة العظيمة، ولا يقال للسفينة خلية حتى يكون معها زورق.

[30] **عدولية:** من أنواع السفن العربية، وتنسب إلى إحدى جزائر الخليج العربي أو العماني.

[31] **ابن يامن:** كان ملاحًا عربيًا شهيرًا من أهل هجر (سكان البحرين).

[32] **مايوس هرموس:** (القصير القديم) أنشأ الميناء البطالسة في القرن الثالث قبل الميلاد.

[33] **برنيس (أو قرية الشيخ صالح):** ميناء صغير يقع جنوب مصر، ويشتغل أهله بالصيد والرعي ومعظم أهله من العبابدة ويوجد به مراعٍ غنية للجمال، وكان يسمى فيلادلفوس في عهد البطالمة والذي أنشأه بطليموس الثاني ويوجد بالقرية آثار بطلمية ورومانية. وقد أصبح ميناءً تجاريًا عام 275 قبل الميلاد.

- بطليموس ثيرون[34] Ptolemais Theron في السودان،
- وأدوليس[35] Adulis في إريتريا.

كان البحر الأحمر يسمي في العصور الوسطي بحر الحجاز وكانت له أهمية خاصة في تاريخ الإسلام نظرًا لأنه الطريق البحري الموصل إلي الأراضي المقدسة، بلد الحرمين الشريفين، وكان يعتبر بحرًا إسلاميًا مغلقًا وحرصوا علي عدم السماح لأي سفن هندية أو صينية أو ايطالية أو غيرها أن تبحر شمالا فيما وراء ميناء عدن.

وقد تعرّف «برويير» Bruyère[36] علي ميناء القُلزم القديم عام 1966م، ولا يزال ميناء بطليموس حتى الآن دون دراسة كافية، أما الموانى الأخرى فهي تخضع لدراسات مكثفة حديثة، ويبدو أن ميناء ميوس هرموس كان ميناءً نشطًا من عصر البطالسة حتى القرن الثالث الميلادي ثم هُجر بعد ذلك إلي أن أعاد فتحه الأيوبيون في آخر عهدهم.

كانت أزهي فترات نشاط القصير في ظل المماليك.[37] وخلال الألف عام التي انصرمت بين العصرين تكوّن حاجز رملي كبير شكّل عائقًا للوصول إلي

---

[34] **بطليموس ثيرون:** ميناء بناه بطليموس الحاكم المصري كقاعدة لصيد الأفيال.

[35] **أدوليس:** ميناء قديم علي في مملكة أكسوم (إريتريا اليوم). ومن المحتمل أن أدوليس قد أسسها المصريون القدماء. برز دور هذا الميناء في أواسط القرن الثالث قبل الميلاد، وانتعش من خلال نشاط البطالسة في التجارة، ويعرف الآن بميناء "زولا".

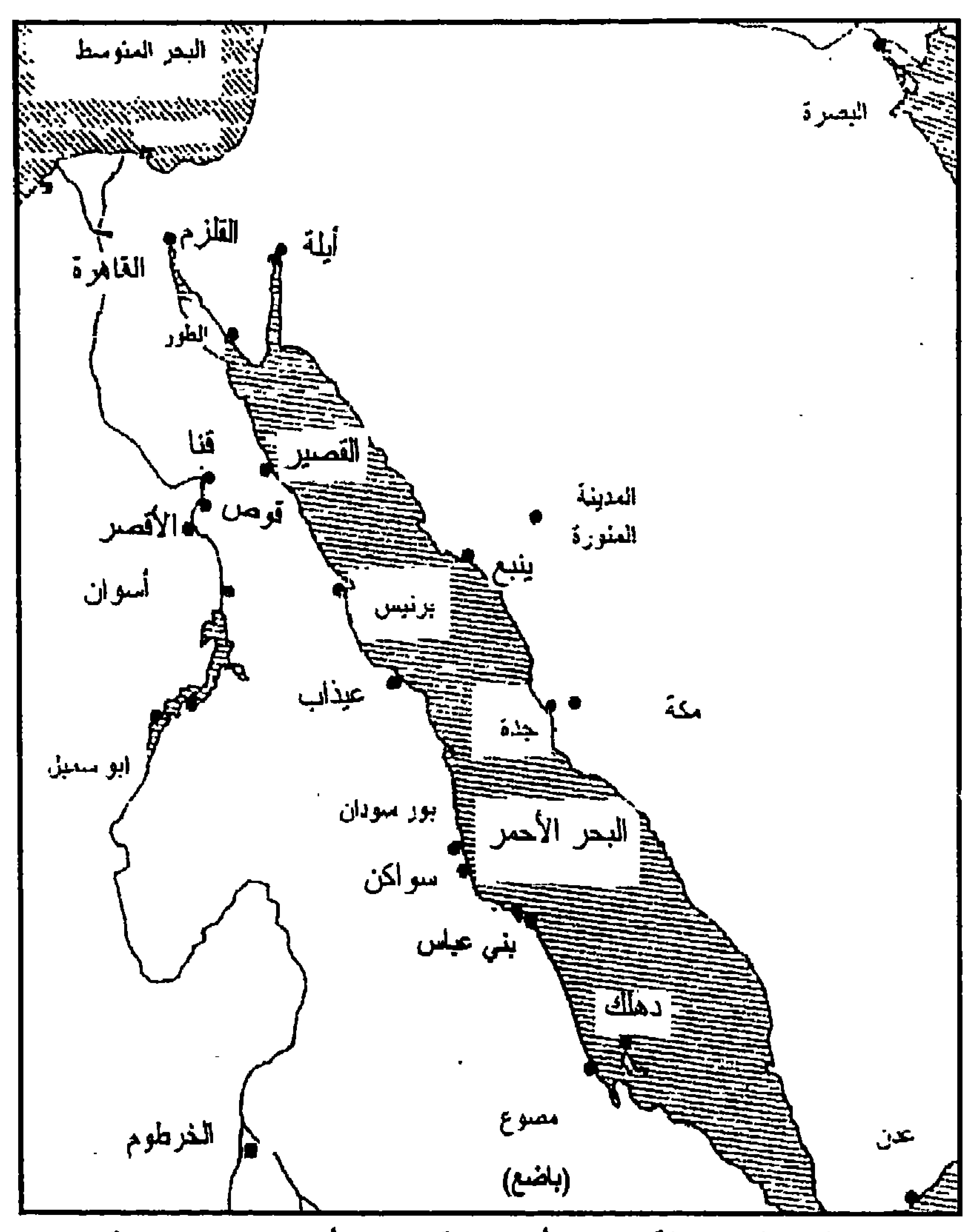
[36] **برنارد برويير Bruyère:** عالم آثار فرنسي معاصر، كان يعمل في المركز الفرنسي للآثار بالقاهرة، أثبتت حفرياته أن ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة من الدولة القديمة أقاموا استحكامات في قلعة السويس لصد المغيرين.

[37] **المماليك:** سلالة من الجنود حكمت مصر، الشام، العراق والجزيرة العربية سنوات 1250–1517م. كانوا عبيدًا من أصول تركية من آسيا الوسطى. أسسوا في مصر والشام دولتين متعاقبتين كان مركزهما (عاصمتهما) القاهرة: الأولى دولة المماليك البحرية، ومن أبرز سلاطينها عز الدين أيبك وقُطز والظاهر بيبرس البندقداري، ثم تلتها مباشرة دولة المماليك البرجية بانقلاب عسكري،=

الميناء الروماني وأصبح الميناء الإسلامي الجديد لا يغدو أن يكون ظلاً باهتًا للميناء الروماني القديم ولم يكن أكثر من مرسي بسيط وصغير في البحر الأحمر ولم يكن أكبر قليلا من الخليج الحالي الذي أصبح شاطئًا للاستحمام لفندق موفنبك الحديث، ولعل هذا العائق الرملي قد تكوّن نتيجة للترسيب التدريجي للرمال، كما أن هناك احتمالاً كبيرًا أن يكون زلزال 18 مارس 1068م (مركزه الحجاز علي بعد 400 كم) قد لعب دورًا مؤثرًا في تكوينه Ambraseys, 1994).

منذ أوائل العصر الإسلامي تمتعت "القصير" بأهمية عظيمة كميناء على البحر الأحمر بعد "عيذاب" فعن طريقها يعبر حجاج مصر، وبلاد المغرب العربي، والأندلس إلى موانئ الحجاز قاصدين مكّة المكرمة، والمدينة المنورة، وازدهرت "القصير" خلال العصور الأيوبية، والمملوكية، والعثمانية حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، واحتفظت بالعديد من القطع الأثرية، والمنشآت المعمارية منها "قلعة القصير الأثرية"، إضافة للعديد من العمائر التاريخية التي تنوعت ما بين دينية، ومدنية، وجنائزية.

=وقد عرف في عهدهم أقصى اتساع لدولة المماليك في القرن التاسع الهجري، وكان من أبرز سلاطينهم الأشرف برسباي فاتح قبرص وقانصوه الغوري وطومان باي.



شكل (1-1): خريطة البحر الأحمر موقع عليها أهم المواني والمواقع.

كان ميناء أدوليس الروماني يقع قريبًا من جزيرة تسمي ديودورس Diodurus، وكان يتصل بالقارة الإفريقية بطريق ضيق، وقد نقل الميناء بعد ذلك في القرن الأول الميلادي إلي منطقة أكثر أمنًا تسمي جزيرة Oreiné، ونظرًا لأن المنطقة لم تدرس دراسة كافية فليس من اليسير معرفة تاريخ إنشائها، ولكن من المؤكد أن ميناء أدوليس ازدهر مرة أخري في فترة مملكة

أكسوم[38]، وقد عثر هناك علي عملات معدنية تعود إلي حوالي عام 700م، وبعدها هُجر المكان تمامًا.

أما ميناء برنيس فله قصة أخري طويلة، فقد استمر من عهد البطالسة حتى حوالي القرن الخامس الميلادي، وكما حدث في القصير فقد رُدم الميناء بلسان رملي في عهد البطالسة واندثر منذ ذلك الوقت وهُجرت المنطقة في مطلع الفتح الإسلامي وعندما أعيد افتتاح المنطقة في القرن التاسع الميلادي اختير مكان جديد يسمي «عَيْذَاب» علي بعد حوالي 200 كم جنوبًا. وبالرغم من أن المسافة التي كان علي التجار اجتيازها في الصحراء من قوص إلي الموقع الجديد قد ازدادت إلا أن الميناء الجديد عيذاب تميز بقربه من ميناء جدة علاوة علي أن ميناء القصير كان يعيبه الرياح الشمالية القوية والتي كانت تسبب مشاكل ملاحية كثيرة. ولكن كثيرًا من التجار كانوا يفضلون ميناء القصير لقربه من مدينة قوص[39]، وقد استمر النشاط في ميناء القصير بعد انهيار عيذاب في القرن الرابع عشر الميلادي ونقل مكانها بعد ذلك إلي المكان الحالي في القرن السادس عشر الميلادي (Le Quesne, Charles, 2006) علي مسافة 8 كم جنوبًا حيث أنشأ تجمع سكاني حول الميناء العثماني.

---

[38] مملكة أكسوم: كان مقرها في مدينة أكسوم على سفح جبال عدوة شرق إقليم تجراي بإثيوبيا. تأسست المملكة عام 325 ق م بقيادة السلالة السليمانية التي ترجع حسب بعض الأساطير إلى الملك سليمان وملكة سبأ. وفي القرن الرابع ميلادي اعتنق "إيزانا" ملك إثيوبيا المسيحية فأصبحت كنيسة إثيوبيا كنيسة الدولة، أما في القرن السابع الميلادي فقد بدأت مملكة أكسوم في الأفول أمام انتشار الإسلام.

[39] قوص: مدينة ومركز بمحافظة قنا تقع علي الساحل الشرقي من النيل جنوب القاهرة بحوالي 645 كم، لها تاريخ حافل فقد كانت عاصمة للصعيد ومحط كل الوافدين ومعبر الحجاج إلى البحر الأحمر، وكانت توصف بمدينة العلم والعلماء.

2- تاريخ عيذاب

النفس تبكي على الدنيا وقد عَلِمت ******* أنَّ السلامةَ فيها تركُ مـــا فيها

لا دارَ للمرءِ بعد الموتِ يسكُنُها ********* إلا التي كان قبلَ الموتِ يَبنيها

فإن بناها بخيرٍ طابَ مسكنـــــه ******* وإن بناها بِشــرٍ خابَ بانيــــها

كمْ من مدائن في الأفاق قد بُنيت ******* أمْسَت خرابًا وأفنى الموتُ أهليها

تِلكَ المنازلُ في الأفاق خاويـــــةٌ*******أضْحَتْ خرابًا وذاقَ الموتُ بانيها

أين الملوكُ التي عن حَظِّها غَفَلت *******حتى سقاها بكأس الموتِ سَاقيها

أفنَى القُرونَ وأفنى كلَّ ذي عُمُرٍ ******* كذلكَ الموتُ يُفني كُلَّ ما فيــها

الإمام علي بن أبي طالب

(كرّم الله وجهه)

لا يُعرف علي وجه التحديد التاريخ الذي أُنشيئت فيــه عيــذاب، ولكــن ذكرها جاء لأول مرة في القرن التاسع الميلادي علي لسان «ابن الصـــوفي»[40]، أحد الثوار المعارضين للخليفة العباسي «أحمد بن طولون»، وهو فــي طريقــه هاربًا إلي مكّة المكرمة حوالي عام 254هـــ / 873م بعد هزيمته أمام القـــوات الحكومية (البلوي، 1939م)[41]. وتشير بعض المراجع أن «ابن حوقل»[42] ذكــر إن إنتاج مناجم الذهب من وادي العلاقي كان يُحمل إلي قلعة علي شاطئ البحر تسمي "عزاب".

---

[40] **ابن الصوفي:** وهو إبراهيم بن محمد، ظهر في صعيد مصر واستولي علي مدينة إسنا، حارب ابن طولون، وانهزم ثمّ حاربه مرة أخرى عام (254هـــ)، وهرب بعدها إلي الحجاز حيث ألقــي القــبض عليه وأرسل إلى ابن طولون في مصر.

[41] **البلوي:** عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ البلوي، عالم، فقيه، واعظ، مؤرخ، عاش في الثلث الثاني من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، من أهم آثاره كتاب "سيرة ابن طولون".

[42] **ابن حوقل:** (907-981م) ولد في بغداد، مؤرخ وجغرافي من كبار رحالة العرب، وصـــل إلـــى غرب إفريقيا حوالي 950م، وهو صاحب الكتابين الشهيرين (المسالك والممالك وصورة الأرض).

كانت المنطقة الشاطئية تقع تحت سيطرة القائد «محمد بن عبد الله القمي» الذي أرسله «الخليفة المتوكل» لإخضاع قبائل البجا حوالي عام 855م، وتشير بعض المصادر إلي أن عيذاب لم تكن ميناءً لاستقبال الواردات ولكنها كانت مخصصة لتصدير الذهب والزمرد المستخرج من وادي العلاقي وكانت تستخدم للإبحار إلي الأراضي المقدسة واليمن،

نظرًا لكثرة الكوارث الطبيعية التي كانت تحدث في منطقة الخليج الفارسي (العربي) مثل الزلازل والعواصف الموسمية، بالإضافة إلي الاضطرابات السياسية منذ القرن التاسع الميلادي لم يجد التجار المسلمون بدًا من هجرة مواني الخليج مثل ميناء «سيراف[43]» الفارسي الشهير إلي مواني أخري أكثر أمانًا حول شواطئ جنوب الجزيرة العربية وإثيوبيا. وعندما تمت سيطرت الدولة الفاطمية علي الشمال الغربي الإفريقي استطاعت أن تضم إليها مصر وأن ينقلوا عاصمتهم إلي المدينة الجديدة التي أنشئوها وهي مدينة القاهرة، وامتد نشاط التجار المسلمين إلي البحر الأحمر واتخذوه مسارًا لبضاعتهم من المحيط الهندي إلي البحر المتوسط. انتعشت منطقة البحر الأحمر سريعًا ابتداءً من نهاية القرن العاشر الميلادي، وخلال الفترة من القرن العاشر حتى منتصف القرن الرابع عشر الميلاديين صار ميناء عيذاب واحدًا من أهم المواني الرئيسية في البحر الأحمر للتجارة والحج.

[43] **سيراف:** يقع ميناء سيراف في إيران علي الساحل الشرقي من الخليج العربي (الفارسي) قبالة البحرين، وكانت أهم ميناء في الخليج في المدة من 800 إلي 1000م، وكانت تنافس البصرة في الغنى والثراء.

وقد جاء ذكر عيذاب في كتابات «المسعودي»[44] و«الاصطخري»[45] في القرن العاشر الميلادي كطريق إلي جدة ومنها للحج، ويري بعض المؤرخين أن ازدهار عيذاب كان له علاقة وثيقة بانهيار ميناء باضع[46] (مصوع في اريتريا).

وعندما زار «ناصر خسرو» الرحالة الفارسي عيذاب واضطر أن يقيم فيها عدة أشهر عام 1080م وهو في رحلته من القاهرة إلي مكّة كانت عيـذاب أهم ميناء يرحل منه المصريون إلي الحجاز، وقد ذكر «خسـرو» أن عيـذاب كانت مخزنًا كبيرًا للبضائع الواردة من الحبشة وزنزبار[47] واليمن أي أنها كانت ميناءً هامًا يخدم جنوب البحر الأحمر، وفي هذه الفترة كانت مجموعة الكريمي – التي سيرد ذكرها فيما بعد بالتفصيل – قد جعلت من عيذاب قاعدة هامة فـي طريق التجارة بين مصر والهند.

---

[44] **المسعودي، علي بن الحسين علي:** (توفي 346هـ / 957م) عالم فلك وجغرافيا، رائـد نظريـة الانحراف الوراثي ومن أشهر العلماء العرب، ولد ببغداد وتعلم بها، وكان كثير الأسفار وقد زار بلادًا كثيرة في آسيا وإفريقيا. وللمسعودي كتب شهيرة منها "مروج الذهب" و"معادن الجـوهر فـي تحـف الأشراف" و"الملوك وأهل الديارات" وهو موسوعة علمية جغرافية تاريخية، وقد تُرجم الكتـاب إلـى اللغات الفرنسية والإنجليزية والفارسية.

[45] **الاصطخري:** أبو إسحاق إبراهيم الفارسي (ت. 957م)، رحّالة من علمـاء الجغرافيـا المسـلمين المشهورين،ويعرف بالكرخي، أهم أثاره "صور الأقاليم" و"المسالك والممالك". عاش في القرن الرابـع الهجري/العاشر الميلادي، وحياته يكتنفها الكثير من الغموض.

[46] **ميناء باضع (مصوع):** يعتبر من أهم المدن الإريترية المطلة على البحر الأحمر، وعرفت مدينـة مصوع في التاريخ العربي باسم (باضع) وشهدت نفوذًا كبيرًا للعرب في صدر الإسلام.

[47] زنزبار (زنجبار): اسم يطلق على مجموعة جزر تابعة لتنزانيا في شرق أفريقيا ولكنها تتمتع بسلطة ذاتية واسعة، وتتكون من جزيرتين كبيرتين هما: زنجبار وبمبا إضافة إلى سبع وعشرين جزيرة صغيرة.

كما جاء ذكر عيذاب في وثائق جنيزا اليهودية[48] مما يدل علي أن عددًا غير قليل من التجار اليهـود كانوا مشتركين معهم في تجارتهم، وكان بعضهم يقطن جزرًا قريبة من الساحل الإفريقي للبحر الأحمر. ويذكر «المقريزي»[49] أن من أهم الواردات عن طريق عيذاب كانت التوابل بالإضافة إلي تجارة اللؤلؤ، كما ذكر «ابن جبير»، وكما وصفها الشاعر «فتح نصر الله ابن قلاقس السكندري»[50].

ومما ذُكر عن عيذاب أنها كانت تمثل منفي للخارجين علي القانون، وقد ذكرها «ابن المجاور»[51] كسجن تابع للخلفاء الفاطميين، كما ذكر المعاملة السيئة والعنيفة التي كان يلقاها الحجاج والتجار عند وصولهم أو سفرهم من الميناء.

ومن الجدير بالذكر أن عيذاب ظهرت علي خريطة دالورتو Dalorto map عام 1325م وعلي خريطة كتلان Catalan map عام 1375م تحت اسم (Aidip) وعلي خريطة فريدوتشي عام 1497م (خريطة الكونت اورتمان فريدوتشي: للبحر الأحمر والخليج الفارسي).

---

[48] **وثائق جنيزا اليهودية:** مجموعة من حوالي 200000 وثيقة عثر عليها في سرداب في كنيس بن عزرا في الفسطاط (القاهرة القديمة)، وقد اكتشفها الرحالة اليهودي «يعقوب سافير» في أواسط القرن التاسع عشر، وأشهر من درسها المستشرق اليهودي جوتين (Goitein). (انظر الفصل 11).

[49] **المقريزي:** (ت. 845هـ /1442م) مصري، يعتبر عمدة المؤرخين العرب، وتعد رائعته "المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار" المعروفة "بالخطط المقريزية" أشهر كتب الخطط التي حفظت، ولذلك فقد حظي باهتمام كبير من قبل المستشرقين والعلماء والباحثين، ومن أهم ملفاته "السلوك لمعرفة الملوك" و"الذهب المسبوك في ذكر من حج من الملوك".

[50] **ابن قلاقس:** أبو الفتح نصر الله بن عبد الله بن مخلوف الذي اشتهر باسم ابن قلاقس (532هـ / 1127م - 567هـ / 1171م)، ولد ونشأ في الإسكندرية وانتقل إلي القاهرة وكان كثير السفر. أزهري، شاعر، نبيل، من كبار الكتاب في زمانه. سيرته يكتنفها غموض شديد.

[51] **ابن المجاور** (1205-1291م): هو يوسف بن يعقوب بن محمد، جغرافي ورحالة سوري. ولد في دمشق ونشأ في بغداد. أشهر مؤلفاته كتاب "تاريخ المستبصر"، وصف فيه اليمن والحجاز. اطلع على الأدلة الملاحية المشهورة، وتعرف على علوم الملاحة القديمة.

يوضح الجدول رقم (2-1) الأسماء التي كتبت بها عيذاب في الخرائط القديمة المختلفة المحفوظة في مكتبة فلورنسا بايطاليا.

جدول (2-1): الخرائط المدون بها اسم عيذاب (عن Yajima, 1989).

اسم عيذاب علي الخريطة	اسم الخريطة
Aydip	Giovanni da Carignano (14 القرن)
Aydep/Aideb	Angelino de Dalorto (1325)
Aidaba/Aidebe	Portulan Venetien Anonyme (14 القرن)
Aydibo	Portulano Mediceo-Laurenziano (1351)
Lidebo	Livre de la Connaissance (14 القرن)
Aydip/Lidepo	Atlas Catalan = Atlas de Charles V (1375)
Lidebo	Portulan du Napoles (1400 حوالي)
Aydip/Lidepo	Mecia de Viladestes (1413)
Aydip/Lidepo	Gaffuda Cresques (1416)
Lidebo	Johannes de Villdestes (1428)
Aydip/Lidepo	Portulan du Florence (1433 حوالي)
Aydip	Leonard (1452/53)
Aydip	Freducci (1497)

ظهرت بعد ذلك خرائط تظهر عليها عيذاب باسم زبيد، وكـان «ليـو الإفريقي»[52] يعرفها بهذا الاسم، وقد كتب عام 1529م يصفها بالمكان المرعب، وأسهب في شرح نهايتها ومصيرها الأليم.

[52] ليو الأفريقي: وهو الحسن بن محمد الوزّان، ولد في غرناطة بالأندلس عام 1490م، وهاجرت أسرته إلي المغرب هربًا من محاكم التفتيش التي اجتاحت المدينة. تعلّم في فاس في المغرب وفي جامع القيروان بتونس، وسافر إلي بلادٍ كثيرة في أفريقيا وآسيا مبعوثا دبلوماسيًّا لسلطان المغرب في مهام خاصّة. عاش في ايطاليا 10 سنوات وكان يجيد العربيّة والايطاليّة والعبريّـة، ومن كتبـه: قاموس مكتوب بهذه اللّغات الثلاث، وكتاب عن جغرافيـة إفريقيـا أخرجه =

ازدادت أهمية عيذاب تحت حكم الفاطميين وعندما زارها «ابن جبير» عام 1183م وصفها بأنها واحدة من أكثر الموانى المطروقة في العالم لأن مراكب الهند واليمن تبحر منها وإليها، وهي الميناء التي يسافر منها الحجاج إلي الأراضي المقدسة. ويقول «المقريزي» إن قوافل الحج كانت تسلك طريق قوص – عيذاب أو أسوان – عيذاب بدلاً من طريق سيناء بعد أن قطعه الصليبيون وذلك لمدة 215 عامًا من عام 450هـ / 1058م.

وبالرغم من كل ذلك فإن عيذاب كانت سيئة السمعة لدرجة كبيرة بسبب المبالغة في الرسوم التي كان علي الحجاج أن يدفعوها والتي أبطل «صلاح الدين الأيوبي» جزءًا كبيرًا منها، علاوة علي سوء معاملة الأهالي والسلطات للحجاج والزائرين ومحاولة استغلالهم بأي وسيلة.

ويصف «ابن جبير» الطريق الذي يصل عيذاب بوادي النيل بأنه كان آمنًا جدًا لدرجة أن البضائع التي كانت تسقط من الركاب تظل في أماكنها لا تمتد إليها يد، كما يذكر «ابن جبير» أنه حاول أن يعد القوافل التي تمر عبر الطريق من قوص إلي عيذاب ولكنه لم يفلح.

وبعد أربعين سنة من زيارة «ابن جبير» لعيذاب جاء «ابن بطوطة» عام 726هـ / 1326م عن طريق إدفو مرافقًا احدي قوافل الحج ووصف الطريق بأنه خالٍ من العمران حتى عيذاب إلا منطقة وادي حميثرا حيث مثوى سيدي «الشاذلي»، وفي عيذاب يقول إنه يسكنها قوم سود من قبائل البيجا وإنهم لا دين لهم ولا أخلاق، ولا يفوته أن يذكر أن بنات البيجا (أو البجا) لا يرثن أبدًا. وكان ثلثا العائد من الميناء يذهب إلي ملك البجا والباقي

= عام 1550 Cosmographia del'Africa, volume delle navigationi et viaggi أشهر أعماله علي الإطلاق.

يسلم إلي ملك مصر، وقد اضطر «ابن بطوطة» إلي العودة ولم يتم رحلة الحج بسبب القتال الذي كان دائرًا بين البجا والمماليك.

طبيعة عيذاب

لا يوجد إجماع في الأدبيات التي تركها رحّالة العصر الإسلامي الوسيط عن طبيعة عيذاب، ففي الوقت الذي يصفها «البيروني»[53] و«الاصطخري» بأنها مدينة محصنة أو عبارة عن حصن أو قلعة نجد أن «ابن جبير» يصفها بأنها بلا أسوار، وبالرغم من أهميتها كميناء فإن غالبية المراجع تشير إلي أنها لم تكن مدينة كبيرة، ويصف «ابن جبير» منازلها بأنها مبنية من الأخصاص ويصفها «ياقوت الحموي» بالمدينة الصغيرة (بُليدة) إلا أن «ابن بطوطة» يصفها بالمدينة الكبيرة.

ويكتب «أبو الفدا[54]» في القرن الرابع عشر أنها أقرب إلي القرية منها إلي المدينة. والغريب أن الوحيد، من بين الرحّالة العرب الذين زاروا المنطقة في القرن الخامس عشر، الذي وصف عيذاب بأنها جزيرة صغيرة مبنية بالطوب كان «الحِمْيَري»[55]، وفي الوقت الذي تجمع فيه المراجع أن عيذاب ليس

---

[53] البيروني (362 – 440هـ): هو محمد بن أحمد، ولد في خوارزم، وقد جاب البيروني بلاد الهند، باحثًا منقبًا. ترك البيروني ما يقارب المائة مؤلف شملت حقول التاريخ والرياضيات والفلك، وأهم آثاره (كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية) وكتاب (مقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسيطة الكرة)، شرح كيفية صعود مياه الفوّارات والينابيع من تحت إلى فوق. وقد نبّه البيروني إلى أن الأرض تدور حول محورها.

[54] أبو الفدا: هو إسماعيل بن علي الأيوبي ملك حماة في فترة الحكم الأيوبي، توفي عام 1331م، اشتهر بالإضافة إلى مقدرته في الحكم كونه كاتبًا ومؤرخًا وأشهر كتبه في الجغرافيا كتاب "تقويم البلدان".

[55] الحِميري: (ت 900هـ) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري. ولد بمدينة سبتة بالمغرب العربي واشتهر بكتابه "الروض المِعْطار في خبر الأقطار" وفيه وصف أشهر البقاع المعروفة في زمانه.

بها مصادر ماء وأنه لا بد من جلب الماء من خارجها نجد أن «الإدريســي»[56] يذكر أن بها آبار مياه. ويصف «ابن جبير» صهاريج المياه الضخمة في منطقة الجنيب علي مسيرة يوم واحد من عيذاب في الصحراء والتي تقع علي مرمــي البصر.

ولا شك أن منطقة عيذاب في حاجة إلي فحص علمــي دقيــق، ولعــل وسائل الكشف والتنقيب الحديثة تساهم في كشف النقاب عما يوجد مــدفونًا فــي الأرض، وما لم يتم ذلك فلن يكون من اليسير التأكد من أن هذه الاختلافات في وصف عيذاب تعكس التطور الذي طرأ علي الميناء بمرور الوقت أو أن مكان المدينة قد تغير – كما حدث مع القصير– أو أن هذه الاختلافات نتيجة للطبيعــة البشرية التي يشوبها عدم الدقة في الوصف.

ويمكن القول إن عيذاب بجميع المقاييس مكان غريب وغير متفق عليه وقد سجل «ابن جبير» جشع ملاك السفن التي كانت تنقل الحجاج ويعتقــد أنــه كثيرًا ما كانت الرياح تدفع بالمراكب جنوبًا من عيذاب حيث يقــع المســافرون تحت رحمة شعب البجا الذي كان يتميز في ذلك الوقت بالشراسة وعدم الضمير، والكثير من المسافرين كانوا يموتون أثناء عبور الصحراء الخالية من الماء في طريقهم إلي عيذاب.

وليس بعيدًا أن المناخ السياسي كان متوترًا حيث كانت المدينــة تحكــم مناصفة بين مصر وقبائل البجا وكانت العوائد تقسم مناصفة وأحيانًــا تحصــل مصر علي الثلث والبجا علي الثلثين، ويصف المؤرخ «جــوتين» Goitein[57] (1967م) مدينة عيذاب بأنها أحسن مكان يلجأ إليه المَدين هربًا من دائنيه.

---

[56] **الإدريسي**: (1100 ــ 1165م): أبو عبد الله الشريف، رحّالة مغربي ولد في مدينة سبتة، درس في قرطبة وبرع في الجغرافيا والطب؛ استقر في بلاط روجيه الثاني ملك صقلية وصنع له كرة أرضــية من الفضة. من مؤلفاته "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" وهو من أشهر كتب الجغرافيا القديمة.

[57] **شيلومو جوتين Shelomo Goitein**: (1900 – 1985م)، اسمه الأصلي فريتز، مؤرخ يهودي، كان مستعربًا، وقام بدراسة مستفيضة لوثائق جنيزا اليهودية التي عثر عليها في الفسطاط بالقاهرة.

محاولات الاعتداء علي عيذاب

تعرضت عيذاب لكثير من الهجمات علي مدار تاريخها وخاصة من البدو (البجا) الذين يسكنون الصحراء الشرقية (المقريزي، الخطط). كان البدو يغيرون علي المدينة ويسلبون البضائع منها ويسرقون المساكن، وفيما يلي سجل لما جاء في الأدبيات العربية وما جاء في كتابات الرحالة الأجانب:

1- هاجم «قاسم بن أبي هاشم» حاكم مكّة ميناء عيذاب عام 512هـ/1118م واستولي علي البضائع المخزونة به، وقد هدد «الأفضل» حاكم مصر الأيوبي بالانتقام بهجمة بريّة تبدأ قواتها من عيذاب وتنتهي في جدة، ولكنه عاد وآثر السلامة واتفق الطرفان علي التعويض وانتهي الأمر بسلام.

2- هاجم البرنس «أرناط» (انظر الفصل التاسع) الصليبي حاكم الكرك[58] بالشام مدينة عيذاب عام 1181م ودمّر 16 سفينة كانت في الميناء وقد طارده قائد الأسطول المصري «حسام الدين لؤلؤ» وهزم القوات الصليبية وهم في طريقهم لتخريب المدينة المنورة. ويصف «المقريزي» الأحداث في كتابه "السلوك" علي النحو التالي (وسارت البقية نحو عيذاب فقتلوا وأسروا وأحرقوا في بحر القلزم نحو ست عشرة مركبًا وأخذوا بعيذاب مركبًا يأتي بالحجاج من جدة وأخذوا في الأسر قافلة كبيرة من الحجاج فيما بين قوص وعيذاب وقتلوا الجميع وأخذوا مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن وأخذوا أطعمة كثيرة من الساحل كانت معدة لميرة الحرمين وأحدثوا حوادث لم يسمع في الإسلام بمثلها ولا وصل قبلهم رومي إلى ذلك الموضع فإنه لم يبق بينهم وبين المدينة النبوية سوى مسيرة يوم واحد ومضوا إلى الحجاز يريدون

---

[58] الكرك: محافظة في جنوب الأردن. يعيش فيها الكثير من العشائر التي لها وزنها على مستوى الأردن ويمتازون بالنخوة والشهامة والكرم.

المدينة النبوية، فجهز الملك «العادل» وهو يخلف السلطان بالقاهرة الحاجب «حسام الدين لؤلؤ» إلى القلزم فعمر مراكب بمصر والإسكندرية وسار إلى أيلة وظفر بمراكب للفرنج فحرقها وأسر من فيها وسار إلى عيذاب وتبع مراكب الفرنج فوقع بها بعد أيام واستولى عليها وأطلق من فيها من التجار المأسورين ورد عليهم ما أخذ لهم وصعد البر موكب خيل العرب حتى أدرك من فرّ من الفرنج وأخذهم فساق منهم اثنين إلى منى ونحرهما بها كما تنحر البدن وعاد إلى القاهرة بالأسرى في ذي الحجة فضربت أعناقهم كلهم).

3- هاجم الملك النوبي «داود»[59] عيذاب سنة 1272م وقتل واليها وقاضيها وعاد إلي دنقلا آخذًا منها عددًا كبيرًا من المساجين، وابتني بدنقلا مكانًا اسماه عيذاب سخّر في بنائه الأسري وذلك سخرية واستهزاء بالمسلمين، وكان من نتيجة ذلك أن قام الظاهر «بيبرس» بحملة كبري علي بلاد النوبة عام 1267م هزت أركان العرش النوبي وكانت من أقوي أسباب اضمحلال وانهيار مملكة المقرة[60] (بشير، 1979م). ويصف «محمد فريد أبو حديد»[61] ما حدث قائلا: (وقد أغتنم ملك النوبة المدعو «داود»

---

[59] وصلت النوبة لذروة مجدها وأوج قوتها في القرن العاشر الميلادي، ولما اعتلي عرش النوبة ملك يُدعي "داود" عام 1272م قام النوبيون بهجومٍ علي "عيذاب" المدينة المصرية علي ساحل البحر الأحمر وكان هذا آخر عمل عسكري لدولة النوبة وانتهت الدولة المسيحية بعده.

[60] **مملكة المقرة**: (أو المكرّة) مملكة نوبية كانت توجد في جنوب مصر وشمال السودان امتدت من الشلال الثالث حتى الشلال الخامس أو السادس، وسيطرت على طرق التجارة والمناجم وبعض الواحات غربًا وشرقًا. وكانت دنقلا عاصمتها. اعتنقت المقرة المسيحية في القرن السادس الميلادي، ووصلت الجيوش العربية إلى المقرة في عام 651م ولكنها صُدّت، وتم توقيع اتفاق بين الطرفين يضمن للمسيحيين حقوقهم، واستمر هذا الاتفاق ساريًا حتى القرن الثالث عشر الميلادي.

[61] **محمد فريد أبو حديد**: (1893-1967): أديب وكاتب مصري راحل له كثير من المؤلفات الشهيرة أشهرها كتاب صلاح الدين وعصره، كان مميزًا بكتاباته وبحب اللغة العربية والأدب العربى والتاريخ=

فرصة انهماك «بيبرس» بمواجهة الصليبيين والمغول وهاجم ثغر أسوان في جنوبي مصر كما هاجم عيذاب، ولذلك سارع «بيبرس» بإرسال حملتين ضده في عامي 1272م، و1275م، كذلك عمل من قبل على احتلال مدينة سواكن المنفذ البحري لمملكة النوبة على البحر الأحمر عام 1265م، وفيما بعد مع انتقال القبائل العربية إلى النوبة انتشر الإسلام هناك).

4- يقول «ابن بطوطة» إنه مُنع من الحج إلي مكّة بسبب الحرب الدائرة بين حاكم عيذاب والأتراك (المماليك).

5- قام المملوك السلطان «برسباي» بتدمير عيذاب عام 830هـ / 1426م، والغريب أن هذه الواقعة لم تُسجل في أي كتاب كتبه أي مؤرخ عربي (Garcin, 1972[62])، باستثناء ما كتبه الحسن الوزان (ليو الإفريقي).

= الاسلامى وأبطال وفرسان العرب، أحد روّاد القصة التاريخية، ومن أوائل من كتبوا الشعر المرسل، له كتب مترجمات، وانتخب عضوًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

[62] جارسين Garcin: مستشرق فرنسي معاصر، كتب كثيرًا عن عصر المماليك.

3- جغرافية وجيولوجية المناطق المحيطة بعَيْذَاب

العلمُ يجمعُ في جنسٍ، وفي وطنٍ*****شتي القبائل أجناسًا، وأوطــانا

ولم يزِدْكَ كرسمِ الأرضِ معرفةً*****بالأرض دارًا وبالأحياء جيرانا

وقسّـم الأرضَ آكامــا، وأودية*****وفصل البحــرَ أصدافًا ومرجانا

أمير الشعراء

(أحمد شوقي)

جغرافية المنطقة

ينقسم الجزء الجنوبي الشرقي من مصر من الناحية الطبوغرافية إلي جزأين وهما الجزء الشرقي الساحلي حيث يقع ميناء عيذاب والجزء الغربي حيث توجد الجبال المرتفعة وأهمها جبل علبة.

المنطقة الشرقية الساحلية

وهي سهول منبسطة مغطاة بالرمال وتمتد غربًا لمسافة قد تصل إلي 20 كيلومترًا، ويقل اتساعها جنوبًا حيث لا يتجاوز 4 كم، يوجد بالمنطقة بعض الهضاب قليلة الارتفاع وتتميز بالكثبان الرملية خاصة في الركن الشمالي الغربي، وترتفع هذه الكثبان الرملية لدرجة كبيرة تجعل ارتيادها أمرًا بالغ الصعوبة.

المنطقة الغربية

وتتكون من جبال عالية أهمها جبل علبة (1437 مترا) فوق سطح البحر ويأخذ مسقطه علي الخريطة شكل مربع ضلعه حوالي 15 كم، وجبل قاش عامر الذي يرتفع 724 مترًا، وجبل النصلة الذي يرتفع 380 مترا فوق سطح البحر.

يخترق المنطقة عدد كبير من الوديان تتجه من الجنوب الغربي إلي الشمال الشرقي، وأهم هذه الوديان: وادي عيذاب، وادي الدئيت، وادي أكوان، وادي باشوشاي، وادي أشمهاي، وادي يويدر، وادي ايديب، وادي تودهي، وادي لاسيتي ووادي سرمتاي[63]، وكلها تصب في البحر الأحمر (شكل 3-1).

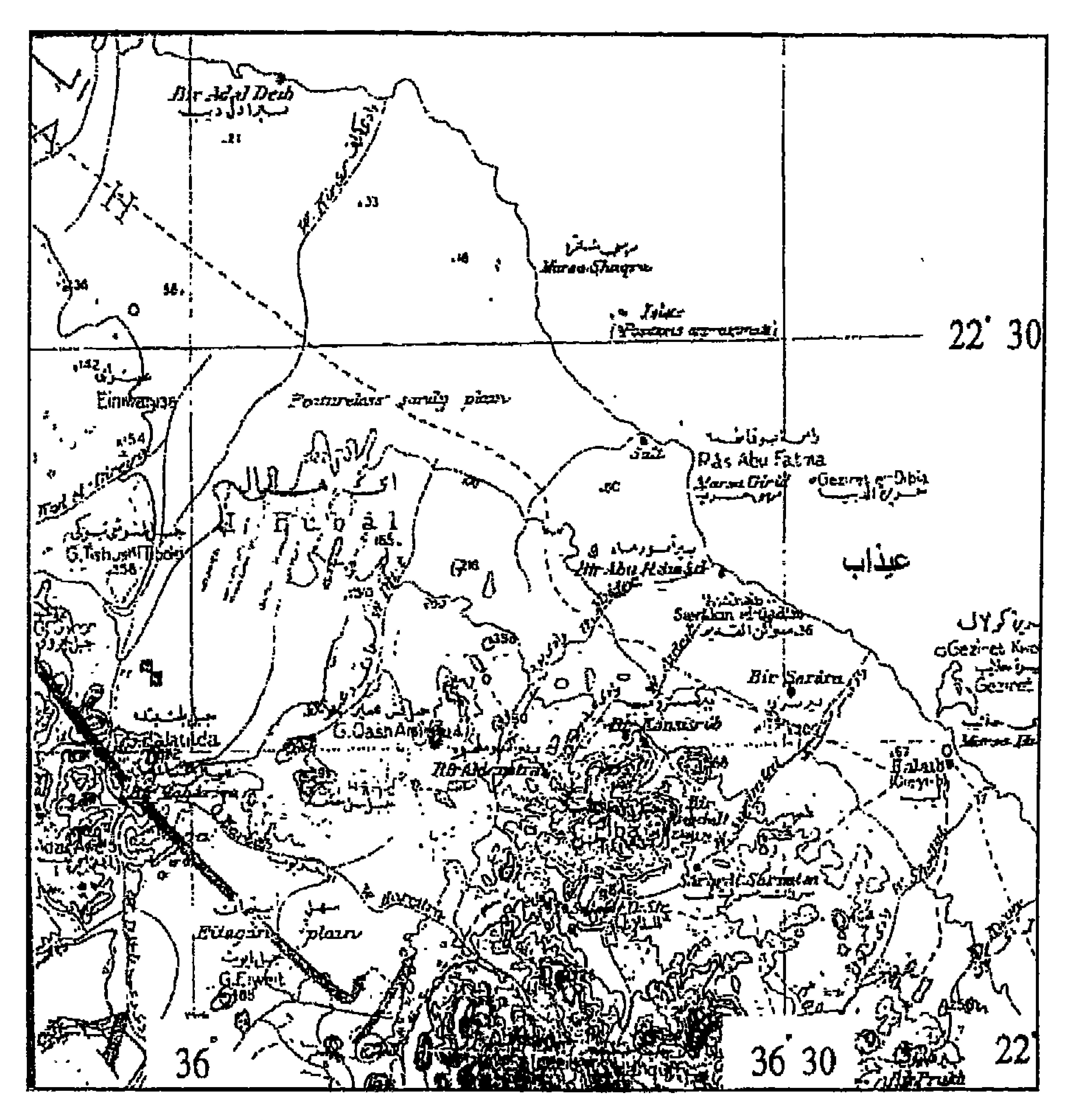
مصادر المياه

يوجد بالمنطقة عدة آبار أهمها بئر حلايب (عمق 16 مترًا) ومياهها متوسطة الكمية وتكاد تكفي للشرب، وبئر أكوامترا[64] (عمق 4 متر) ومياهها غير صالحة للشرب، وبئر كانسيسروب شرق جبل علبة وهي أيضا غير صالحة للشرب. وتمتلئ الآبار في موسم سقوط الأمطار ويستخدمها البدو بعضها في الشرب. ويوضح جدول (3-1) نتائج تحاليل مياه بئري حلايب وأكوامترا.

---

[63] أسماء الوديان معظمها كلمات بشارية لها معني في لغتهم.

[64] **أكوامترا**: اسم أطلقه التجار الايطاليون علي البئر.



شكل (3–1): خريطة طبوغرافية لمنطقة علبة.

المواصلات

الطريق الرئيسي هو الطريق الساحلي الذي يمتد موازيًا للبحر الأحمر، وهذا الطريق يمتد شمالاً حتى مدينة السويس. ويوجد بالمنطقة ميناءان فقط هما ميناء حلايب وميناء البويدر.

جدول (3-1): التحليل الكيميائي لمياه بئري حلايب وأكوامترا

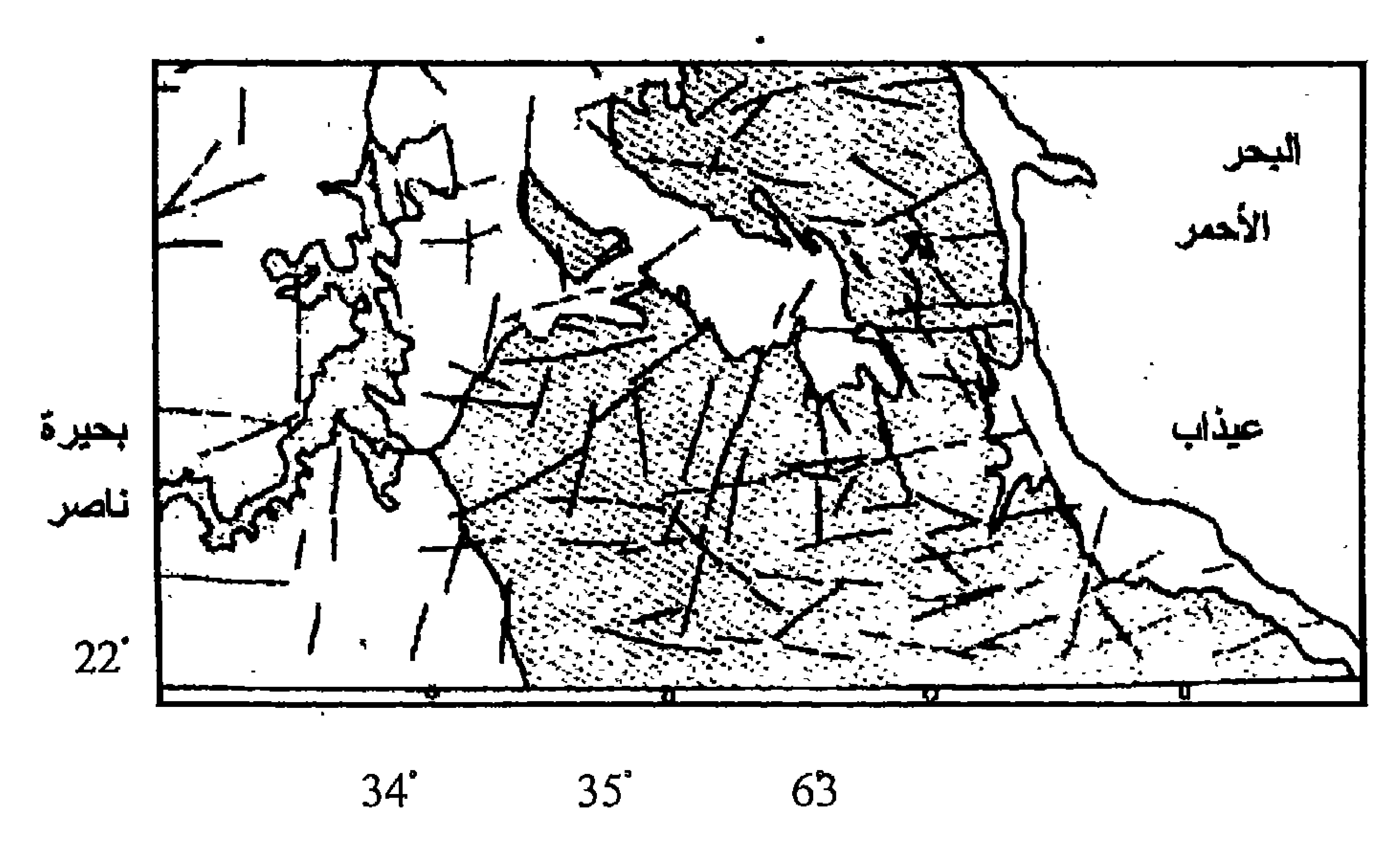
(بسيوني، 1958).

العناصر	نتائج التحليل (جزء في المليون)	
	بئر حلايب	بئر أكوامترا
أ- المواد العضوية		
النشادر الحر والمتحد مقدر كنيتروجين	0.3	0.2
الأزوتيت مقدر كنيتروجين	لا يوجد	لا يوجد
الأزوتات مقدر كنيتروجين	لا يوجد	لا يوجد
ب- المواد غير العضوية		
الأملاح الذائبة علي 120 سنتيجراد	664	1100
كلورور الصوديوم مقدر NaCl	80	570
العسر الكلي مقدر CaO_3	360	510
العسر الدائم مقدر CaO_3	200	150
القلوية الكلية مقدر CaO_3	160	360
الحديد مقدر (Fe)	0.3	0.1
التوصيل الكهربائي	900	1600
التحاليل الإضافية		
المنجنيز	0.1	لا يوجد
النتيجـــة	العينة صالحة للشرب من الوجهة الكيميائية	الأملاح تزيد عن الحد المقرر للمياه الصالحة للشرب

جيولوجية المنطقة

تتكون المنطقـــــة من الصخـــور الآتية مرتبة من الأقدم إلي الأحدث (شكل 3-2):

- حقب ما قبل الكمبري Pre-Cambrian
- الدور الثالث Tertiary
- الدور الرابع.Quaternary



فهرس الخريطة

الصخور الرسوبية		فالق، صدع	
الحدود الجيولوجية		فالق اندفاعي	
الصخور النارية والمتحولة (الركيزة المعقدة، ما قبل الكمبري)			

شكل (3-2): خريطة جيولوجية مبسطة للمناطق المحيطة بميناء عيذاب.

ما قبل الكمبري:

ويمثله الصخور التالية:

1- الصخور الرسوبية المتحولة علي هيئة شست Schist وإردواز وأمفيبوليت، وبها بعض طبقات من الرخام.

2- صخور الابيديوريت Epi-diorite والجرافيت الرمادي.

3- صخور السربنتين المتداخلة، وتكون أجزاءً كبيرة من جبلي صول حامد والوجريم.

4- جرافيت هورنبلندي والذي يكوّن الجبال الكبرى مثل جبل علبة وجبل قاش عامر.

5- العروق الحمضية والقاعدية والتي تقطع الصخور الأقدم، وتتكون الحمضية منها من الأبليت والفلسيت، والقاعدية من الأنديزيت Andesite.

الدور الثالث:

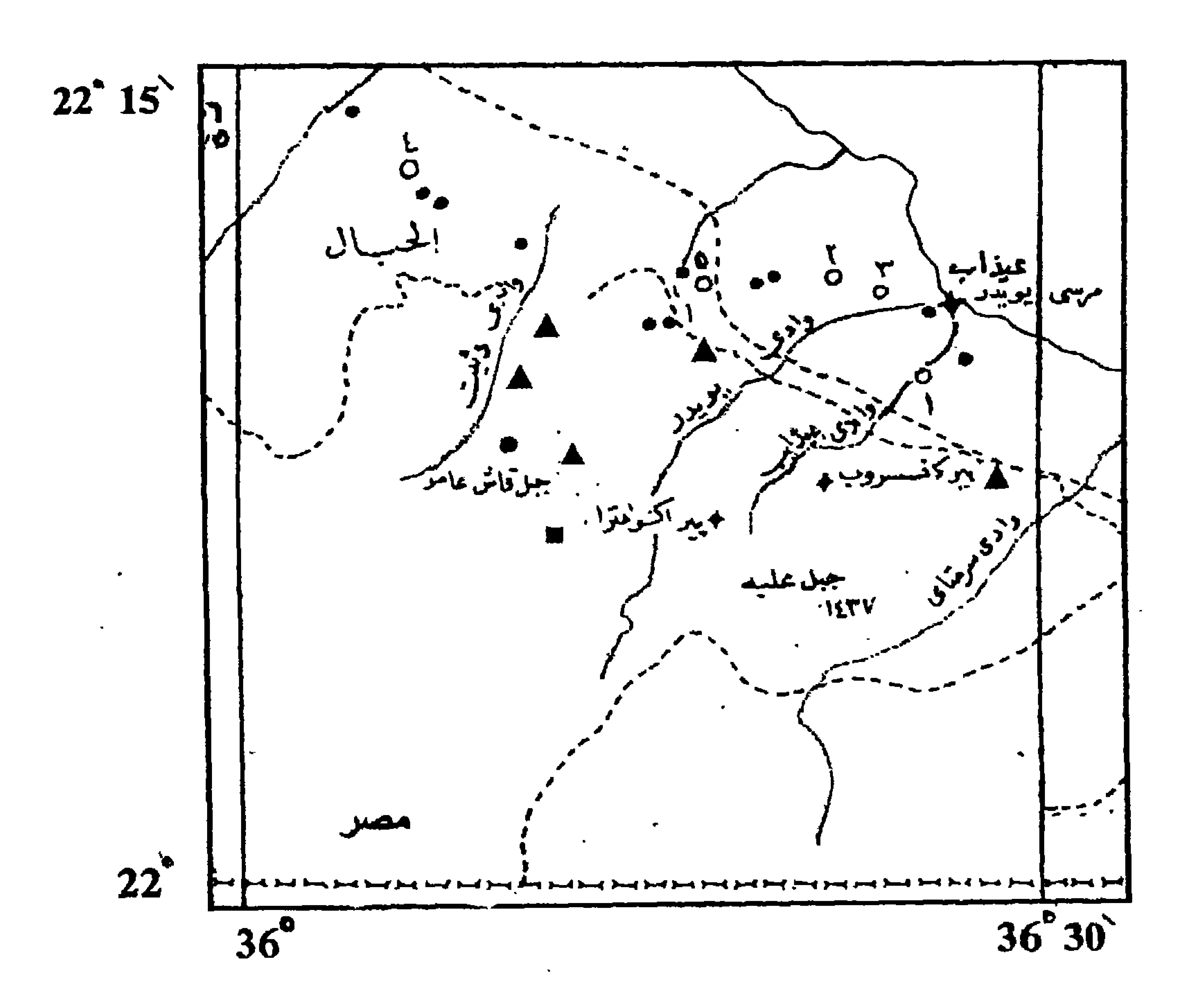
ويتكون من الصخور الرملية والطفلة التابعة لعصر الميوسين Miocene، ويوجد بها طبقات من الجبس تظهر علي هيئة تلال قليلة الارتفاع وتمتد قريبًا من البحر الأحمر.

الدور الرابع:

ويمثل هذا الحقب بصخور الكنجلوميرات والحصى والرمل التابعة لعصر البليستوسين Pleistocene والعصر الحديث، وهي تغطي وديان المنطقة، كما توجد راقدة فوق صخور الميوسين. كما تكوّن أيضًا كثيرًا من السبخات علي امتداد البحر الأحمر.

الخامات المعدنيــــة

يوجد بالمنطقة بعض الخامات أهمها خام المنجنيز الذي يظهر في كثير من الأماكن المتفرقة، بالإضافة إلي بعض التواجدات من الأسبستوس والتنجستن والرخام. ويوضح الشكل رقم (3-3) توزيع هذه الخامات في نطاق جبل علبة غرب ميناء عيذاب.



● = اسبستوس ▲ = تنجستين ■ = رخام O = منجنيز

(الأرقام تدل علي تواجدات خام المنجنيز الهامة)

شكل (3-3): الخامات المعدنية الموجودة شمال جبل علبة.

خام المنجنيز

يعتبر المنجنيز أهم الخامات المعدنية الموجودة في الركن الجنوبي الشرقي من الصحراء الشرقية المصرية، فقد أمكن تسجيل حوالي عشرة مواقع يوجد بها المنجنيز أهمها ستة مواقع رقمت بعض أماكنها في الخريطة (شكل 3-3).

يوجد المنجنيز علي الهيئات المختلفة التالية:

1. عروق تملأ تشققات في الصخور الرسوبية التابعة للعصر الميوسيني والممتدة قريبًا من ساحل البحر الأحمر، كما يوجد كذلك مالئًا لبعض الشقوق بالصخور النارية التابعة لحقب ما قبل الكمبري.
2. جيوب وعدسات في طبقات الصخور الميوسينية، وكثيرًا ما تكون مختلطة بمعدن الكلسيت أو الباريت,
3. طبقات مختلفة السمك موجودة في طبقات من الحجر الرملي والطفلة التابعة لعصر الميوسين.
4. مادة لاحمة لطبقات الكنجلوميرات التابعة لعصر البلسيستوسين، وتنتشر هذه الطبقات في منطقتي حبال وايف انجاب.

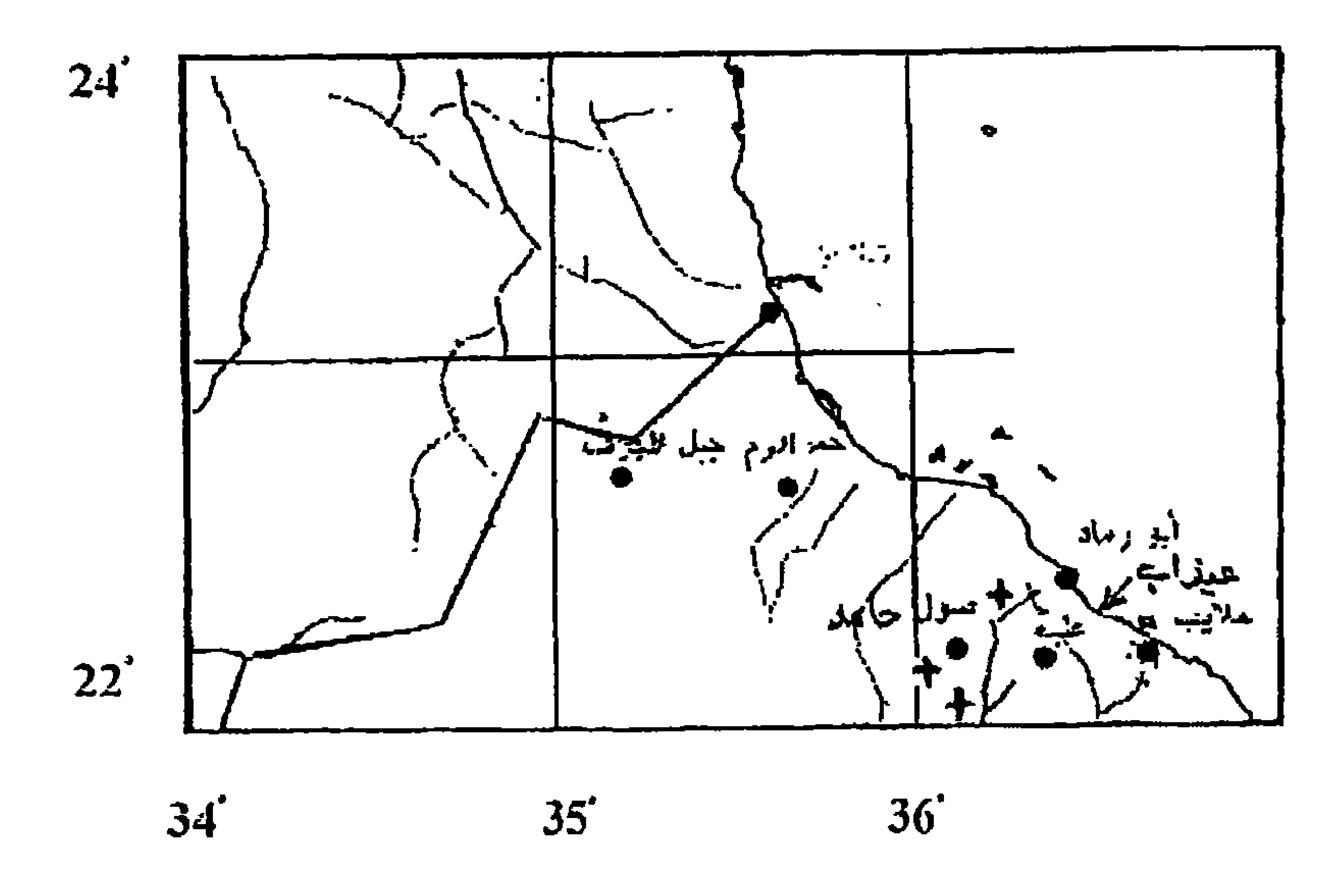
وعروق المنجنيز تكون أما عمودية أو مائلة بزاوية عالية، ويتراوح عرضها من أقل من متر إلي بضعة أمتار، ويصل طولها في بعض المواقع إلي أكثر من كيلومتر واحد، ويتراوح عمقها بين عشرة أمتار وأقل من المتر (أقصي عمق تم تسجيله كان 12 مترًا). ويتركب خام المنجنيز من المعادن التالية: البيرولوزيت Pyrolusite (ثاني أكسيد المنجنيز)، والمنجانيت Manganite (أكسيد المنجنيز المائي) والبسيلوميلان Psilomelane (أكسيد المنجنيز مع كميات مختلفة من الباريوم والبوتاسيوم) (جدول 3-2).

جدول (3–2): التحليل الكيميائي لأهم ست مناطق للمنجنيز في نطاق جبل علبة (بسيوني، 1958).

مسلسل	اسم المنطقة	Mn%	MnO_2%	Fe%	SiO_2%	الكثافة النوعية
1	المتيت	45.22	71.62	1.80	--	3.96
2	ارنجاب	40.00	62.73	8.25	--	3.99
3	وادي بلعوناي	35.30	55.80	11.69	--	4.02
4	الحبال	44.39	70.19	1.64	4.38	3.53
5	ايف انجاب	48.00	77.18	4.72	--	4.00
6	وادي الدنيب	48.76	77.37	4.72	1.30	4.00
المتوسط		**43.48**	**69.14**	**5.47**	**2.84**	**3.90**

خام الكروم

يوجد الكروميت في صخور السربنتين التي تكوّن جبل صول حامد بين وادي الدئيب ووادي ايكوان، وقد سُجلت 13 عدسة من الكروميت يتراوح طولها الظاهر فوق سطح الأرض بين 11 متر ونصف متر وعرضها بين 4 متر ونصف المتر. والخام من النوع الجيد حيث تتراوح نسبة أكسيد الكروم فيه بين 40 و60%، ولا تزيد نسبة السيليكا عن 6% (شكل 3–4).



شكل (3-4): تواجد خام الكروميت غرب حلايب.

خام الماجنيزيت

يوجد علي هيئة عروق رفيعة بيضاء غير منتظمة تملأ شقوق السربنتين وفواصله، ويتراوح سمك هذه العروق بين سنتيمتر و70 سم. وقد تم تسجيل وجود الماجنزيت فى ثماني عشر منطقه مكتشفة حديثا خلاف المناطق المستغلة حاليًا وأهمها منطقه جبل الصول حامد وعمومًا فإن احتياطات الماجنزيت فى مصر قليله نسبيًا مقارنه بما يوجد فى السودان أو عُمان. ويوجد مصدر آخر لصخور الماجنزيت المختلطة بصخور الكربونات نتيجة تحول صخور السربنتينيت الخضراء بما يسمى تلك كربونات ماجنزيت.

ومتوسط التحليل الكيميائي علي النحو التالي:

أكسيد الكلسيوم = 21.76%

أكسيد الحديديك = 1.03%

أكسيد الألومنيوم = 0.08%

أكسيد المغنسيوم = 29.45%

سيليكا = 0.30%

فاقد الاحتراق = 45.03%

خام الحديد

يوجد الحديد من النوع المتحول الرسوبي (BIF) بوادي اليويدر شمال جبل علبة علي هيئة طبقة ينكشف منها مساحة 13 x 7 مترا وتصل نسبة أكسيد الحديديك به إلي حوالي 74% ولا تزيد نسبة السيليكا عن 3%.

كما يوجد الحديد علي هيئة عدسات من الماجنيتيت (أكسيد الحديد المغنطيسي) في صخور الجابرو التي تكوّن تلال منطقة حمرا دوم شمال غرب جبل علبة. ويتضح من التحليل الكيميائي أن الخـام من النوع الجيد الذي يحتوي علي نسبة عاليـة من أكسيد التيتانيوم.

يتميز حديد حمرا دوم بخاصية مغنطيسية قوية، وتدل الشواهد الجيولوجية علي أن بالمنطقة عدساتٍ أخري يحتاج اكتشافها إلي مزيد من الدراسة الحقلية.

خام التنجستين

يوجد الولفراميت Wolframite (أكسيد التنجستن) بمنطقة علبة في عروق رفيعة من الكوارتز لا يزيد سمكها عن عدة سنتيمترات وبالرغم من التفاوت الكبير في تركيز الخام من عرق إلي آخر إلا أن الأمر يحتاج إلي مزيد من الدراسة والبحث نظرًا للقيمة الاقتصادية العالية للمعدن.

الرخام

توجد بعض طبقات الرخام في الصخور الرسوبية المتحولة خاصة جنوب جبل قاش عامر، ويصل سمك بعضها إلي عشرة أمتار.

البازلت

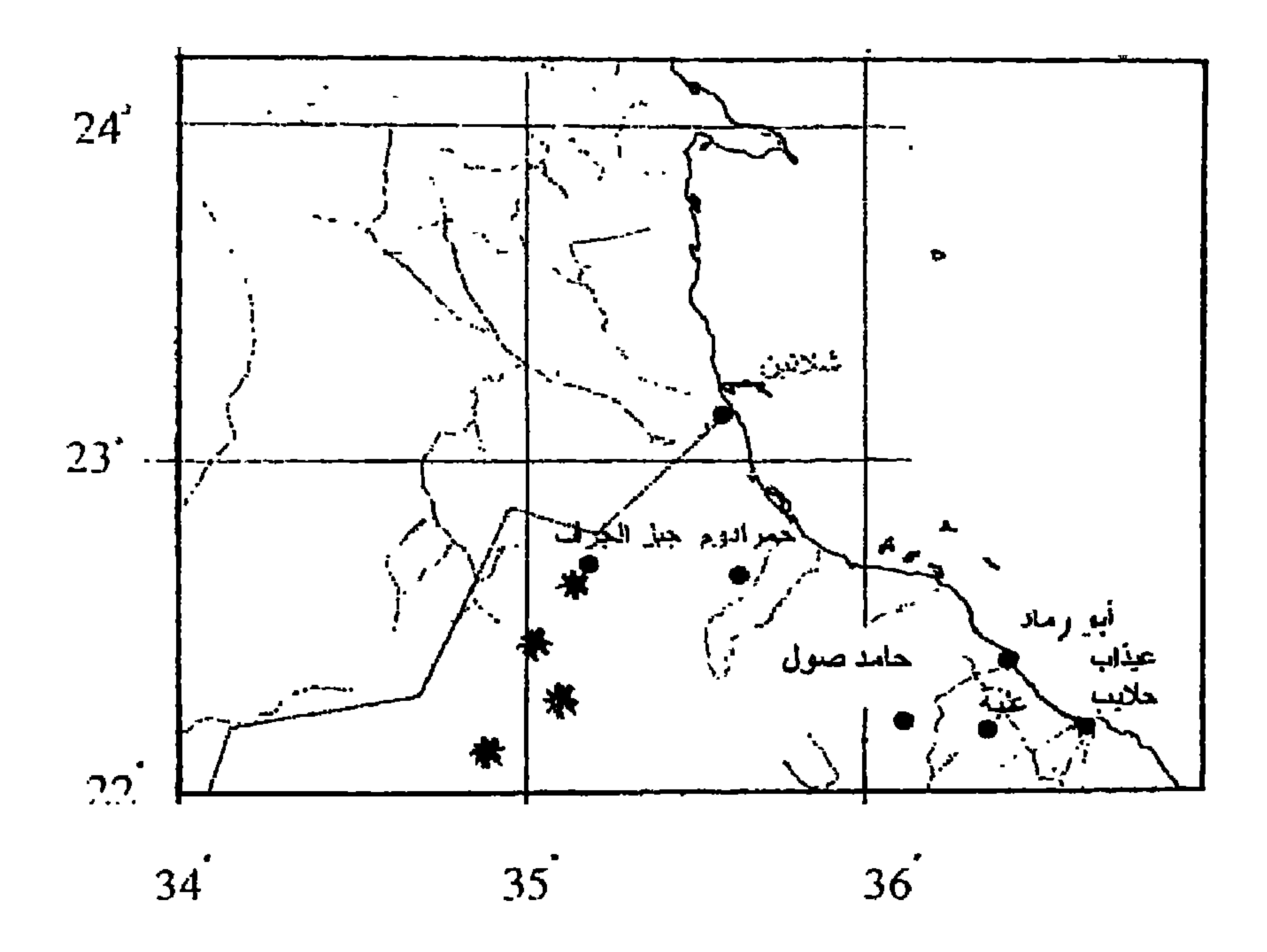
يوجد البازلت في المنطقة المحصورة علي هيئة طفوح بازلتية علي شكل حزامين متوازيين يأخذان الاتجاه شرق – غرب تقريبًا. يمتد الحزام الأول الشمالي بين بهوكت في الشرق وجبل كولمناب في الغرب بطول 12 كم وعرض 1.5 – 3 م، بينما يمتد الحزام الجنوبي بمحاذاة وادي حلال صنديب المتفرع من وادي الدريدة بطول حوالي 15 كم وعرض 1 – 3 كم.

أما في منطقة جبل الواقف فيتواجد البازلت على شكل مخاريط بركانية مبعثرة تمتد في اتجاه شمال غرب – جنوب شرق، ويمتد تجاه الشمال والجنوب خارج نطاق المنطقة؛ يوجد الخام على شكل صخور دقيقة الحبيبات، متماسكة وذات لون أخضر داكن جدًا تنتمى للدور الثالث Tertiary.

الذهب

يمكن تقسيم توزيع تواجد الذهب في مثلث حلايب إلي قطاعين:

- القطاع الجنوبي الشرقي: موجود جنوب برنيس على البحر الأحمر ويضم حوالي 7 مواقع أشهرها أم عليجة – بيتان – عرجة الريان – حوتيت – القليب – روميت – كروبباي (شكل 3–5).
- القطاع الجنوبي الغربي: يقع في نطاق وادي العلاقي ويضم حوالي 19 موقعًا للذهب أشهرها أم جرايات – حيمور – أم الطيور – سيجة– شاشوبة.



شكل (3-5): تواجدات الذهب في مثلث حلايب.

4- البجا: سكان منطقة عَيْذَاب الأصليون

(التاريخ والأصول)

فيك طبعُ الأسدِ صالحتَ أو حاربتَ****وفيكَ طبعُ البرامِكَـــةِ بَعُدت أو قَرُبت

فيك طبعُ الملوكِ شَرّقتَ أو غَرَبتَ****وفيك طَبْعُ الحَكيمِ لُقمان حللت أو ربطت

(الشاعر البجاوي: عكير الدامر)

عُرف شعب البجا عند كُتَّاب الرومان ومؤرخيهم باسم (البلامس) Blemmyes[65] ولكن اسم البجا (أو البيجاء أو البجة) اشتهر عند مؤرخي العرب في صدر الإسلام ،وهو الاسم الذي استمر بعد ذلك إلي يومنا هذا. وأشهر من اهتم بتاريخ البجا من العرب المؤرخ العربي «أبو الفدا»، والذي دوّن تاريخهم في كتابه (تقويم البلدان)، وكذلك «القزويني» في كتابه (آثار البلاد وأخبار العباد)، وكتب عنهم أيضًا «المقريزي» و«ابن الوردي» والمؤرخ العربي الشهير «ياقوت الحموي» في كتابه (معجم البلـــدان). ويقول «ابن حوقل»: (وإذا أخذت من القادم غربي هذا البحر فإنه ينتهي إلي برية قفرة لا شيء فيها إلي أن يتصل ببادية أو البجا.قوم أصحاب أخبية[66] من شعر وهم أشد سوادًا من الحبشة وأرض النوبة وأرض مصر وأرض معدن الذهب).

---

[65] البليمس: هم من نطلق عليهم الآن البشارية والعبابدة. كانت قبائل البجا كرعاة يعيشون علي الرعي وتجارة الأحجار الكريمة التي توجد في بعض الجبال وخاصة في وادي العلاقي وجزيرة الزبرجـــد، ويصفهم الرحّالة العرب بأنهم شعب شرس محب للحرب.

[66] أخبية: بيوت الأعراب من شعر أو صوف، (لسان العرب).

أصل البجا

اختلف مؤرخو العرب اختلافًا كثيرًا في أصل البجا، فـ «القزويني» يرى أن البجا صنف من الحبشة، بينما يصفهم «ابن الوردي[67]» بأنهم (قوم شديدو السواد، عراة الأبدان، يعبدون الأوثان ولهم عدة ممالك وهم أهل أُنس وحسن وتلطف مع التجار الذين يحطّون رحالهم ببلادهم)، ولكن «المقريزي» يضعف القول بنسبتهم إلي الحبشة ويقول (البجا بادية – بدو – قيل في أصلهم أنهم قبيلة من الحبشة – ولكنهم – أشد سوادًا من الأحباش ويتزيون بزي العرب) ويقوّي «المقريزي» صلتهم بالعرب رغم سواد لونهم بالنظر إلي حياتهم الاجتماعية فإنهم (كالعرب، قبائل وأفخاذ، لكل فخذ رئيس ... وكانوا – مثل العرب – قبل الإسلام يعبدون الأصنام ولكل بطن كاهن يستفتونه في أمورهم)، ويري «المقريزي» في خططه أنهم قوم خليط من العرب والأحباش فيقول إن (أبدانهم صحاح وبطونهم خماص وألوانهم مشرقة الصفرة وتقاطيعهم غليظة ووجوههم طويلة عريضة وأنوفهم بارزة قليلاً وشعورهم فلفلية غير متلبدة وذلك دليل اختلاطهم).

وينتهي «نعوم شقير» في كتابه (تاريخ السودان) إلي (أن البجا انقسموا إلي عدة قبائل جسيمة وهم العبابدة والبشاريين والأُمارار والهدندوة والحلانقة والحباب وبني عامر وكلهم يدينون بالإسلام ويدّعون النسبة إلي العرب وما هم

---

[67] **ابن الوردي** (672 - 732هـ / 1273 - 1331م): هو الأديب أبو حفص عمر بن مظفر ابن محمد الوردي شاعر أديب مؤرخ، ولد في سوريا، أشتهر بلاميته التي يوصي بها بالتقوى والعلم، واشتهر بكتاب "المختصر في أخبار البشر"، ويعرف بتاريخ أبي الفداء، ذكر فيه تاريخ ما قبل الإسلام، ثم تاريخ الإسلام إلى سنة (729هـ)، وكتاب تقويم البلدان في الجغرافيا العامة، جعله على شكل جداول، وقـدّم ما يجب معرفته من ذكر الأرض والأقاليم.

بعرب بل ربما في بعض خاصتهم دم عربي أمّا عامتهم فلا مشاحة في أنهم بجا).

صفات البجا

يقول أبو الفدا في "تقويم البلدان" إن (البجا أهل أنس وحسن وتلطف وهم أصحاب ذمة فإذا غدر أحدهم رفع المغدور به ثوبًا على حربة وقال هذا عرش فلان يعني أبا الغادر، فتصير سيئة عليه إلي أن يترضاه، وهم يبالغون في الضيافة ،فإذا طرق أحدهم الضيف ذبح له، فإذا تجاوز الضيف ثلاثة نحر لهم من أقرب الأنعام إليه له أو لغيره، وإن لم يكن شيء نحر راحلة الضيف وعوضَّه ما هو خير منها، وهم يركبون النجب الصهب من الجمال)، ولكن لـــ «المقريزي» رأيًا قاسيًا فيهم فـــ (البجاة أضل من الأنعام سبيلاً وأقل عقولاً، لا دين لهم سوى كلمة التوحيد مع مذاهب فاسدة، وهم عراة يسترون عوراتهم بخرق، وعيش أهل عيذاب عيش البهائم وهم أقرب إلي الوحش منهم إلي الإنس).

علاقاتهم بالعالم الخارجي والعرب

كانت للبجا علاقات قوية ببلاد الحبش ومصر، تقول «نادية بدوي» في كتابها (يوميات باحثة مصرية في حلايب) إن الفراعنة قد استعانوا بالبجا في مختلف الأعمال الحربية الخاصة بحماية الباب الشرقي لمصر وهو ساحل البحر الأحمر حتى أن العالم الإنجليزي «سيلجمان» عدَّ البجا الوارثين الحقيقيين للتراث الثقافي والفيزيقي والتاريخي للفراعنة – فهم – قد شاركوا مع «رمسيس الثاني» في حربه للهكسوس وقد مجّدهم «رمسيس» بنقش صورهم بجواره في الحرب كما يبدو ذلك في لوحات معبد إدفو.

وللبجا اتصال بالعرب قبل الإسلام بزمن طويل وازدادت علاقتهم بالعرب بعد دخول الإسلام مصر ونزوح قبائل من العرب لديار البجا، ومن أبرز القبائل التي استوطنت ديار البجا، قبيلة ربيعة وقبائل من قحطان، ومال البجا إلي ربيعة وتزوجوا منهم فاشتدت شوكة البجا بربيعة وقويت ربيعة بالبجا علي قبائل قحطان ممن سكن تلك المنطقة من العرب. وظلت مملكة البجا تابعة لمصر مثل مملكة النوبة، ولما كثرت غزوات البجا لصعيد مصر أمر «المأمون بن هارون الرشيد» «عبد الله بن جهم» بالخروج إليهم وإخضاعهم وذلك في عام (210هـ / 831م)، وكانت الحرب سجالاً بين العرب والبجا ثم تهادنوا وتعاهدوا أكثر من مرة.

كان علي رأس البجا الملك «كنون بن عبد العزيز» ولكن غزوات البجا ظلت متواصلة علي صعيد مصر، فقد غزت البجا أيام ولاية «عبد الرحمن بن عمر بن عبد الحميد العمري» وبقيت مملكة البجا رغم كل تلك الثورات تابعة لمصر حتى استيلاء السلطان «سليم العثماني» على مصر عام 923هـ، فسلخ بلاد البجا من مصر وألحقها بالحجاز ثم أُلحقت أرض البجا بالسودان (دولة الفونج) عام 1000هـ في عهد وزارة «عجيب المانجلوك»، ثاني وزراء العبدلاب (وليد الطيب، شبكة المشكاة الإسلامية، الانترنت).

يقول «المقريزي» في المواعظ والاعتبار في ذكر الخطب والآثار في الجزء الأول عند ذكر البجا (ويقال إنهم من البربر اعلم أنّ أول بلد البجا من قرية تعرف بالحزبة معدن الزمرد في صحراء قوص وبين هذا الموضع وبين قوص نحو من ثلاث مراحل وذكر «الجاحظ»[68] أنه ليس في الدنيا معدن

---

[68] **الجاحظ:** أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب الكناني الليثي البصري، (159-255هـ) أديب عربي من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها. كان ثَمّةَ نتوءٌ واضحٌ في حدقتيه فلقب بالحدقي ولكنّ اللقب الذي التصق به أكثر وبه طارت شهرته في الآفاق هو الجاحظ،=

للزمرد غير هذا الموضع وهو يوجد في مغاير بعيدة مظلمة يدخل إليها بالمصابيح وبحبال يُستدل بها على الرجوع خوف الضلال ويحفر عليه بالمعاول فيوجد في وسط الحجارة وحوله غشيم دونه في الصبغ والجوهر وآخر بلاد البجا أول بلاد الحبشة وهم في بطن هذه الجزيرة أعني جزيرة مصر إلى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودهلك وهم بادية يتبعون الكلأ حيثما كان الرعي بأخبية من جلود).

وقال «أبو الحسن المسعودي»: (فأما البجا فإنها نزلت بين بحر القلزم ونيل مصر وتشعبوا فرقًا وملَّكوا عليهم ملكًا وفي أرضهم معادن الذهب وهو التبر ومعادن الزمرّد وتتصل سراياهم ومناسرهم على النجب إلى بلاد النوبة فيغزون ويسبون وقد كانت النوبة قبل ذلك أشد من البجا إلى أن قوي الإسلام وظهر وسكن جماعة من الباحثين عن معدن الذهب في بلاد العلاقي وعيذاب وسكن في تلك الديار خلق من العرب من «ربيعة بن نزار بن معدّ بن عدنان» فاشتدّت شوكتهم وتزوّجوا من البجا فقويت البجا ثم صاهرها قوم من ربيعة فقويت ربيعة بالبجا على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم ممن سكن تلك الديار).

وقال «الهمدانيّ»[69] عن أصل البجا (نكح كنعان بن حام أرتيب بنت شاويل بن ترس بن يافث فولدت له حقا والأساود ونوبة وقران والزنج والزغاوة

=عمّر الجاحظ نحو تسعين عامًا وترك كتبًا كثيرة يصعب حصرها، وإن كان البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، والبخلاء أشهر هذه الكتب. كتب في علم الكلام والأدب والسياسية والتاريخ والأخلاق والنبات والحيوان والصناعة والنساء وغيرها.

[69] الهمداني: أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت. 334هـ)، يمني، من أعظم جغرافي جزيرة العرب في عصره، وكان شاعرًا كذلك، وله إحاطة بعلوم الفلك والحكمة والفلسفة والكيمياء، ويعتبر كتابه "الجوهرتين العتيقتين" من المراجع الهامة، فقد درس المعادن المعروفة في عصره وخواصها=

وأجناس السودان وقيل: البجا من ولد حام بن نوخ وقيل من ولد كوش بن كنعان بن حام، وقيل البجا قبيلة من الحبش أصحاب أخبية من شعر، وألوانهم أشدّ سوادًا من الحبشة يتزيون بزيّ العرب وليس لهم مدن ولا قرى ولا مزارع ومعيشتهم مما ينقل إليهم من أرض الحبشة وأرض مصر والنوبة).

وكانت البجا تعبد الأصنام ثم أسلموا في إمارة «عبد الله بن سعد بن أبي سرح»[70] وفيهم كرم وسماحة وهم قبائل وأفخاذ لكل فخذ رئيس وهم أهل نُجْعَة[71] وطعامهم اللحم واللبن فقط.

=وطرق تنقيتها واستعمالاتها الصناعية والطبية، كما ألف كتاب "صفة جزيرة العرب" حيث قدم أدلة علي كروية الأرض.

[70] **ابن أبي سرح:** عبد الله بن سعد (ت. 57هـ)، أخو الخليفة عثمان من الرضاعة، كان واليًا لعمر على الصعيد، ثم ولاه عثمان مصر كلها سنة 25هـ وعزل عنها عمرو بن العاص ففتح إفريقيا وبقي أميرًا على مصر حتّى سنة 34هـ. من غزواته غزوة ذات الصواري البحرية.

[71] **أهل نُجْعَة:** طلب الكلأ ومساقط الغيث (المعجم الوسيط).

5- عَيْذَاب والرحالة الأجانب

فديتُكِ مصرُ، كلُّ فتي مشوقٌ**** إليك، وكل شيخ فيك صبٌّ
أراك وأينمـــا وليتِ وجهي**** أري مهَجًا لوجهكِ تَشْرئبُّ
وأرواحٌ عليك محوِّمات لها***** فوق الضفاف خُطيٌ ووثْب
شاعر الجندول
(علي محمود طه)

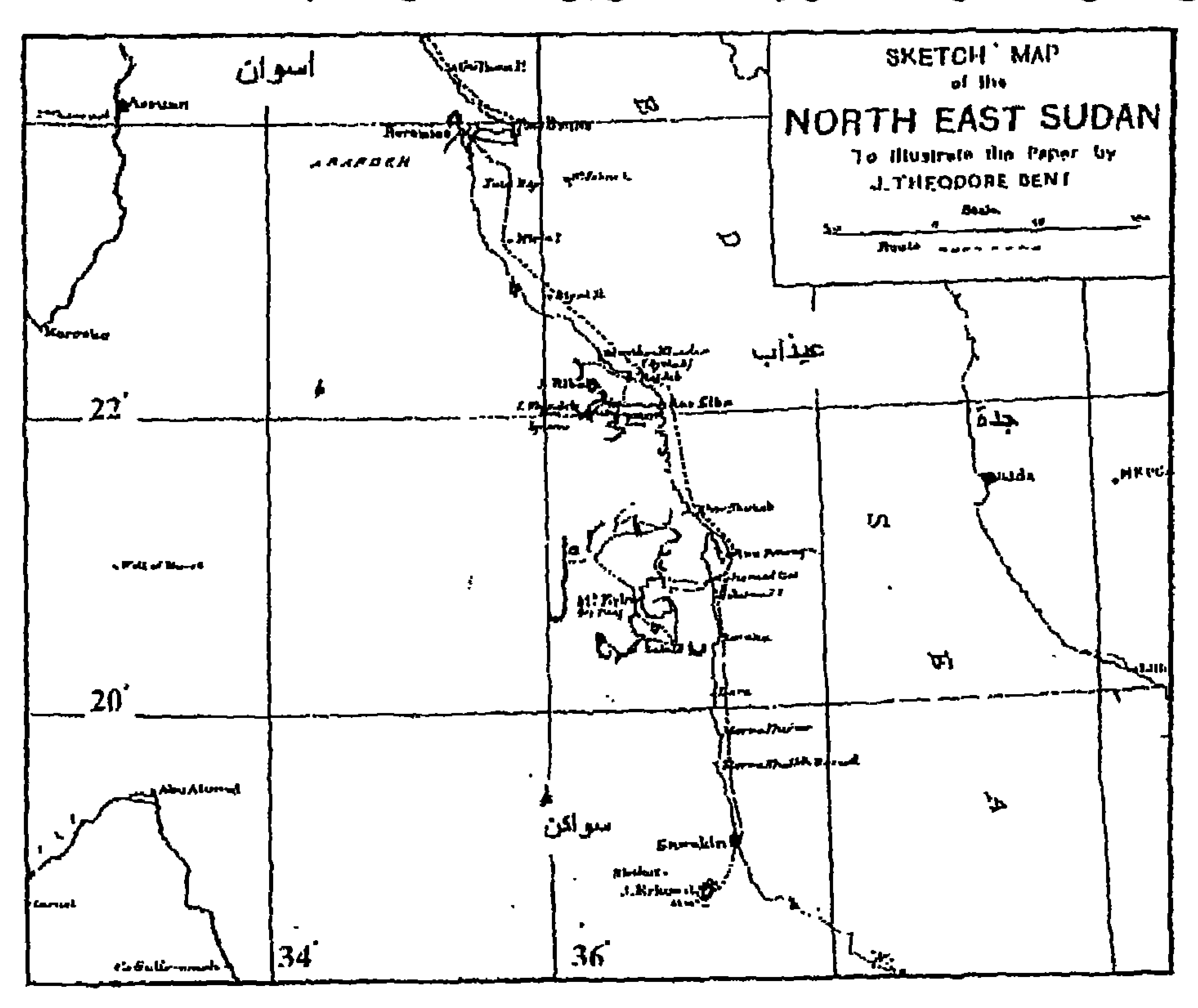
جاء ذكر عيذاب لأول مرة في كتابات الأجانب وخاصة الأوربيين في أواخر القرن التاسع عشر، ويبدو أن «فلوير» Floyer[72] كان أول من تعرف علي أطلال المدينة عام 1892م وتبعه بعد ذلك بعام العالم الأثري البريطاني «تيودور بنت» (Bent, 1896) الذي زار المنطقة والتي كانت تعرف حينئذ باسم "سواكن القديمة" الواقعة علي بعد 20 كم شمال حلايب واعتبرها موقع مدينة عيذاب التي ورد ذكرها في المصادر الإسلاميـــة، خاصة كتب «أبو الفدا» و«الإدريسي»، ورسم خريطـــة لجنـــوب مصر وشمال شرق الســـودان (شكل 5-1)، ووصفها بأنها تشبه ميناء «برنيس» أي أنها عبارة عن مجموعة من التلال الصغيرة.

لم يفحص "بنت" من هذه التلال إلا تلاً واحدًا ويبدو أنه لم يعثر علي أكثر من بقايا مخطوطات كوفية بالإضافة إلي عدد من المقابر المبنية من الحجر

---

[72] ارنست فلوير: (1852 – 1903م) بريطاني، كان مديرًا للتلغراف المصري وقام بـــرحلات فـــي الخليج الفارسي (العربي)، وفي 1887م استطاع استكشاف ومسح "طريقين في الصحراء الشرقية من مصر" بين النيل والبحر الأحمر. وفي 1891م قام باستكشاف مسالك واسعة من الصحراء الشـــرقية، وهناك وجد سلالاً تحتوي على الزمرد أخذها مع محتوياتها وجاء بها إلى لندن واكتشف ثروة كبيـــرة من المعادن مثل الذهب والنحاس والرصاص، وله دراسات جيولوجية في الصحراء الشرقية وعرض أعماله علي الجمعيات الجيولوجية في لندن. وله أيضًا بعض الدراسات التاريخية واللغوية.

المرجاني Madrepore[73] المدفون في الأرض، وقد فتح بعض هذه المقابر ولكنه لم يعثر إلا علي بقايا بعض العظام الآدمية، واستنتج أن المدينة لا بد وأنها قد بنيت علي جزيرة أو خندق مائي حفر حولها لحمايتها وقد سدت بعد ذلك بالطين، وقد لاحظ أن صهاريج المياه لا زالت في حالة جيدة، وسمع من الأهالي أن بعض المخطوطات الكوفية كانت موجودة منذ سنوات قليلة.



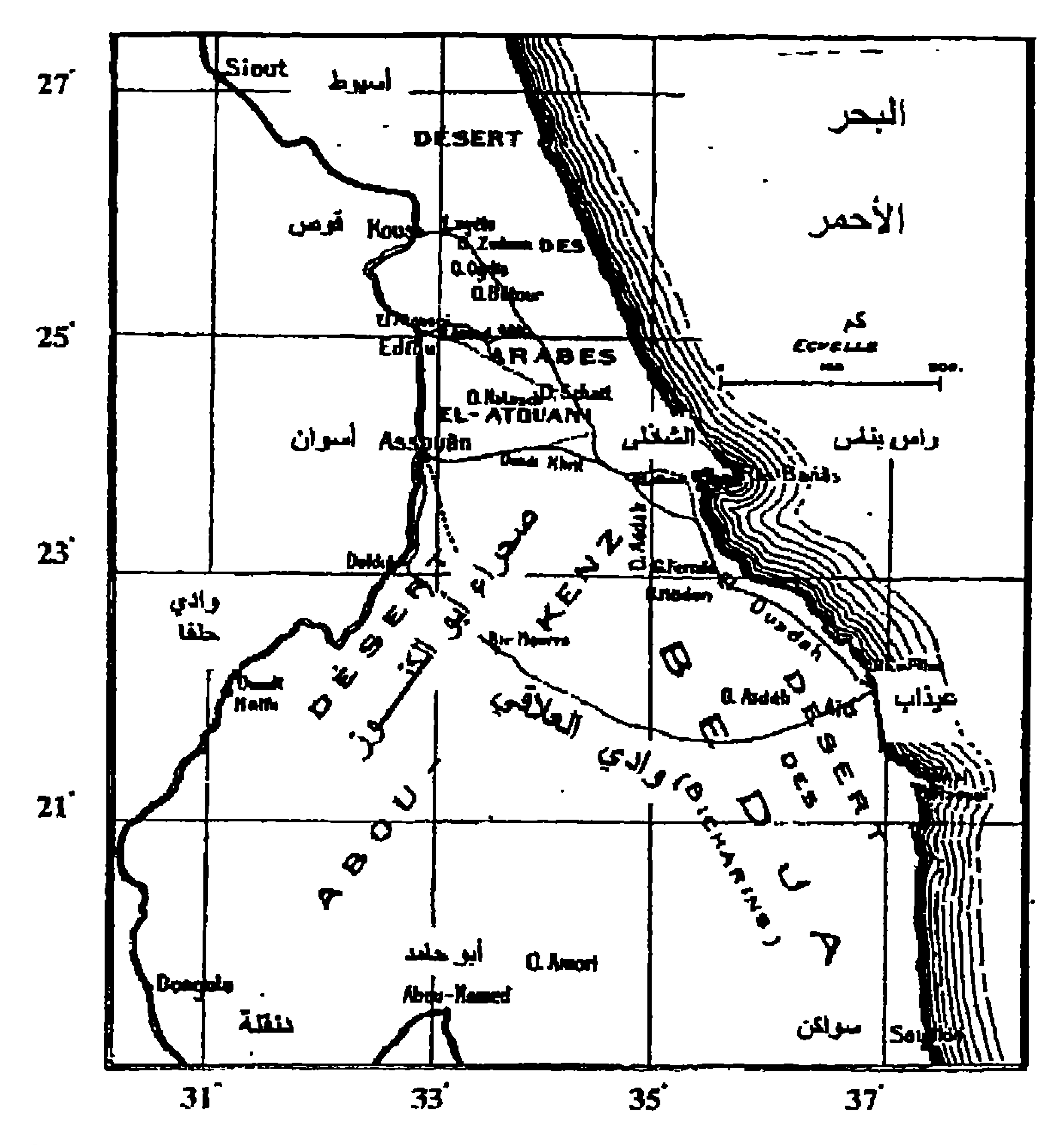
شكل (5-1): خريطة لجنوب مصر وشمال شرق السودان رسمها ونشرها تيودور بنت عام 1896م في المجلة الجغرافية البريطانية.

جاء "كوييه" Couyat، الذي قام برحلتين إلى صحراء عيذاب عام 1909 و1910م، فحدد موضعها عند "رأس علبة" جنوب بيرنيس على خط

[73] **Madrepore**: كتل من الشعاب المرجانية من جنس Genus يحمل نفس الاسم، وكان يستخدم في البناء في مناطق الشواطئ الدافئة التي تنمو فيها المرجانيات.

عرض 22 درجة تقريبًا وأكد علي أهمية عيذاب ودرس بالتفصيل الطرق التي تخترق الصحراء من قوص وإدفو وأسوان والتي تؤدي إليها، ويبدو أن الأمر قد اختلط عليه وتصور أن عيذاب هي حلايب الواقعة عند رأس علبـــة، أي فـــي جنوب برنيس القديمة تقريبًا، والتي تعتبر مقرًا للشرطة منذ القرن التاسع عشر، وأشار «كوبيه» إلي أن منطقة "عيذاب" كانت مزدهرة جدًا علـــي يـــد التجـــار العرب اليمنيين الذين استقروا في هذه المنطقة وجلبوا بضاعتهم من مدينة قوص التي كان لها شأن كبير في الصعيد ولم يكن هناك ميناء آخر معروف في البحر الأحمر في أهمية هذا الميناء، ويرجع ذلك إلـــى تـــأثير الحجـــاج والمســـافرين المسلمين الذين اتخذوا هذا الطريق في بعض الأوقات كطريق يؤدى إلى مكّـــة المكرمة (شكل 5-2).

وصف «كوبيه، 1911م» مدينه عيذاب بأنها مهمة جدًا وأنها مليئة بأهل البلد العرب الذين وبعدد من المسيحيين واليهود اللذين كـــانوا يســـكنون بعـــض الجزر في البحر الأحمر وخاصة في المرحلة التي كانـــت بعيـــدة قلـــيلاً عـــن الاحتلال البيزنطي، ويؤكد أن المدينة تعرضت إلى سقوط بسبب مرحلة خطيرة من المجاعة التي شملت "الصعيد" وقد أدت هذه المشكلة إلى فقر بعض التجـــار العرب والهنود،.وكان يسكن المنطقة الصحراوية المجاورة للنوبـــة والصـــعيد والتي تصل إلى "سواكن" قبائل البجا الوثنيون الذين لقبهم العرب بهذا الاسم، أما اليونانيون والأقباط فكانوا يلقبون هؤلاء الناس باسم البلامس "Blemmyes".



شكل (5-2): الطرق في صحراء عيذاب، جنوب شرق الصحراء الشرقية (عن Couyat, 1911).

وأوضح «كوييه» أن ثرواتِ أرض البجا كانت لا تكفيهم بل كانوا يطمعون في الشعوب الأخرى ولذلك كانوا كثيرًا ما يغيرون علي وادي النيل وينهبون القرى وقد حققوا كثيرًا من الانتصارات وخاصة مع النوبيين.

وفي الربع الأول من القرن العشرين قام العالم البريطاني «موراي» بزيارة المنطقة ودرسها دراسة تعتبر من الكلاسيكيات التي اعتمد عليها كل من جاء بعده (Murray, 1926)، فقد كان أول من رسم تخطيطًا للمدينة وضّح عليه امتداد المنطقة السكنية وصهاريج المياه والمقابر (شكل 5-3)، كما توضح الخريطة أيضا الأراضي المنخفضة في الجزء الجنوبي الغربي حيث وجد هناك حوضًا صغيرًا مملوءًا بمياه الأمطار أثناء زيارته، كما قام بتحديد قبلة أحد المساجد

التي لا زالت بقاياها موجودة حتى الآن وقام بقياس أبعاد صهاريج المياه الثلاثة والتي سبق واكتشفها «بنت» Bent (جدول 5-1).

جدول (5-1): أبعاد صهاريج المياه الثلاثة بالمتر في عيذاب (Murray, 1926)

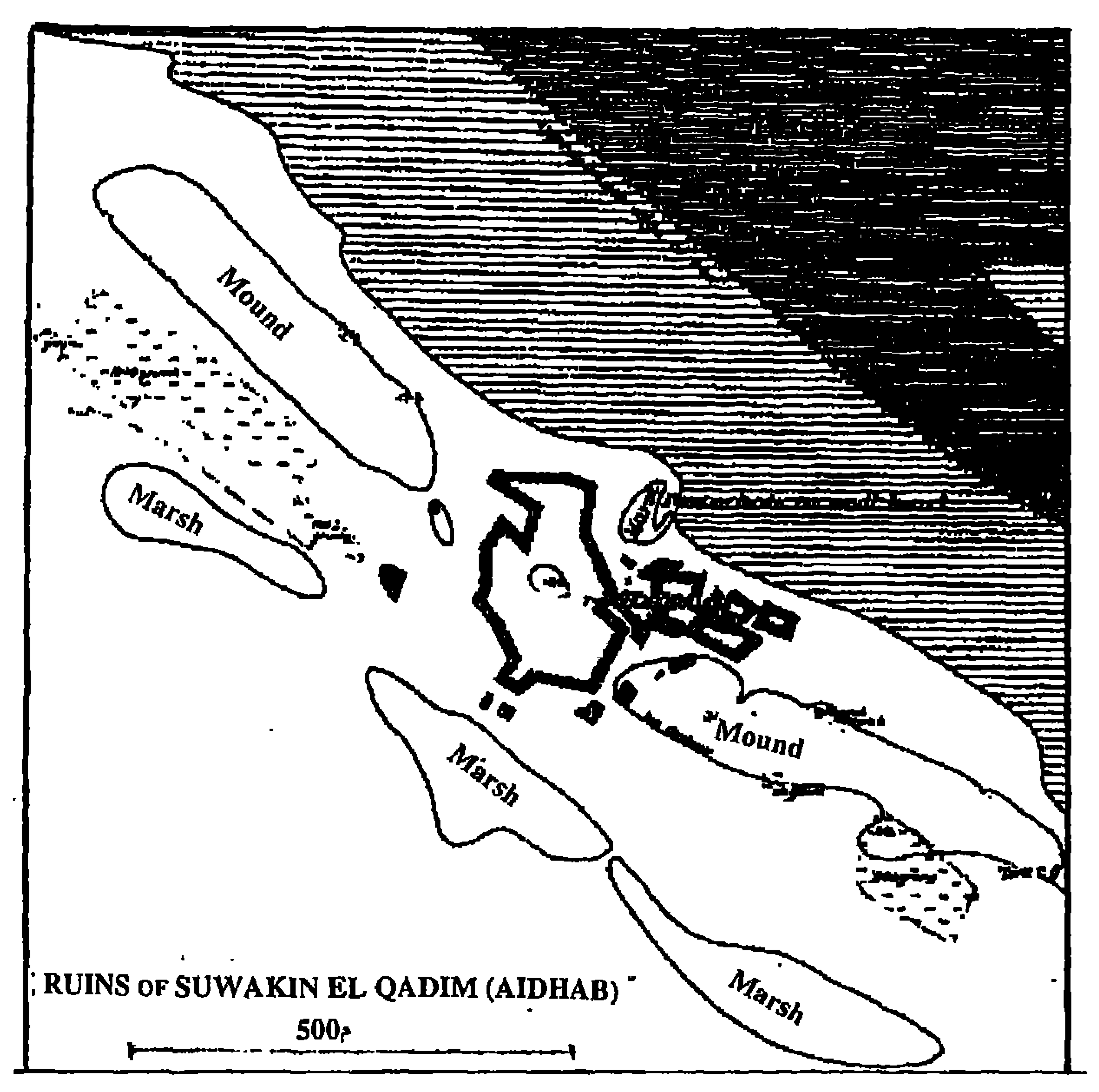
	الارتفاع	العرض	العمق
الصهريج الشمالي	16	3.5	2
الصهريج الأوسط	17	2.5	2.6
الصهريج الجنوبي	17	4	؟

قدّر «موراي» أن الصهريج الواحد كان يسع حوالي 25000 جالونًا من الماء والذي كانوا يجلبونه من منطقة علي مسيرة يوم واحد من بئر في جبال علبة، كما عثر أيضًا علي عملات معدنية ترجع إلي الأعوام 1269 - 1277م وبعض الأساور الزجاجية والخزف الصيني والسلادون، كما عثر علي عملات نحاسية عربية تعرّف علي واحدة منها من عصر السلطان «بيبرس» 1260- 1277م.

ويقول «موراي» أنه لم يخامره شك في أن هذه المدينة هي التي ذكرها الجغرافيون العرب القدامى مثل «أبو الفدا» و«الإدريسي» تحت اسم عيذاب وإنه علي ثقة من أن أحد الأوربيين لم يسبقه في زيارة المنطقة منذ زارها «بنت». ويعجب «موراي» من اختيار هذا الموقع كميناء وتفضيله علي حلايب الموجودة علي بعد 12 ميلاً فقط إلي الجنوب، فحلايب تتميز بمرفأ أحسن بكثير ويتوافر بها الماء، ويري أن عيذاب مكان غير مناسب علي الإطلاق لإنشاء ميناء للسفن، ويسجل هذا الرأي بقوله (إن عيذاب كانت دائمًا مكانًا غير مناسب لميناء، فمرساه صغير بالنسبة للمراكب والسفن وهو في نفس الوقت مكشوف للرياح الشمالية الغربية الشديدة ولا يوجد بها ماء أقرب من العيون الموجودة في جبل علبة علي بعد حوالي عشرين ميلاً إلي الغرب). ويصف بقايا أحجار المدينة بالدبش ويلفت

النظر إلي عدم وجود طوب بناء جيد وأن المباني كانت صغيرة جدًا وكانت مسقوفة بالخوص.

ومن الأمور الغريبة التي استرعت انتباهه كثرة المقابر مقارنة بحجم المدينة وعدد سكانها، وقد عدّ حوالي 3000 قبرًا موزعين في منطقتين: واحدة شمالية وأخري جنوبية، واستنتج من ذلك كثرة الذين يفدون للمدينة سواء للحج أو التجارة.



شكل (3-5): مسقط تخطيطي لمدينة عيذاب كما تصوره موراي

(Murray, 1926)

الخطوط الأفقية = مناطق شعاب مرجانية

المساحة السوداء = مياه البحر الأحمر العميقة

درس «هوبسون» (1928) Hobson قطع الفخار التي عثر عليها «موراي» وتعرف إلي قطع من الخزف الصيني الأزرق - الأبيض من عهد

«سونج» Song Period (960 – 1279م) يرجع تاريخها إلي ما قبل 1426م، أما الزجاج فيرجع إلي القرنين الثامن والخامس عشر الميلادي. وهذه القطع هي عينات من قطع أخري كثيرة جدًا من الخزف الصيني عثر عليها «موراي» بالقرب من سواكن القديمة في الأطلال التي كانت في يوم من الأيام ميناءً مزدهرًا علي البحر الأحمر ويدعي عيذاب أو زبيد في العصور الوسطي **(Hobson, 1928)**، ويستطرد «هوبسون» قائلاً إنه طبقًا لقاموس الإسلام فإن عيذاب كانت في ذروة ازدهارها في الفترة من 1058 حتى 1368م، وقد تمتعت بنصيب كبير من تجارة الشرق الأقصى الصينية والتي كان الخزف يشكل سلعة هامة من سلعها، ومن المؤكد أن الخزف الذي عثر عليه «موراي» وصل عيذاب قبل عام 1426م علي الأقل. وفيما يلي ملخص للوصف الذي نشره «هوبسون» (شكل 5-4).

القطعة (C) في الشكل (5-4) جزء من قاع وعاء من الخزف السميك دقيق الحبيبات أبيض اللون بالرغم من أن الأسطح غير مزججة وقد اكتسبت اللون البني المحمر "لون البسكويت" الذي يميز الفترة السابقة علي زمن الخزف الأبيض - الأزرق من فترة أسرة «مينج» (1368 – 1644م).

تظهر القطعة (D) عكس قطعة مشابهة مزينة بلفائف زهور الأقحوان[74] *Chrysanthemum*. وهناك تشابه كبير في طريقة صنع القطع التي عثر عليها في عيذاب وتلك القطع الزرقاء والبيضاء التي عثر عليها في منطقة خراخوتو Kharakhoto جنوب منغوليا، وكان هناك مدينة ازدهرت بين القرن الثاني عشر والقرن الرابع عشر أو علي الأقل في أوائل القرن الخامس عشر، ويبدو مؤكدًا أن

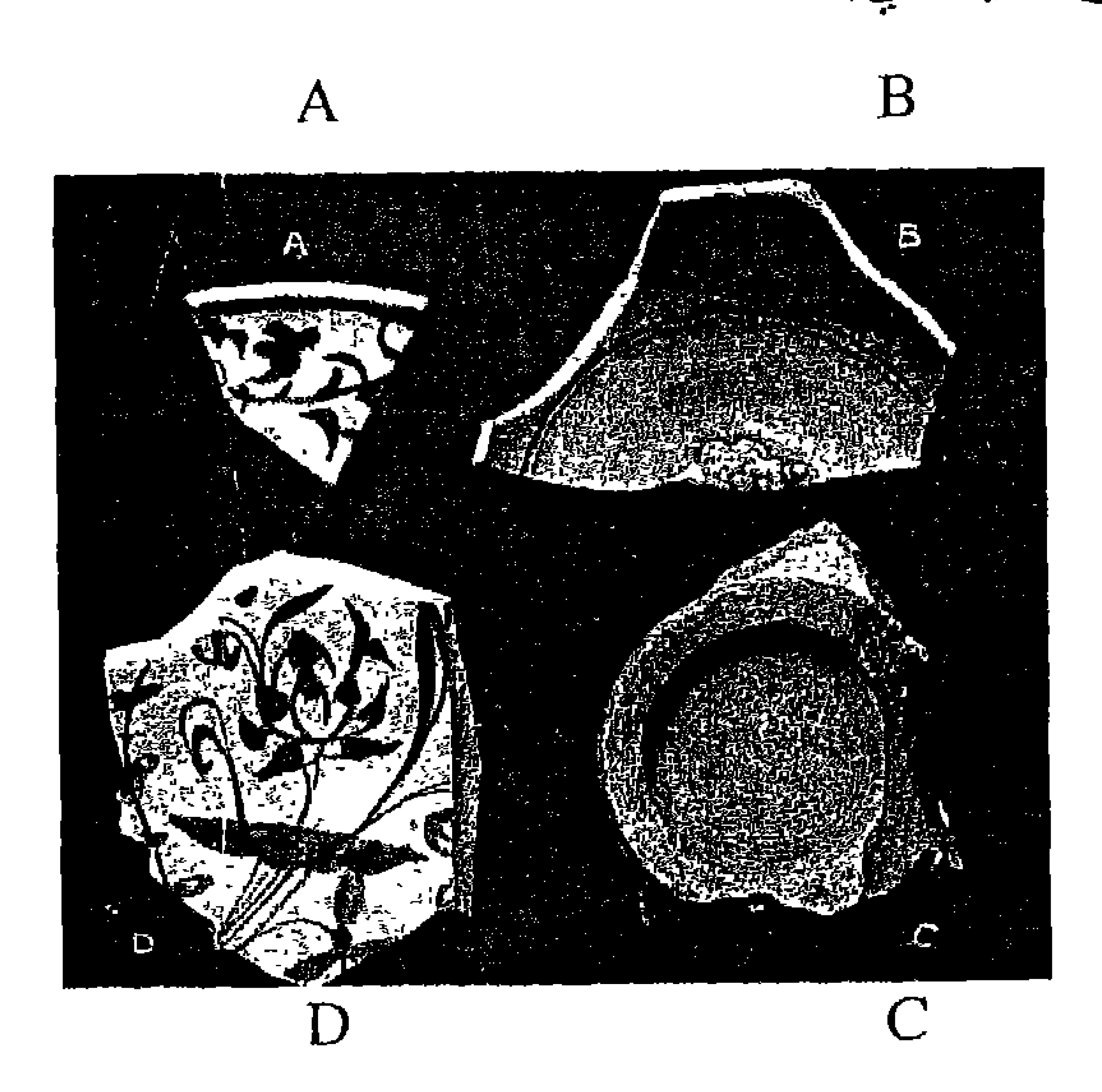
---

[74] **زهرة الأقحوان:**(Daisy) زهور تستعمل في علاج أمراض الجلد والجروح والدوالي والقرح والحروق والعين المسيلة للدموع وملينة ومسكنة للألم، وعندما تكون مغلية تفيد في علاج المغص والبرد والكحة والزكام والمعدة والجهاز الهضمي والكبد والكلى والمثانة.

هذه القطعة من الخزف صُدِّرت إلي عيذاب في زمن «يوان» وأواخر عصر «سونغ».

والقطعة (A) مصنوعة من نوعية دقيقة الحبيبات جدًا، وهي عبارة عن كسر من حافة صحن صغير مطلية بدقة فائقة بأشكال لفائف الزهور بلون بنفسجي يرقد في لون أزرق داكن، ومن الصعب معرفة زمن صنعها بدقة.

والقطعة (B) عبارة عن جزء جميل من وعاء من السلادون الأخضر الرمادي ومزججة بنوع خاص يسمي كينوتا *kinuta* ومخددة من الخارج ومزخرفة في الداخل بسمكة (واحدة من اثنتين)، وهذه القطع يبدو أنها من عصر «سونغ» المتأخر، وقد عثر علي قطعة من السلادون الأخضر في عيذاب عليها نقوش غير عادية يبدو أنها زخرفت في عهد أسرة «باشبا» *Bashpa* أو فاجس- با « *Phags-pa*» وكان «اللاما فاجس با» قد استحدث هذا النوع من النقوش في القرن الثالث عشر الميلادي.



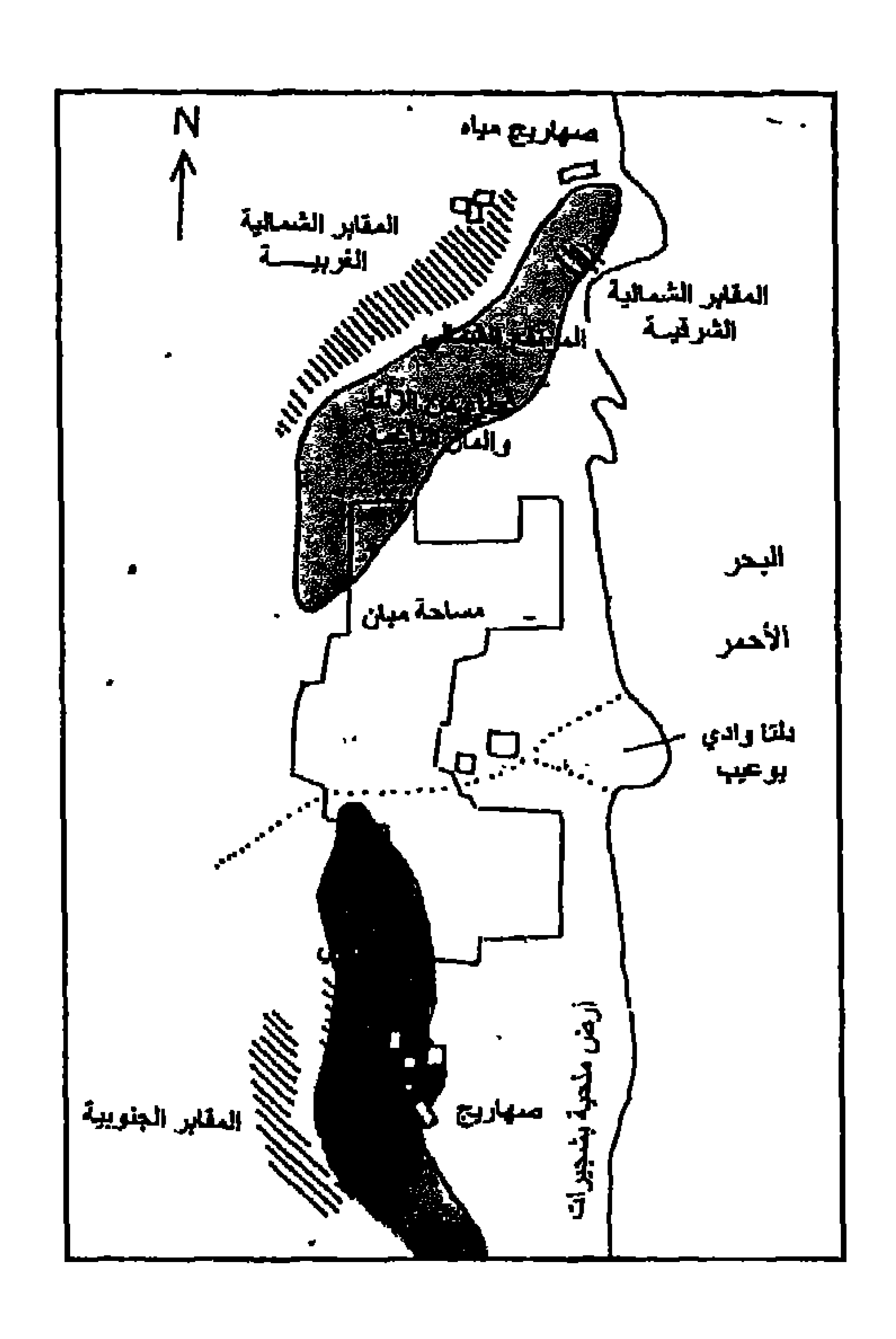
شكل (5-4): قطع من الخزف الصيني عثر عليها Murray عام 1926م في عيذاب، وفحصها Hobson عام 1928م.

(A) = قطعة من جانب سلطانية زرقاء – وبيضاء (الطول 2.8 بوصة)

(B) = قطعة من قاع سلطانية من السلادون في وسطها حفر لسمكة (الطول 3.3 بوصة)

(C) = قطعة من قاع سلطانية قاعها غير مزجج (الطول 3 بوصة)
(D) = قطعة من قاع سلطانية من النوع الأزرق – الأبيض (الطول 2.9 بوصة).

بعد حوالي ثلاثين عامًا زار «باول» Paul (1955)، منطقة عيذاب ورسم خريطة تخطيطية للمنطقة (شكل 5-5) وأضاف بعض التفاصيل لخريطة «موراي»، ولكنها لم تكن بنفس القدر من الدقة التي تميزت بها الخريطة الأولي، وقد رسم «انسول» Insoll خريطة لشمال إفريقيا (مصر وليبيا والجزيرة العربية وشمال السودان) حدد فيها موقع عيذاب وأعاد رسم خريطة موراي في كتابه الموسوعي "آثار الإسلام" (1999). ركز «باول» في دراسته علي الجوانب التاريخية وأسهب في وصف المعاملة السيئة التي كان الحجاج والزوار يلقونها في عيذاب لابتزاز أموالهم وإهانتهم بشتى الطرق، وقد ذكر أنه عثر علي قطعٍ من الخزف من أسرة «منج» Ming Period (1368 - 1644م)، والتي تؤكد الدور الهام للميناء في نقل البضائع من الشرق الأقصى، كما عثر علي عملات نحاسية ضربت في عصر السلطان «بيبرس» (1260-1277م).

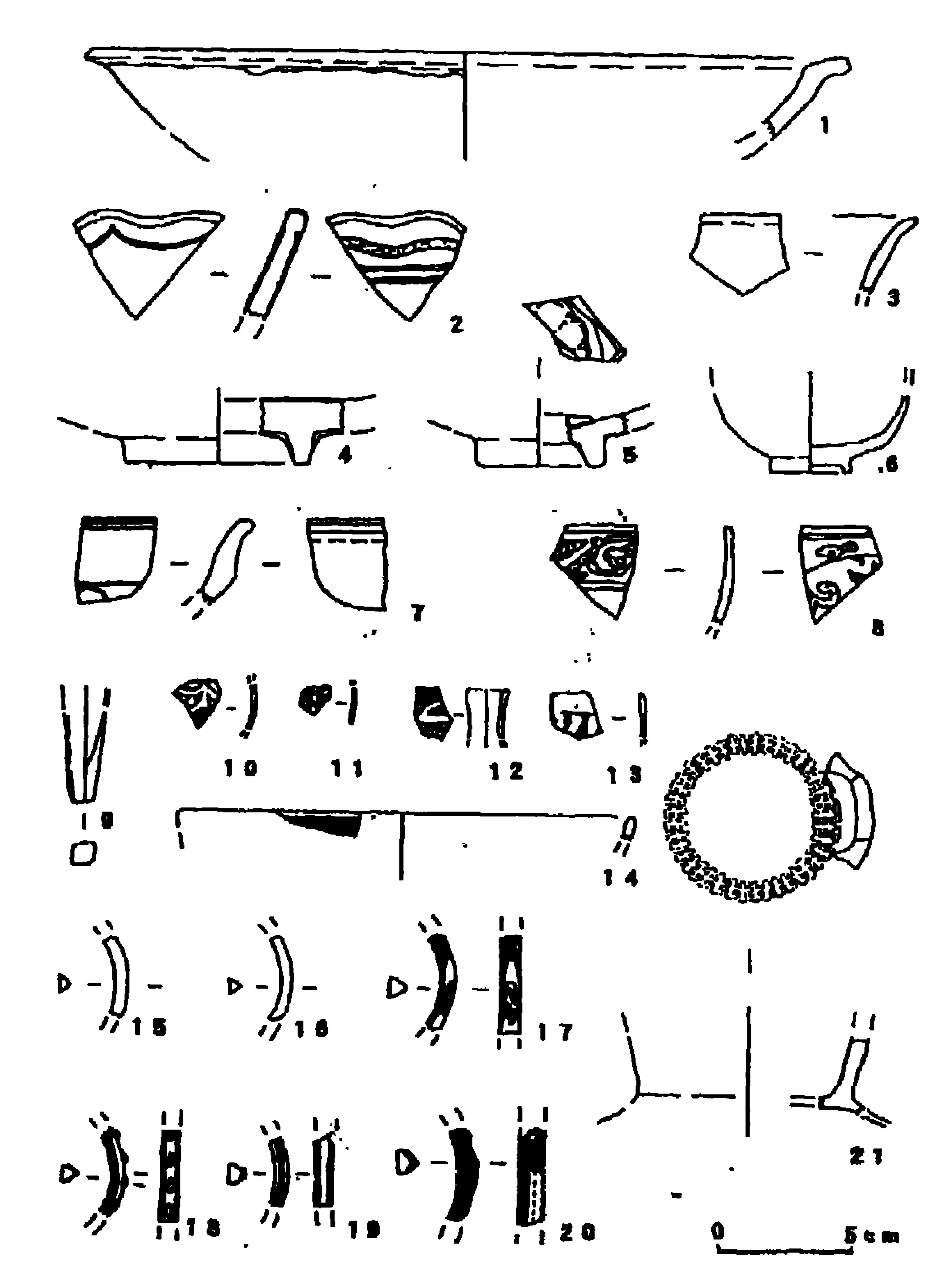


شكل (5-5): خريطة تصورية لعيذاب خططها بول Paul, 1955.

ومنذ حوالي 30 سنة قام فريق من العلماء الفرنسيين والسودانيين بدراسة مستفيضة عن منطقة عيذاب من الناحية الجيومورفولوجية وما بها من أحافير، ولم يصدروا خريطة شاملة للمنطقة ولكنهم سجلوا بعض الإنشاءات في المنطقة الوسطي التي تحيط بالخليج المليء بالرمل والطين كما عملوا قطاعًا استراتجرافيًا (طباقيًا) يمثل طبقات الأرض ومقطعًا أفقيًا، وقطاعًا لصهريج الماء الشمالي، ورسموا اثني عشر قطعة من الأوعية الفخارية بعضها من الصين والباقي قطع خشنة ومن هذه المواد توافرت لأول مرة خامات للدراسة من منطقة عيذاب. لقد بذلوا جهدًا كبيرًا علي الدراسة الجيومورفولوجية والتي أشارت إلي انخفاض في منسوب سطح البحر حوالي 50 سم، واستنتجوا أنه إذا كان منسوب البحر قد ارتفع في الفترة الوسيطة فإن الخليج الصغير في منتصف الموقع كان مناسبًا كميناء لترسو فيه السفن، ويعتقد الفريق البحثي أن الميناء كان من النوع المتوسط Mediocre (Elissée and El Hakim, 1981).

وفي عام 1991م حضرت بعثة يابانية للتنقيب في عيذاب **(Kawatoko, 1993)** فحفرت بعض الآبار لدراسة جيولوجية المنطقة واكتشفوا صهريجًا رابعًا للماء علي بعد 50 مترًا شمال غرب المنطقة السكنية وجمعوا كمية كبيرة من الخزف والأساور الزجاجية من القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي **(شكل (5-6)**.

ومن الدراسات الهامة المكثفة الحديثة عن منطقة عيذاب تلك التي قام بها عالم الآثار الألماني «فريدريخ هنكل» (Hinkel, 1992) وضمّنها مرجعه الهام عن خريطة السودان الأثرية Archeological Map of Sudan، فقد عرض أهم المصادر التاريخية والآثار الموجودة والقطع التي عثر عليها في الموقع وعددًا كبيرًا من التقارير المحفوظة في متحف السودان الوطني.



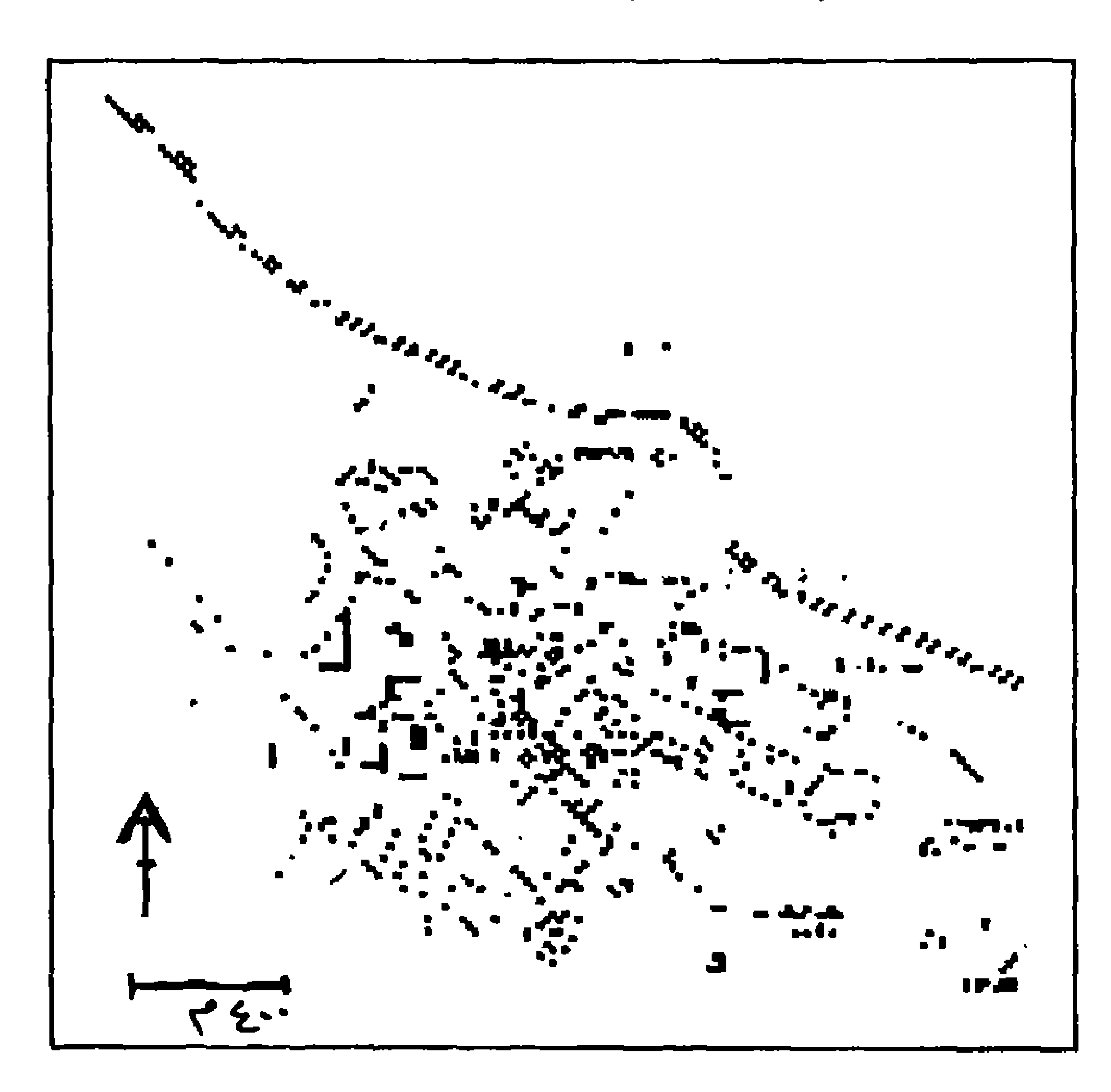
شكل (5-6): بقايا الخزف الذي عثرت علية البعثة اليابانية

(Kawatoko, 1993)

1= سيراميك إسلامي أصفر مزجج—5،4،3،2= سيلادون من أسرة شوانج(ق 13) —6= خزف صيني أبيض (ق 14/13م) —7= محتمل سيلادون (ق 15/14م) —8= خزف أزرق-أبيض (ق 14م) —12،11،10،9= زخرفة زرقاء-بيضاء (ق 14/13م) —13= زخرفة شفافة-زرقاء (ق 15/13) —14= زخرفة أرجواني/ أبيض (ق.14/13)—15= زجاج بني معتم—16= زجاج نصف شفاف—17= زجاج معتم أسود—18= زجاج معتم أسود/ ابيض/ أزرق فاتح—19= زجاج شفاف أخضر بدون لون أحمر/ اصفر—20= زجاج شفاف أخضر فاتح/ أصفر مخضر معتم/ أحمر / أبيض—21= قطعة من مرشح دورق ماء

وطرح «بيكوك وبيكوك» (2008م) من جامعة سوث هامبتون البريطانية نظرية جديدة مفادها أن اسم عيذاب يدل علي مكانين يفصل بينهما مسافة حوالي

20 كم: أحدهما عيذاب المدينة والثانية عيذاب الميناء، ودعّما رأيهما هذا بتحليل الصور الفضائية والتي استطاعا أن يرسما منها خريطة بالمواقع السكنية والشوارع التي كانت موجودة فى عيذاب (شكل 5-7).



شكل (5-7): تفسير لصورة فضائية لعيذاب توضح المباني والشوارع (عن بيكوك وبيكوك، 2008).

الميناء

يقع ميناء عيذاب علي الجزء الشمالي من ساحل البحر الأحمر علي بعد 16 كم شمال حلايب، وقد لعبت عيذاب دورًا رئيسيًا بالنسبة لانطلاق الدعوة الإسلامية منذ خلافة «أبي بكر الصديق» و«عمر بن الخطاب» رضي الله عنهما، وتواتر ورود المسلمين عليها. وترتبط عيذاب بطرق مواصلات مباشرة بوسط السودان وشرقه وكانت مخرجًا لمنتجات منطقة مناجم الذهب بوادي العلاقي في العصور الوسطي.

أشار «المقريزي» إلي أن عيذاب أهم ميناء مزدهر يربط طريق عيذاب الدولي بمواني اليمن مع الهند والبحر المتوسط كما ظلت أهم ميناء الحجاج إلي مكة لمدة أربعة قرون تبدأ من القرن العاشر إلي القرن الرابع عشر الميلادي وخاصة بعد أن منع الصليبيون الحج عن طريق الشام، وتوجد بعيذاب مقابر كبيرة لا تتناسب وحجم المدينة وهذا يشير إلي زيادة قدوم الحجاج الموسميين إليها.

وقد بدأ ميناء عيذاب في الظهور فيما يبدو مع مطلع القرن الرابع الهجري (دراج، 1958م) وأخذت أهميته تزداد ابتداء من 460هـ نتيجة لما يلي (الزاملي، 1984م):

1- الشدة المستنصرية[75] التي قاستها مصر زمن الخليفة المستنصر بالله بعد خراب الدلتا.

2- ظهور الخطر الصليبي وتهديده لقوافل التجارة شمال البلاد

وكانت الحركة في عيذاب خلال هذه الفترة تتميز بما يلي:

أ- بلغت عيذاب شأوًا عظيمًا خلال حكم الفاطميين حيث أصبحت ميناءً لركوب الحجاج وتفريغ البضائع الواردة من الشرق ويرجع هذا إلي السياسة التي انتهجها الفاطميون مع التجار والتسهيلات التي قدموها لهم من بينها بناء أسطول لحمايتهم.

ب- كانت عيذاب خلال العصر الأيوبي تتمتع بدرجة عالية من الأمن أشاد به كثير من الرحالة وخاصة «ابن جبير».

---

[75] الشدة المستنصرية: أو ما يعرف بالشدة العظمى 457-464هـ /1065-1071م، وهو مصطلح يطلق على المجاعة والخراب الذي حل بمصر نتيجة غياب مياه النيل بمصر لسبع سنين متواصلة عرفت بالعجاف نهاية عصر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، فلقد تصحرت الأرض وهلك الحرث والنسل وخطف الخبز من على رءوس الخبازين، وأكل الناس القطط والكلاب.

ذكر «ابن بطوطة» جامع «القسطلاني» كأحد المعالم المعروفة في عيذاب وقتها، كما توجد بها خزانات حفرت في الأرض وغطيت جدرانها بالجبس لحفظ المياه، ومما يؤكد طبيعة ميناء عيذاب التجارية وجود كميات كبيرة من قطع الخزف والزجاج والفخار وكلها من الأنواع الرفيعة الغالية الثمن وفيها الخزف الفاطمي المملوكي الشهير والذي يشبه إنتاج الفسطاط.

يظهر موقع عيذاب القديم بوضوح علي الصور الفضائية التي التقطت في 2004/9/22م ونشرتها شركة جوجل Google Earth ويظهر موقع عيذاب كمنطقة منخفضة مغطاة بالحصى بجوار الشاطئ مرتفعة حوالي 7 مترًا فوق منسوب سطح البحر بمساحة 100 م x 1500 م طول، وتمتد في اتجاه شمال غرب – جنوب شرق.

تشغل المنطقة السكنية مساحة 7.5 هكتارًا في مركز المساحة وتتوزع المقابر وصهاريج المياه في الشمال الغربي والجنوب الشرقي، ويوجد في الجنوب الغربي أرض مستنقع والتي من المحتمل أنها كانت بركة في الزمن الإسلامي الوسيط ولا شك أن البحر كان ضحلاً جدًا في الجزء الشمالي الشرقي حيث توجد شعاب مرجانية يتراوح عرضها بين 120 و300 م.

لم تكن السفن الكبيرة تستطيع أن تقترب إلي مسافة أقل من 250 م من الشاطئ بسبب المرجانيات، وكان هناك أماكن قليلة يمكن أن ترسوا فيها السفن، وكان المكان محميًا ببركة طينية لذلك كان من الصعب مهاجمة السفن سواء من البر أو البحر كما لم يكن هناك ماء صالح للشرب وكان لا بد من نقله وتخزينه في صهاريج أمكن التعرف علي أربعة منها.

يبدو أن اختيار هذا الموقع الكئيب وغير المناسب كان وراءه دواع أمنية فقد تعرضت عيذاب طوال تاريخها لعدد كبير من الهجوم عليها سواء من البر (قبائل البجا) أو من البحر (القراصنة)، ولا يستقيم هذا الوضع مع كون عيذاب

ميناء رئيسي لنقل الحجاج والتبادل التجاري مع الشرق الأقصى حتى الصين فهذه الظروف لا تتفق مع كونها ميناءً هامًا في العصر الإسلامي الوسيط. و«المقريزي» مثلا يصفها بأنها من أكبر موانى العالم في زمانها، ولا تعطي المصادر التاريخية أي بيانات دقيقة عن عدد السفن التي كانت ترسو في الميناء في نفس الوقت.

يقول «النويري»[76] إن الأسطول المملوكي عام 1265م الذي أبحر من عيذاب لتأديب سواكن كان يتكون من حوالي 40 مركبًا كبيرًا وصغيرًا، وكانت عيذاب في عصر الفاطميين قاعدة بحرية لحماية تجار الكريمي (انظر الفصل 12) من القراصنة الذين كانوا يتمركزون في جزر البحر الأحمر والتي يقدرها «القلقشندي»[77] بحوالي خمسة آو ثلاث سفن، ويؤكد «القلقشندي» أن ميناء عيذاب كان عميقًا ويسمح بإبحار السفن مباشرة إلي ميناء جدة، وكانت الشعاب المرجانية التي تنمو في عمق البحر بعيدة عن الاصطدام بالسفن، وفي نفس الوقت يصف «ابن جبير» المراكب التي كانت تنقل الحجاج بـ (الجلاب) وأنها كانت تستخدم الحبال في ربط أجزاء السفينة، ولا تستعمل المسامير أبدًا. ويقال إن البضائع كانت تنقل إلي مراكب أكبر حجمًا وأشد قوة في ميناء عدن لنقلها عبر المحيط الهندي،

---

[76] **النويري:** (667 – 733هـ) هو المؤرخ شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد، نسبة إلى قرية نويرة بمحافظة بني سويف. درس في القاهرة والأزهر الشريف، وتخصص في دراسة الحديث والسير والتاريخ، واشتغل في مقتبل عمره بنسخ الكتب الجليلة نظرًا لجمال خطه؛ اتصل النويري بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون، ونال حظوته، ومارس لديه الكتابة والحسبة والمقايسات. قدّم النويري للثقافة الإنسانية موسوعته الكبرى "نهاية الأرب في فنون الأدب".

[77] **القلقشندى:** هو القاضي شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد، ولد بقلقشندة إحدى قري مدينة قليوب سنة 756هـ / 1355م ودرس بالقاهرة والإسكندرية على يد أكابر شيوخ العصر وتخصص فى الأدب والفقه الشافعي وبرع فى علوم اللغة والبلاغة والإنشاء، وقد عمل فى ديوان الإنشاء سنة 791هـ، وتوفي سنة 821هـ / 1418م، ومن أهم مؤلفات القلقشندى كتابه أو موسوعته "صبح الأعشى فى صناعة الإنشا".

وهناك وثيقة من وثائق جينزا اليهودية تفرق بين السفن الصغيرة (جونيا Jawniya) في عيذاب والسفن الأكبر (المراكب) في الميناء التي كانت تستخدم لنقل التجار وبضائعهم إلي الشرق (Margariti, 2007).[78]

ويشكك «بيكوك وبيكوك» (Peacock & Peacock, 2008) في أن هذا الموقع كان مناسبًا لرسو وإبحار السفن وأن الشعاب المرجانية المنتشرة الآن هناك لا بد وأنها كانت موجودة بكثافة تعوق حركة الملاحة. والنتيجة التي توصلا إليها أن هذا المكان لم يكن موقع ميناء عيذاب الذي جاء ذكره في المراجع ولكنه بالأحرى يمثل مدينة عيذاب، أما الميناء فموجود جنوبًا عند حلايب حيث الموقع مناسب جدًا من الناحية الملاحية، والنظرية التي يطرحها الباحثان والتي تتلخص في وجود موقعين لعيذاب أحدهما مدينة سكنية والآخر ميناء لا تؤكدها الدراسات الحقلية، فلم يعثر علي أي أثر يدل علي نشاط ملاحي قديم في منطقة حلايب.

مشكلة زيادة عدد السكان والمياه العذبة في عيذاب

عرف العرب الوديان والسهول والصحاري الخضراء حول منطقة عيذاب باسم "بريّة عيذاب"، وهي مراع شاسعة ووديان خضراء عامرة بقطعان الإبل والماعز، وقد نفقت معظمها الآن ويمكن ملاحظة ذلك من كثرة العظام المبعثرة التي تدل على فداحة الكارثة التي خلفتها سنوات الجفاف الأخيرة حتى نهاية التسعينات من القرن التاسع عشر، ولقد كان لهذه البرية علاقة بسكان وادي النيل عندما كانوا وقطعانهم يقومون برحلة سنوية من برية عيذاب وبواديها إلى وادي النيل، حيث يقضون فصل الجفاف في الصيف يبيعون إنتاجهم في الأسواق، وعند بداية موسم الإمطار يبدعون رحلة العودة إلى تلال

---

[78] مارجاريتي: يونانية المولد، درست الآثار في الكلية الإمبراطورية بلندن، حاصلة علي الدكتوراه من جامعة برنستون الشهيرة عن العصر الإسلامي الوسيط، وتخصصت في الدراسات اليهودية والعربية وخاصة وثائق جنيزا اليهودية التي عثر عليها في الفسطاط في مصر.

وشواطئ البحر الأحمر يصلون إليها في الشتاء، حيث الأمطار الشتوية، وهم يزرعون مرتين في السنة، زراعة العتمور[79] بالأمطار الصيفية، وزراعة تلال البحر الأحمر والسهول الملاصقة بالأمطار الشتوية (طاهر، 2006).

ومعظم الآبار الموجودة في حلايب وأبو رماد مياهها غير صالحة للشرب، وحلايب الآن تستجلب المياه من فوديكوان[80]، وفي موسم الأمطار تسيل بعض الخيران في حفر وبرك صغيرة سرعان ما تصير مالحة قرب الشاطئ، وهنالك منخفض كبير غرب المدينة بيضاوي الشكل طوله حوالي 600 متر وعرضه 200 متر مكسو بشجيرات خضراء وعشب وحوله سد ترابي ووسطه مليء بالطين اللزج المشقق، وهذه الظاهرة توجد في مناطق أخرى حيث تستعمل لتخزين المياه فيها عندما تسيل الأودية، ومن الأرجح أن تكون هذه هي الحفرة التي كانت تمد عيذاب بالماء. كما توجد بقايا ثلاثة خزانات مياه في أطراف المدينة مبنية بعناية ومغطاة بطبقات من الجبس الأبيض منعا لتسرب المياه.

---

[79] **العتمور**: تسمي الصحراء الواقعة في ثنية النيل النوبي بصحراء العتمور.

[80] **فوديكوان** Fodikwan: خور، يقع في الولاية الشرقية من السودان علي بعد 16 كم من ميناء أوسيف علي البحر الأحمر، به وفرة من الماء، يحتوي علي رصيد محقق من خام الحديد (هيماتيت وماجنيتيت) حوالي 2.1 مليون طن متري بنسبة 56 – 60% حديد، بدأ التعدين به عام 1980م (اكتشف خام الحديد عافية وكابش عام 1956م).

6- الطرق التي كانت تربط وادي النيل بعيذاب

كم في الحياة من الصحراءِ من شبَهٍ*****كلتاهُما في مُفاجاة الفتي شَرَع

وراءَ كلِّ سبيـــلٍ فيهمـــا قَدَرٌ***** لا تعلمُ النفسُ ما يأتي وما يَدَعُ

فلستَ تدري، وإن كنت الحريصَ،***متى تهُبُّ ريحاهما، أو يَطلعُ السبعُ

ولست تملكُ من أمرِ الدليلِ سوي*****أنَّ الدليلَ – وإن أرْداك – مُتَّبَع

أمير الشعراء

(احمد شوقي)

يوجد الكثير من الطرق التي تؤدى إلى عيذاب وقد وصف معظمها «ابن بطوطة» و«المقريزي» و«ابن جبير» و«الإدريسي» الذين أكدوا أنه يمكن عبور الصحراء من قوص خلال 15 يوما، ومن أسوان خلال 12 يومًا، ويوجد طريق آحر بالقرب من بعض المناجم في وادي العلاقي حيث تتوافر فيها المياه التي يحتاجها المسافر، ومن المعروف أن بعض جنود البطالمة هم الذين قاموا بحفر بعض هذه الآبار في هذه الطرق، ومن أهم هذه الطرق أقرب طريق للوصول إلى برنيس Berenice (الشيخ صالح).

ولا شك أن أهم الطرق هو الذي يمتد من قوص جنوب قنا إلى وادي زيدون وكان السير في هذا الطريق عن طريق بعض القوافل إلي بئر منيح Bir-Menih حيث لا يوجد إلا بعض النباتات وبعض الأشجار فقط، ومن بئر مينا يتجه الطريق إلي جبل عتود ثم وادي جرف Gerf ونُقْرُس Nugrus أو سموت Sammout ثم إلى أراض مليئة بالرمال تقع بالقرب من برنيس.

ذكرَ بعضُ المسافرين القدامى أن هذا الطريق، خاصة في جزئه الجنوبي، يوجد به بعض الحيوانات مثل الغزال والنعام بأعداد كبيرة ابتداءً من رأس بناس Ras Banas، ولكن حاليًا انقرضت معظم هذه الحيوانات. وكانت هذه المنطقة معروفة كطريق لنقل العبيد وخاصة من السودان إلى القاهرة،

وعندما دخل بعض الأوروبيين المنطقة بدأت تجارة ريش النعام وصيده مما أدي إلي اختفاء هذه الحيوانات وهروبها إلي الجنوب.

أما الطريق الذي يبدأ من إدفو فهو مهم جدًا لأنه يمر علي بعض القبور لبعض الشيوخ الذين كانوا يسلكون هذا الطريق لأداء مناسك الحج وماتوا ودفنوا فيه، وأشهرهم قاطبة ضريح «الشيخ أبو الحسن الشاذلي» في وادي حميثرا، و«سيدي سالم»، والشيخة «عطيفة المغربية» الذي يوجد في أول الطريق الصحراوي من إدفو، وكان «ابن بطوطة» قد بدأ رحلته من قرية صغيرة تسمي العطواني والتي لا تزال توجد على يمين ساحل النيل، ويعيش فيها حاليًا عدد كبير من العبابدة.

عيذاب كانت ملتقى لطرق مهمة، فهي تقع على الطريق الذي يمر بمحاذاة الساحل من بورسودان ومحمد قول (جهة دنقناب) ومرورًا بحلايب وشمالاً أبو رماد وشلاتين ثم إلى القصير داخل الحدود المصرية. وهنالك طريق يسير إلى الشمال الغربي إلى أسوان مارًا بحميثرا، وهذا طريق تقليدي للحج عن طريق عيذاب، ومنها عبر البحر إلى جدة ثم مكّة المكرمة والحجاز، وهنالك طريق آخر يمر حول جبل علبة (غرب عيذاب) وتخرج منه طرق تتجه غربًا وجنوب غرب، حيث تلاقي وادي النيل في المنطقة ما بين أبو حمد وبربر ــ الدامر، وطرق أخرى تنفصل منه قرب جبل علبه تتجه جنوبًا إلى مناجم جبيت المعادن وطريق هيا سنكات سواكن.

ولقد أشار «الإدريسي» أن مناجم الذهب بوادي العلاقي تقع في طريق عيذاب وطريق سواكن، وبصفة عامة يمكن القول أن هذا الطريق كان طريقًا سهلاً للحجاج، فعلي هذا الطريق كان من الممكن الذهاب إلى «رأس علبة»

Ras Elba في حوالي عشرة أيام، ولاشك أنه كان أسهل طريق بالمقارنة مع الطرق الأخرى المليئة بالعقبات والصعوبات.

وللأسف الشديد اختفت الكثير من العلامات التي كانت ترشد إلي الطريق إما بواسطة البدو أو بواسطة السيول التي دمرت بعض هذه الأماكن مثل ضريح الشيخ «الشاذلي» الذي كان يوجد فيه بعض الرسومات الأثرية المهمة، كما كان الطريق الذي يربط وادي الكنايس بأبو رحال فقد كان يحتوى على بعض الرسومات المحفورة في الصخور، ولكن بدأت بعض هذه الكتابات تنمحي، ويمكن القول أنه لم يبق أي شيء بالتحديد ما عدا بعض الرسومات في "رأس علبة".

ويبلغ طول المسار بين القاهرة وعيذاب حوالي 1200 كم، وكانت الرحلة تستغرق ما بين شهر وأربعين يومًا حتى عيذاب قبل عبور البحر الأحمر.

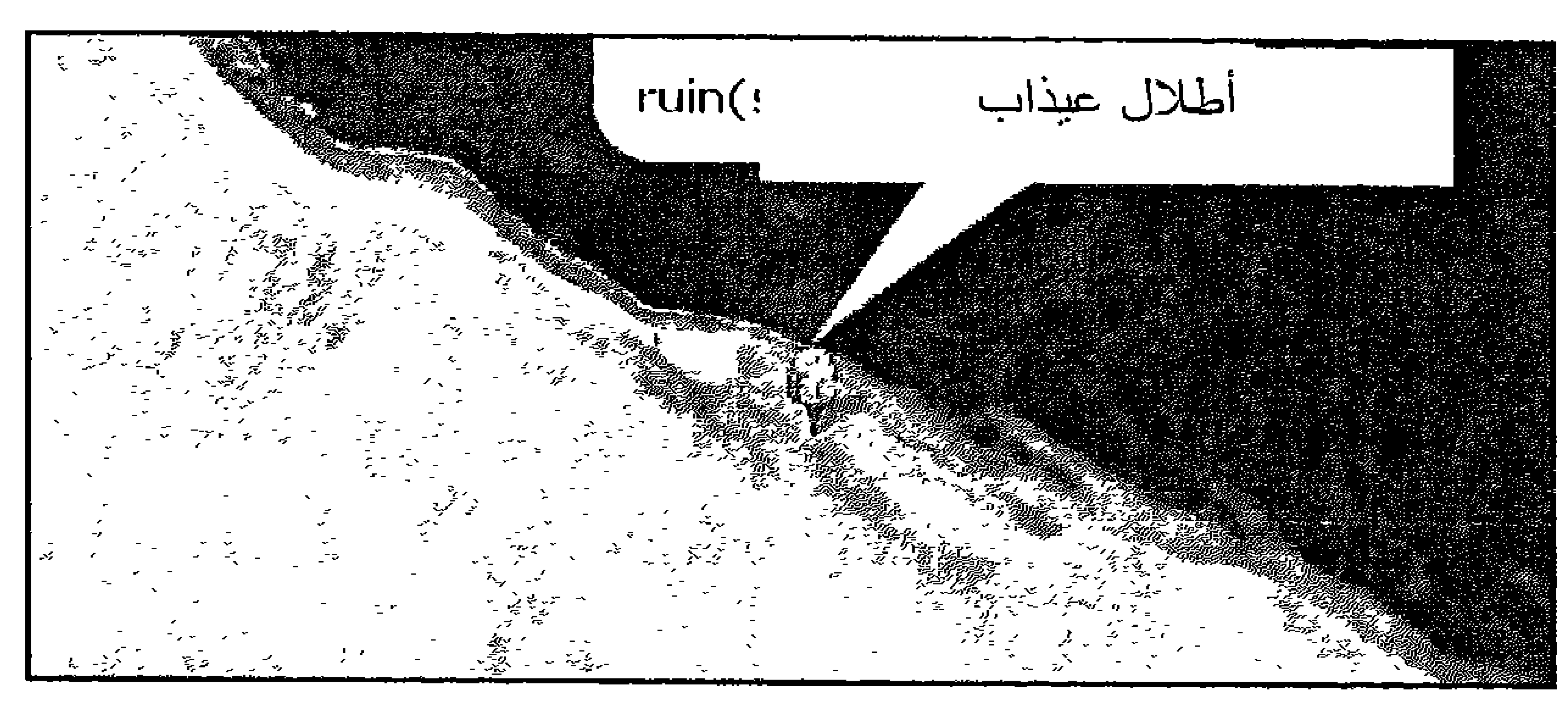
موقع ميناء عيذاب

ذكر المؤرخ الفرنسي «جوتييه» Gautier عيذاب في قاموسه الشهير ولكنه لم يعيّن موقعها ولم يذكر اسمها العربي، كما ورد في معجم البلدان أنّها ثغرٌ علي ساحل بحر القُلزم (البحر الأحمر) تابع لمصر، وورد اسمها في "القاموس الجغرافي للبلاد المصريّة من عهد قدماء المصريين إلي سنة 1945م" في قسم البلاد المُنْدَرَسَة[81] (رمزي، 1994)، وأنّها كانت مرساةً شهيرة للسفن الآتية من الشرق، وكانت تستقبل البضائع التي تصل إلي مصر من الشرق الأقصى، خصوصًا خزف البورسلين والسلادون، ولا تزال توجد حتى الآن مُتكسرات من هذه البضائع مبعثرة في رمال الميناء.

---

[81] **المندرسة:** بلدان اندثرت ولم يعد لها وجود.

كان ميناء عيذاب (شكل 6-1) علي طريق الحجّ المصري في القرون الوسطي ومنه يجتاز الحجاج البحر الأحمر إلي جدّة، وكان يُعرف عند قبائل عرب الصحراء باسم "سَواكن القديمة"، والمدينـــة تقع في الأراضي المصريّة – غير سواكن السودانيّـــة – علي خط عرض "51 '19 °22 شمالا، بالقرب من الحدّ الفاصل بين مصر والسودان، ويقع في اتجاهها من جهة الغرب علي النيل بلدة أبو سنبل بمركز الدرّ بمديريّة أسوان، وأما من جهة الشرق فتقع قبالتها علي الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر من بلاد العرب تقريبًا بلدة "رابغ" و"شرم رابغ" التي تقع شمال ثغر جدّة وعلي بعد 130 كيلومترًا منها (رمزي، 1994).

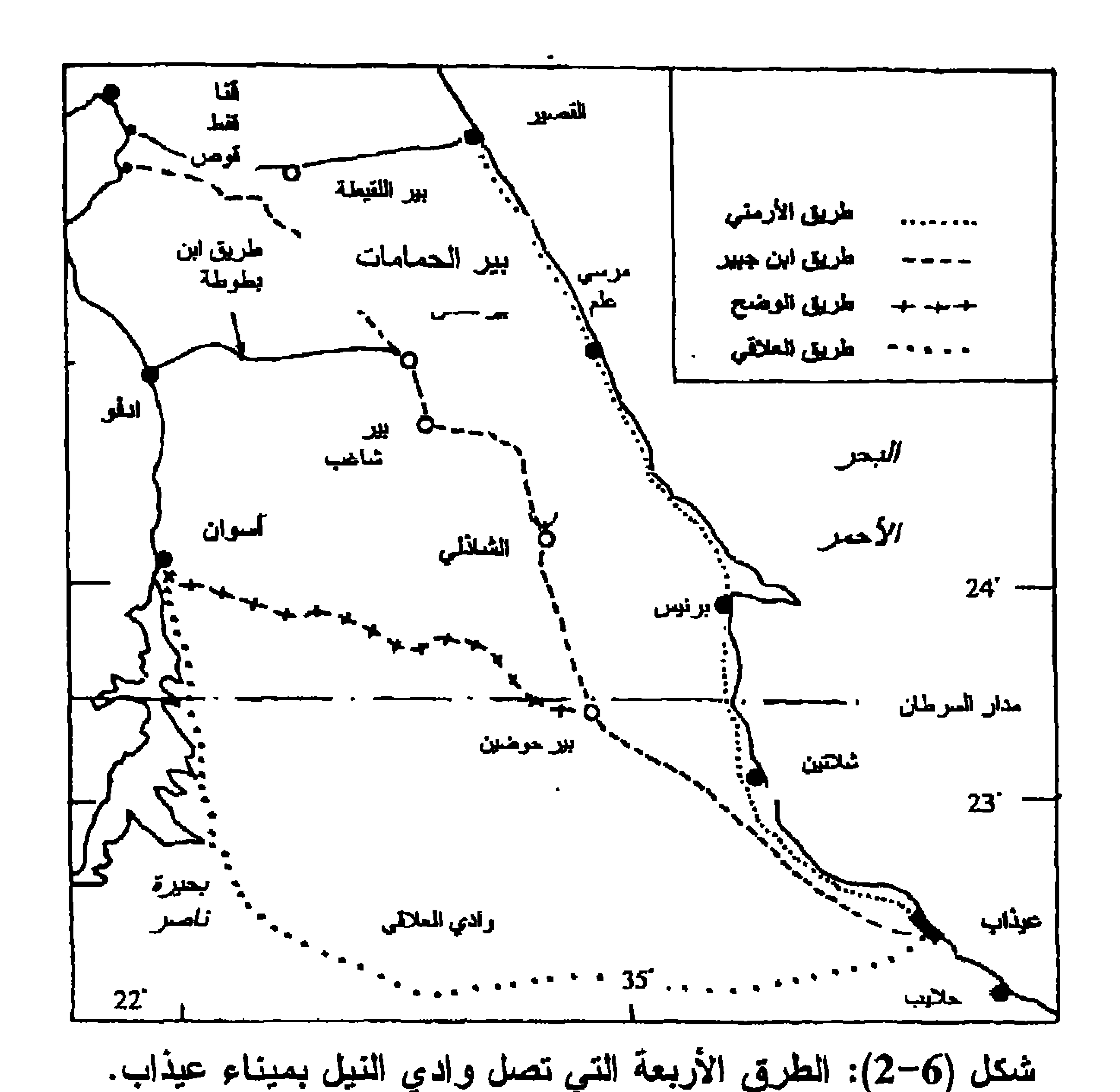


شكل (6-1): عيذاب: صورة جوية من الجوجل.

لعب ميناء عيذاب دورًا رئيسيًا بالنسبة لانتشار الدعوة الإسلامية منـــذ خلافة «أبي بكر الصديق» و«عمر بن الخطاب»، رضي الله عنهمـــا، وتـــواتر ورود المسلمين عليها، وترتبط عيذاب بطرق مواصلات مباشرة بوسط السودان وشرقه. وكان ميناء عيذاب منفذًا لتصدير ما تنتجه منطقة أرض المعدن (وادي العلاقي) بما تحويه من مناجم الذهب (الطحلاوي، 2009م). وقد أشـــار إليـــه «المقريزي» في خططه أنه أهم ميناء مزدهر يربط طريـــق عيـــذاب الـــدولي بموانى اليمن مع الهند والبحر المتوسط، كما ظل أهم ميناء للحجاج إلـــي مكّـــة لمدة أربعة قرون من القرن العاشر إلي القرن الرابع عشر الميلادي وخاصة بعد

أن منع الصليبيون الحج عن طريق الشام، وتوجد بعيذاب مقابر كبيرة لا تتناسب وحجم المدينة وهذا يدل علي زيادة عدد الحجاج.

كانت توجد قديمًا أربعة طرق للقوافل من وادي النيل إلي ميناء عيذاب (شكل 6-2)، يبدأ الطريق الأوّل من مدينة "قِفط"، الواقعة حواليّ 25 كيلومترًا جنوب مدينة "قنا" ثم مدينة قوص ثم يخترق الصحراء مارًا بمنطقة "اللَّقيطَة" (شرق قنا علي الطريق بين قِفط والقصير، حيث توجد بها بئر مياه عذبة) ثم وادي حميثرا، حيث يرقد جثمان العارف بالله القطب الكبير «سيدي أبو الحسن الشاذلي» ويعرف بطريق ابن جبير. والطريق الثاني يبدأ من القصير ويمتد موازيا لشاطئ البحر الأحمر حتى مرسي علم ثم برنيس ثم شلاتين حتى يصل عيذاب وحلايب ويعرف بطريق الأرمني، والطريق الثالث يبدأ من أسوان ويمر ببئر حوضين ثم يتجه إلي عيذاب ويطلق عليه اسم طريق الوضح، والطريق الرابع يبدأ من قرية العلاقي جنوب أسوان في اتجاه جنوب شرق ثم شرقًا أي إلي ميناء عيذاب. وهناك طريق يبدأ من ادفو ويتقابل مع طريق قوص عند بئر دنقاش ويعرف بطريق ابن بطوطة.



شكل (6-2): الطرق الأربعة التي تصل وادي النيل بميناء عيذاب.

ويصف الرحالة «ناصر خِسرو» الطريق من أسوان فيقول: إنّه يستغرق خمسة عشر يومًا ومسافته مائتا فرسخ، كما يقول أنّ سكّان "عيذاب" خمسمائة، وأنّ القرية تابعة لسلطان مصر، ووصف المدينة بأن لها مسجدًا كبيرًا، وفيها تُحصّل المُكوس علي السلع والبضائع علي متن السفن القادمة من الحبشة وزنجبار واليمن، ومنها تُنقل البضائع علي الإبل إلي أسوان حيث يتمّ نقلها في نهر النيل إلي أسواق القاهرة. واشتهر الميناء البجاوي كميناءٍ رئيسيّ لحجّاج بيت الله الحرام من المصريّين والسودانيّين والمغاربة، وكان زاهرًا بالعمران والتجارة.

تحولت عيذاب إلى ميناء تجاري عالمي، ويرجع ذلك التطور في تاريخ هذا الميناء إلى سياسة الفاطميين في حسن معاملة التجار والترحيب بهم، وتوفير

الأمن والاستقرار، فأمن التجار على تجارتهم، الأمر الذي لفت انتباه الرحّالة «ناصر خسرو»، فسجّل انطباعه عن هذا الأمان بقوله: (...أما الأمن الذي رأيته هناك فإني لم أره في بلد من قبل).

كانت عيذاب ملتقى لطرق مهمة، فهي تقع على الطريق الذي يمر بمحاذاة الساحل من بورسودان، ومرورًا بحلايب وشمالاً أبو رماد وشلاتين ثم إلى القصير. وهنالك طريق يسير إلى الشمال الغربي إلى أسوان مارًا بوادي حميثرا، وهو طريق تقليدي للحج من ميناء عيذاب، ومنه عبر البحر إلى الحجاز ومكّة المكرمة، وهنالك طريق يمر حول "**جبل عِلبه**" (غرب عيذاب) وتخرج منه طرق تتجه إلي الغرب والجنوب الغربي، حيث تلاقي وادي النيل في المنطقة ما بين أبو حمد وبربر- الدامر، وطرق أخرى تنفصل منه قرب جبل علبه تتجه جنوبًا إلي السودان.

وبالرغم مما تميزت به هذه المدينة وامتد تأثيرها إلي المناطق المحيطة بها، إلا أنه لا يوجد بموقع عيذاب الآن مرسى مناسب للسفن، فمياهها ضحلة وتمتد لمسافة تزيد عن الكيلومتر ما بين الشاطئ الرملي ومياه البحر العميقة، وهذه المسافة مليئة بالشعب المرجانية.

ومعظم الآبار الموجودة في حلايب وأبو رماد مياهها غير صالحة للشرب، وحلايب الآن تستجلب المياه من مرسي علم ومن المناطق المجاورة، وفي موسم الأمطار تسيل بعض الوديان الصغيرة في حفر وبرك صغيرة سرعان ما تصير مالحة قرب الشاطئ، وهنالك منخفض كبير غرب المدينة بيضاوي الشكل طوله حوالي 600 م وعرضه 200 م تنمو فيه بعض الشجيرات والعشب، وحوله سد ترابي وهو مليء بالطين، كما توجد بقايا ثلاثة خزانات مياه في أطراف المدينة مبنية بعناية ومغطاة بطبقات من الجّبس الأبيض منعا لتسرب المياه، مما يدل علي أن المياه كانت تُخزّن بالمدينة، لكن لا يوجد الآن أي أثر لوجود آبار بعيذاب.

وبسبب ما لحق عيذاب حينذاك من ضرر بسبب نـدرة الميـاه هـاجر الأهالي من المنطقة إلى موقع آخر هو جزيرة "**سواكن**" الواقعة علـى سـاحل البحر الأحمر السوداني، التي عادت مع العقود الأولى فـي القـرن العشـرين ليتكرر بها ما حدث في عيذاب، حيث ساهمت ندرة المياه أيضًا في هجرة أهالي الجزيرة إلى مناطق أخرى، وأصبحت الجزيرة حاليًا شبه مهجورة.

ورد عن «ابن جبير» وفي الخُطط المقريزيّة أنّ عيذاب كانت ميناءً علي "بحر القُلزُم" (البحر الأحمر) وإنّه لا عمارة فيها ولكنّها كانت من أشهر المراسي في البحار، تأتي إليها السفن من اليمن والحبشة والهند، وظل حُجّاج مصر والمغرب أكثر من مائتي عام يتوجّهون إلي الحجاز عن طريق عيذاب ثم بطل استعمال هذا الطريق في عام 766هـ.

يقول «ابن بطّوطة» عن مدينة عيذاب في كتابه الكبير "تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار": (وهي مدينة كبيرة كثيرة الحوت واللبن، ويحمل إليها الزرع والتمر من صعيد مصر. وأهلها البجاة، وهم سود الألوان يلتحفون بملاحف صفراء، ويشدون على رءوسهم عصائب يكون عرض العصابة أصبعا وهم لا يورثون البنات. وطعامهم ألبان الإبل ويركبون المهاري، ويسمونها الصهب. وثلث المدينة للملك الناصر وثلثاها لملك البجاة، وهو يعرف بـ «الحدربي» بفتح الحاء المهمل وإسكان الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء. وبمدينة عيذاب مسجد ينسب للقسطلاني شهير البركة رأيته وتبركت به، وبها الشيخ «الصالح موسى» والشيخ المسن «محمد المراكشي». زعم أنه «ابن المرتضى» ملك مراكش، وأن سنه خمس وتسعون سنة. ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا «الحدربي» سلطان البجاة يحارب الأتراك، وقد خرق المراكب، وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا في البحر. فبعنا ما كنا أعددناه من الزاد، وعدنا مع العرب الذين اكترينا الجمال منهم إلى صعيد مصر، فوصلنا إلى مدينة قوص التي تقدم ذكرها، وانحدرنا منها في النيل، وكان أوان مده، فوصلنا بعد مسيرة

ثمان من قوص إلى مصر).

وبالرغم من أنّ أطلال ميناء عيذاب تقع إلي الشمال الشرقي من جبل عِلبة الشهير بتعدّد بيئته النباتيّة، والقريب من حدود السودان الشقيق، فإنّ منطقة عيذاب قاحلة بصفة عامّة، وكان أهلها في ذلك الوقت يعيشون علي السمك ورعي الغنم، كما كانوا يصطادون اللؤلؤ. وجاء في رحلة "ابن جبيـــر" وفي غيره أنّه يوجد بصحراء عيذاب معدن الزمرّد والنُحاس.

بدأ ذكر ميناء "عيذاب" منذ القرن الثالث الهجري، وظهرت أهميّته في القرن الخامس الهجري لأنه كان ميناءً للسفن الواردة من الحبشة وزنجبار واليمن أكثر منه ميناءً للعبور إلي "جدّة"، وعاصر انتعاش عيذاب انهيار ميناء "بأضع" علي الساحل السوداني في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي، وازدادت أهمّية عيذاب بعد ذلك بعد أنّ حلّت محل "القُلزم" والقصير كميناء للحج، حتى أصبحت في وقت من الأوقات الميناء الرئيسي علي البحر الأحمر.

وقد وصفها «المقريزي» فقال: (عيذاب غير مُسوَّرة وأكثر بيوتها من الأخصاص[82]، وكانت من أعظم مراسي الدنيا بسبب أنّ مراكب الهند واليمن تحطّ فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجّاج الصادرة والواردة، فلما انقطع ورود مراكب الهند واليمن إليها صارت "عدن" من بلاد اليمن هي المرسي العظيمة إلي عام ثمانمائة وبضع وعشرين، وبعدها صارت "جدّة" أعظم مراسي الدنيا، وكذلك "هرمز" فإنّها مرسي هام).

وقد زار «ابن بطّوطة» ميناء عيذاب عام 1326م، ورصد تحصيل المكوس في الميناء وإرسالها للسلطان في مصر. ويروي «ليو الإفريقي» Leo Africanus عام 1537م كيف دُمّرت عيذاب عام 1426م في عهد السلطان المملوكي «برسباي»، الذي طارد سكّانها من أهل البجا، وأوقع بهم الهزيمة مما حملهم علي الفرار لميناء "دنجونب" في السوذان ثم وقعوا في أسر حاكم

---

[82] الأخصاص: العشش المصنوعة من البوص والقش.

"**سواكن**". واستمرّت بعض التجارة عن طريق عيذاب التي عُرفت فيما بعد باسم "**زبيد**"، وقد زارها «ابن إياس»[83] وسجّل مشاهداته في كتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، وذلك عام 939هـ الموافق عام 1523م (عافية، 1977).

يعد الرحّالة «ابن جبير» من أوائل الأندلسيين في تقصي درب الحاج المصري عن طريق البحر، فقد حجّ من هذا الطريق سنة 579هـ، وقطع المسافة بين القاهرة وجدة في حوالي شهرين ونصف الشهر في ظروف غاية في الصعوبة، وقد سجّل هذا في وقائع رحلته، ويبين "ابن جبير" أن الطريق من مصر عن طريق "أيلة"[84] إلى الأماكن المقدسة أيسر وأفضل لقرب مسافته ولسهولة مسلكه، وأنه اضطر لمسلك مرفأ عيذاب لانشغال المسلمين بحروبهم ضد الصليبيين في الحصون المتاخمة، كما امتنع الحجاج عن سلوكه.

وبالرغم من الأخطار والأهوال التي كان يتعرض لها الحجاج في ارتيادهم لهذا الطريق في الذهاب والعودة استمر طريق قوص – عيذاب – جدة الطريق الرئيسي لحجاج مصر والمغرب أكثر على مائتي سنة.

وتحدث «ابن جبير» عن بعض مراحل القوافل التجارية خاصة منها الجزء الواقع بين مدينتي قوص على النيل وعيذاب على البحر الأحمر. ويعتبر هذه الجزء من أصعب الأجزاء التي يقطعها التجار والحجاج. وقد سجّل أن مفتشي الجمارك كانوا يقومون بإجراءات تعسفية ضد القوافل المارة من هذه المحطات كأخميم[85]، وقوص، ومنية ابن الخصيب "المنيا"، وضرب أمثلة على ذلك، منها: (التعرض لمراكب المسافرين، وإدخال الأيدي في ملابس التجار،

---

[83] **ابن إياس**: عالم مسلم ولد في القاهرة عام 852هـ / 1448م. عاصر الإمام السيوطي الذي كان أحد شيوخه، ألّف في التاريخ والجغرافيا، وكان معاصرًا لزوال دولة المماليك علي يد العثمانيين، ويعد كتابه "بدائع الزهور في وقائع الدهور" من أهم المصادر عن تلك الفترة. توفي بالقاهرة عام 958هـ / 1523م.

[84] **أيلة**: ميناء ايلات علي ساحل خليج العقبة.

[85] **أخميم**: مدينة في محافظة سوهاج بجنوب مصر، اشتهرت بصناعة الحرير.

بحثًا عما يحملوه من نقود، وكل ذلك برسم الزكاة من دون مراعاة مـــا يـــدرك النصاب منها) على حد قوله.

وكان من الطبيعي أن تكون الجباية مقرونة بأمثلة من أنـــواع التعـــذيب والتنكيل للحاج إذا لم يؤد مكسه بعيذاب. وضرب «ابن جبير» مثلاً لذلك، فقال: (ومن يعجز عن ذلك فيتناول بأليم العذاب بعيذاب، وربما اخترع له من أنـــواع العذاب التعليق من الأنثيين (الخصيتين) أو غير ذلك من الأمور الشنيعة)!

ووصف «ابن جبير» ما لقيه مع الحجاج المغاربة بعيذاب من نكال، وما تحملوه من أذى بقوله: (ولأهل عيذاب في الحجاج أحكام الطواغيت، وذلك أنهم يشحنون بهم الجلاب حتى يجلس بعضهم على بعض، ويقودهم كأنهـــا أقفـــاص الدجاج المملوءة، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة فـــي الكـــراء حتـــى يستوفي صاحب الجلبة ثمنها في طريق واحدة ولا يبالي بما يصنع البحر بها بعد ذلك، ويقولون: "علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح"، وهو مثـــل متعـــارف بينهم).

ويؤكد «المقريزي» على صحة ما ذكره «ابن جبير» في تلك الفترة من ذلك الوقت والحجاج يلاقون الأهوال من أهل عيذاب في أخذ الأجور الباهظـــة، واستمر هذا الحال إلى أن أمر الناصر «صلاح الدين» سنة 572هـــــ أهـــالي عيذاب الذين كانوا يتحكمون في نقل الحجاج برفع زيادة كراء الجلاب، كما أنه أبطل المكوس التي كانت تؤخذ من الحجاج، وأجزل الهبـــات والعطايـــا لأهـــل عيذاب، من أجل ذلك ينصح «ابن جبير» من يمكنه ألا يراها أن يكون طريقـــه كله على الشام على حد تعبيره. وهناك وثائق كثيرة في مجموعة الجنيزة تشرح المعاملة العنيفة التي كان يعامل بها التجار في موانئ البحر الأحمـــر وخاصـــة عدن وعيذاب.

ويبدو أن الرحّالة الذين جاءوا بعد ذلك في أواخر القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) لم يسلكوا هذا الدرب، ما عدا الرحّالة «التجيبي»[86] الذي قلّد «ابن جبير» في سلوك هذا الدرب المليء بالمصاعب، ولـم تختـف هـذه الممارسات والمضايقات من البلاد. يقول «ابن جبير»: (وقـد اهـتم المماليـك بجماعة البجاة التي تسكن منطقة الصحراء الشرقية لما في بلادهم من الثـروات المعدنية، وخاصة الذهب، وكونها أيضا معبرًا من معابر التجارة المصـرية، إذ كان يسلكها التجار الذين كانوا يتاجرون مع بلاد الهند واليمن والحبشـة، فتـرد المتاجر في البحر حتى عيذاب ثم منها على قوص. وبذلك أضحت تلك المنطقة التي يسيطر عليها جماعة البجاة ضعيفة بما يصدر أو يرد من قوافـل التجـار والحجاج، وكان لأهلها من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى، لأن لهم على كـل جمل طعامًا يحملونه ضريبة معلومة خفيفة المئونة بالإضـافة إلـى الوظـائف المكوسية، ولهم أيضا من المرافق نفس الحجاج إكراء الجـلاب بيـنهم وهـي المراكب فيجتمع لهم من ذلك مال كثير في عملهم إلـى جـدة وردهـم وقـت انقضائهم من أداء الفريضة).

وجاء في خريدة العجائب[87] وفريدة الغرائـب لـــ «ابـن الـوردي»: (عيذاب: وما يتصل بها من الصحراء المنسوبة إلى عيذاب وليس لهـا طريـق معروفة إلا رمال سيالة، ولا يستدل عليها إلا بالحبال والكدي وربمـا أخطأهـا

---

[86] **التجيبي، القاسم بن يوسف:** من مواليد سبتة، زمن حكم بني مرين للمغرب الأقصى، توفي 1231م، من مشاهير الرحالة المؤرخين، أهم كتبه "مستفاد الرحلة والاغتراب".

[87] **خريدة العجائب:** من تأليف سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي، المتوفى سنة (852هـ/ 1447م، وقيل سنة 861هـ/ 1457م). كان ابن الوردي الحفيد عالما زراعيًا وجغرافيًا، وقد ألف كتابًا بعنوان: منافع النبات والثمار والبقول والفواكه، وله كتاب بعنوان: فرائض وفوائد، وأشهر كتبه "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" ولكن هذا الكتاب منسوب إلى جده القاضي عمر بن الوردي تـوفي 749هـ/ 1348م، وقد ألّف ابن الوردي هذا الكتاب حسب ما ذكره المؤلف سنة 822هـ/ 1419م، أي بعد وفاة ابن الوردي الكبير بإحدى وسبعين سنة.

الدليل وهو ماهر. وعيذاب مدينة حسنة وهي مجمع التجار برًا وبحرًا، وأهلهـا يتعاملون بالدراهم عددًا ولا يعرفون الوزن، وبها والٍ من قبل البجا ووالٍ مـن قبل سلطان مصر، يقسمان جباياتها نصفين، وعلى عامل مصر القيـام بطلـب الأوراق وعلى عامل البجا حمايتها من الحبشة. واللبن والعسل والسـمن بهـا كثير، وبينها وبين الحجاز عرب البحر وبين النوبة قوم رحالة يقال لهم البليون أهل عزم وشجاعة يهابهم كل من حولهم من الأمم ويهادنونهم وهـم نصـارى خوارج على مذهب اليعقوبية"[88]).

يذكر التجيبي في (مستفاد الرحلة) أنه دخل مدينة عيذاب "حرسها الله تعالي" (وهي على ضفة بحر القلزم، وليست بالكبيرة القطر، وأهلها قوم من البجّة السود، وأكثر بيوتها أخصاص، وفيها آدر يسيرة مجصّصة، ابتناها التجار المدعوون بالأكارم، وهي من أشد البلاد حرّاً. وأهل هذه البلدة الساكنون بها ينصرفون عراة رجالاً ونساءً، ولا يوارون شيئاً غير خرق زرق، أو جلود يسترون بها عوراتهم فقط، وشعور نسائهم بادية، ويذكر أنّهم لا يعاقبون على الزنا، ولا يُعارون عليه).

وظلّت "عيذاب" مزدهرةً ازدهارًا كبيرًا، حتى قام السلطان المملوكي «الظاهر بيبرس» بإعادة فتح الطريق البرّي إلي الحجاز عبر سيناء بعد استتباب الأمن بها وبعد هزيمة الصليبيّين. وعاد الحجّاج إلي الطريق البرّي مرةً أخري باستثناء الحجّاج المغاربة الذين كانوا يُفضلّون الطريق عبر مدينة قوص وصحراء "عيذاب" ومنهم القطب الكبير «الشيخ أبو الحسن الشاذلي» الذي كان

---

[88] **مذهب اليعقوبية**: مذهب من مذاهب الديانة المسيحية. يتكلم التابعون العربية والأرمنية، ويتبعون المسيحية (لاتين كاثوليك وأرمن أرثوذكس). وبين أرض النوبة وأرض البجا قوم رحالة يمتازون بالصرامة، وهم نصارى خوارج، وأكثر أهل البجا نصارى خوارج على مذهب اليعاقبة (نزهة المشتاق للإدريسي).

يسلك هذا الطريق عندما وافته المنيّة في وادي حميثرا أثناء آخر رحلة حج له، ولم يّكتب له أنّ يصل إلي ميناء عيذاب. ويرقد جثمانه الطاهر منذ ذلك الوقت في وادي حميثرا، والذي أصبح فيما بعد أكثر المزارات الإسلاميّة شهرةً في محافظة البحر الأحمر، وقامت في رحابه قريةٌ سُمّيت بقرية «أبي الحسن الشاذلي» عام 1982م.

أهمية عيذاب الإستراتيجية

دفعت بميناء عيذاب إلى المقدمة التطورات التي حدثت في مصر والعالم والتي سادها صراع تاريخي لتنافس طريقين تجاريين: سبيل مصر والبحر الأحمر المنافس لطريق الخليج العربي (الفارسي) والهلال الخصيب. وقد ران على الطريق الأول كساد طويل خاصة بعد قيام الدولة العباسية، حتى جاء الفاطميون الشيعة[89] وعملوا علي إضعاف العباسيين السنَّة بإنعاش طريق مصر والبحر الأحمر، ونجحوا في ذلك، كما انصرف التجار عن القُلزم، ميناء مصر القديم، أيضًا للمخاطر التي تحيط به ولبعد موقعه في طريق تجارة البحر الأحمر المنتعش آنذاك. ووجد الفاطميون الحل لمتاعبهم مع ميناء القلزم في ميناء عيذاب وذلك بفتح طريق البحر الأحمر.

كانت سياسة الفاطميين تهدف إلي دعم علاقاتهم في اليمن وإلي تغلغل دعاتهم إلي الساحل الغربي للهند، وبدأ كبار التجار وأصحاب السفن يتحولون عن بغداد والبصرة ليركزوا نشاطهم في عدن، وبذلك ارتبطت أهم طرق الملاحة في مياه الجنوب بمصر ارتباطًا وثيقًا من ساحل الصين إلي عدن ومن عدن إلي مواني مصر في البحر الأحمر، وأهمها ميناء عيذاب (لبيب، 1982).

[89] **الفاطميون أو العبيديون**: سلالة شيعية حكمت تونس، ومصر، والشام، وعلي فترات الجزائر والمغرب والجزيرة العربية وصقلية، وكان لها نفوذ قوي ببلاد النوبة بين 909 و1171م.

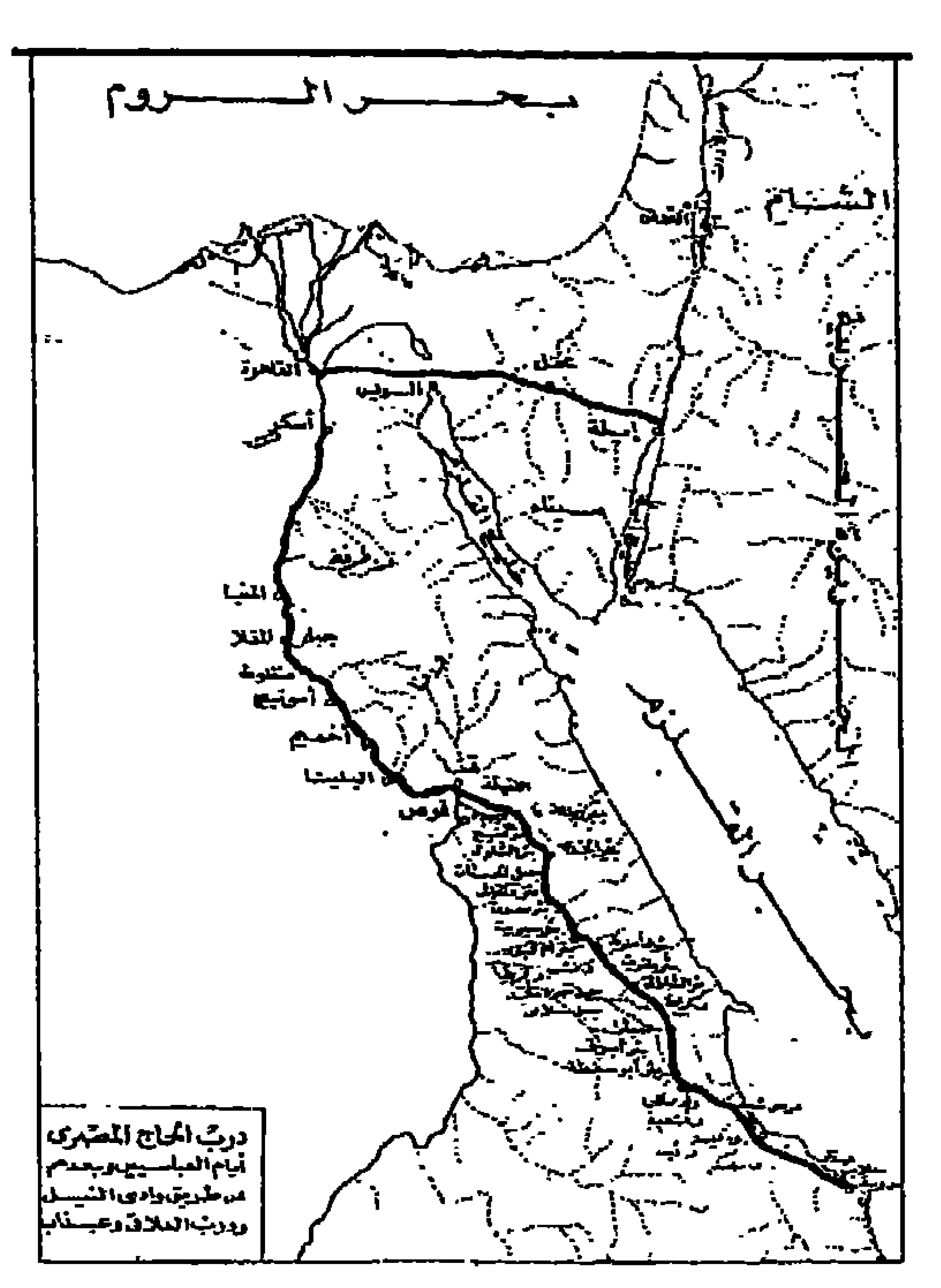
لم يعد الحجاج من المغرب ومصر يأمنون لطريق سيناء لتردي الطريق نفسه وقيام الحروب الصليبية، فتحولوا إلي عيذاب بين 1067- 1268م (شكل 3-6) وقد ازدهرت عيذاب حتى قال «ابن بطوطة» إنه لم يستطع إحصاء القوافل الخارجة والداخلة إلى "دنقاش" لكثرتها، وبلغ من أمن مناطقها الداخلة (أن البضاعة التي نفقت راحلتها تبقى على قارعة الطريق حتى تُسترد لا يمسها إنسان). وكان بالميناء صناعة سفن مخصوصة لتناسب ماء البحر الأحمر، وكانت بضاعة الصين والهند تفرغ في عدن ثم تحملها سفن الداو[90] إلى عيذاب ثم صعيد مصر. وكان تجار عيذاب يدفعون لبضاعة الهند بالذهب أو ببضاعة مصر والمغرب من الحرير والرصاص والنحاس.

واستمر النفوذ السياسي العسكري لجماعة البجاة في عيذاب في العصر المملوكي، وكان للبجاة ملك يسمى «الحُدْرُبي»[91]، مقره مدينة سواكن ولجأ صاحب سواكن إلى مضايقة الحكومة القائمة بمصر بالتعرض للتجار أو بالثورة عليها، وربما كان لملك النوبة دور في دعم سلطان البجاة في الجنوب المصري، وذلك لأنه لم يهدأ خاطره لامتداد السيادة المملوكية إلى سواكن، إذ انقضّ من قبل على سواكن وعيذاب وأسر وخرّب، ولهذا أرسل «الظاهر بيبرس» حملته إلى النوبة سنة 686 هـ / 1287م.

---

[90] الداو: مركب إبحار تقليدي عربي، كان يستخدم أساسًا على بعض السواحل العربية والهند وشرق إفريقيا، ويستخدم الداو في الرحلات التجارية بين السواحل العربية والهند لاستيراد وتصدير مختلف البضائع.

[91] الحدارية: يقول الجغرافيون العرب القدماء إن عشائر من (حضرموت) في اليمن اختلطت بقبائل البجا في شرق السودان قبل ظهور الإسلام مكونة ما عرف بـ (الحدارية) ومفردها حدربي، ولعلها تصحيف لكلمة حضرمي وقد احتفظوا بلغتهم البجاوية.



شكل (6-3): طريق الحجاج المصري والمحطات بين قوص وعيذاب الذي كان يربط الميناء بوادي النيل في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي (عن مؤنس، 1987م)[92].

كانت المناطق مكمنًا نائيًا للقبائل العربية المتمردة، وملجأً للهاربين من وجه السلطنة المملوكية ومنهم الأمير «كراي[93]» الذي هرب إلي السودان بعد أن غضب عليه «الناصر محمد»[94].الذي كان سلطانًا علي مصر سنة 693هـ / 1293م.

---

[92] هناك خطأ في موقع مدينة قوص في أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي. الطبعة الأولي 1987، فقد ظهرت قوص غرب قنا، والصحيح أنها جنوب قنا وقد صُحح الموقع علي هذه الخريطة، كما أن موقع حميثرا هو نفسه بئر الشاذلي، أي أن الموقع الموضح علي الخريطة بحميثرا لا وجود له.

[93] **كُرَايّ المنصوري**: هو الأمير سيف الدين كراي تولى نيابة دمشق، عينه الملك الناصر على غزة. وقبض عليه ونقل إلى قلعة الكرك فاعتقل بها ثم نقل إلى قلعة القاهرة فبقي فيها محبوسًا إلى أن توفي سنة 719هـ.

[94] **الناصر محمد**: الملك الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون، (ولد بالقاهرة في 684هـ / 1285 - توفى بالقاهرة في 741هـ / 1341). تاسع سلاطين الدولة المملوكية البحرية.لقب بأبو المعالي=

تميزت الفترة الأخيرة من دولة المماليك البحرية بالاضطراب السياسي والأمني، وذلك بسبب ثورات البدو من عرب جهينة ورفاعة، واعتداءات القبائل النوبية فتحول طريق الحج إلى مساره الأصلي (درب الحاج المصري والمغربي)، حين قام السلطان «الظاهر بيبرس» المملوكي بكسوة الكعبة وإخراج قافلة الحج عبر وسط سيناء، فقلّ ارتياد الحجاج لصحراء عيذاب، كما يري بعض المؤرخين أن السبب في تحول التجارة من عيذاب إلى القصير يرجع إلى جشع المماليك وإلى رغبتهم في الحصول على أكبر قدر من المال في أواخر عصر المماليك البحرية، خصوصًا بعد أن أصبحت عيذاب تقسم الجباية بين المماليك والبجاة.

طريق الحج المصري

كان طريق الحج المصري من أهم طرق الحج نظرًا لأنه يجمع إلى جانب حجاج مصر أولئك الوافدين للحج عن طريق شمال إفريقيا أو المغرب العربي أو الأندلسيين، وكان هذا الطريق يسلك أحد مسارين، يمتد أولهما من القاهرة شرقًا حتى السويس ثم عبر سيناء الوسطى إلى نِخِل فالعقبة على رأس الخليج، ثم يسير محاذيًا للساحل الشرقي للبحر الأحمر حتى يصل إلى مكّة المكرمة، وأما المسار الثاني فكان يأخذ اتجاهًا إلى الجنوب ملتزمًا نهر النيل من القاهرة حتى قوص إلى الجنوب من جهة ثنية قنا وبعد ذلك يتوجه عبر الصحراء الشرقية في اتجاه إلى الجنوب الشرقي ملتزمًا بعض الدروب والأودية الصحراوية حتى يصل إلى عيذاب قرب الحدود المصرية السودانية الحالية،

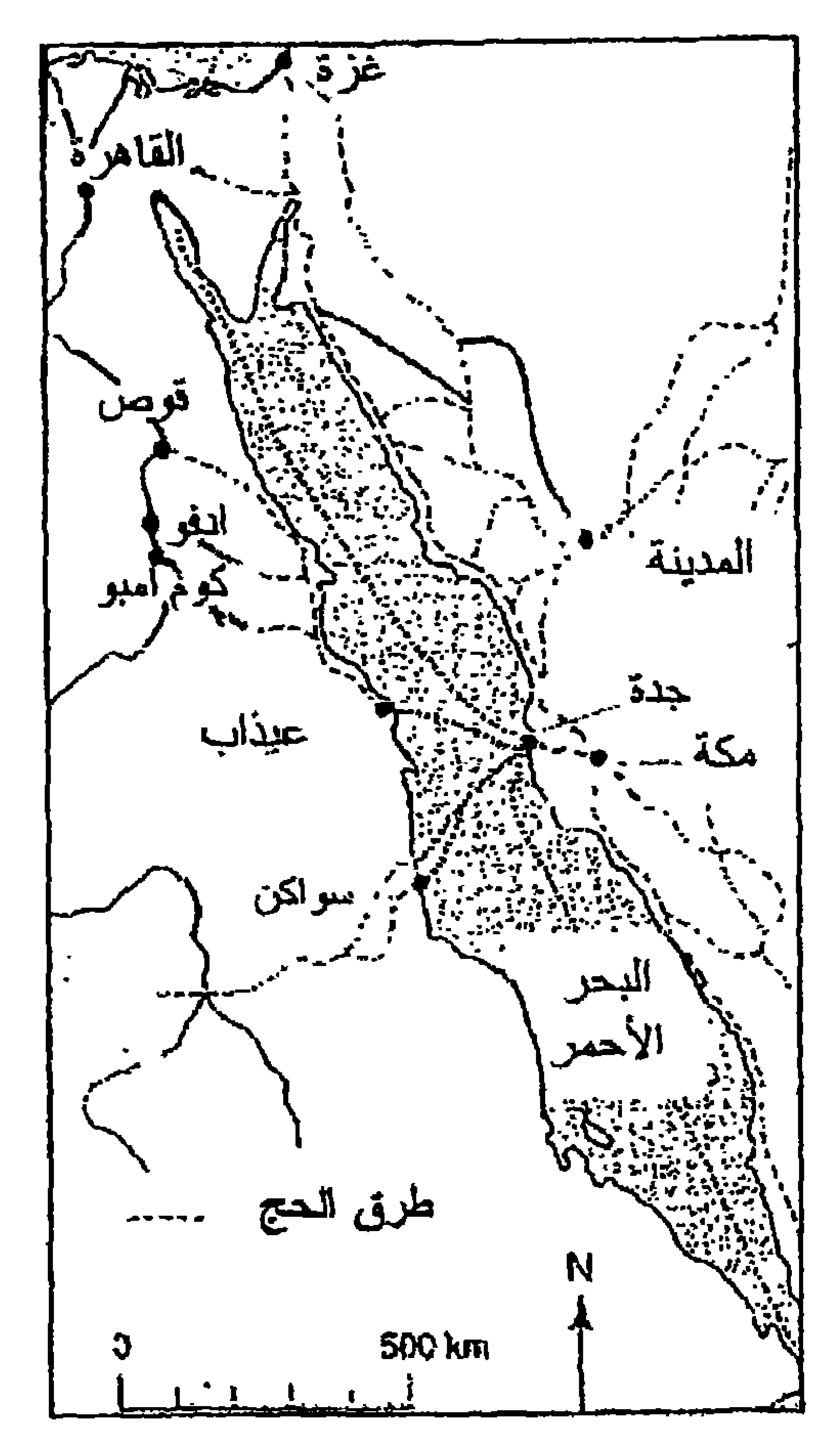
= وأبو الفتح. جلس على تخت السلطنة ثلاث مرات، من 693هـ / 1293 إلى 694هـ / 1294، ومن 698هـ / 1299 إلى 708هـ / 1309 ومن 709هـ / 1309 وحتى وفاته في عام 741هـ / 1341. من أبرز سلاطين الأسرة القلاوونية والدولة المملوكية. خاض حروبًا ضد الصليبيين والمغول، وحروبًا إصلاحية في الداخل ضد الفساد. شهدت مصر في فترة حكمه الثالثة نهضة حضارية وعمرانية لم تشهدها في عهد أي سلطان آخر من سلاطين الدولة المملوكية.

وعندها يعبر طريق البحر الأحمر وصولاً إلى جدة ومنها إلى مكّة المكرمة وكان طول المسار الأول يصل إلى حوالي 1500 كم.

أما إذا استخدمت وسائل نقل سريعة من الخيل أو الإبل فقد يتم قطع الطريق في أحد عشر يومًا في المسار الأول من بركة الحاج إلى مكّة المكرمة. ويلاحظ أن المسار الأول، الذي يمثل طريقًا بريًا كلية، استمر طالما توافر أمن الطريق، ثم أدى الاحتلال الصليبي لبلاد الشام إلى تهديد استمراره، وعاد استخدامه بعد زوال الخطر الصليبي، وكانت آخر الرحلات التي سلكته في عام 1301هـ (1883م) حيث كانت آخر قوافل الإبل وعليها 1170 حاجًا، أما المسار الثاني فقد كان أكثر استخدامًا وقد استخدمه كل من «ناصر خسرو» و«ابن جبير» و«ابن بطوطة» في رحلاتهم للحج.

طرق الحج القديمة تستعيد شبابها

خرجت توصية من المجالس القومية المتخصصة المصرية بتجديد طريق الحج القديم والذي كان يمتد من مدينة قوص وصولاً إلي موقع عيذاب علي ساحل البحر الأحمر. وكان مشروع طريق الحج القديم والذي يبدأ من بلدة حجازة بالقرب من قوص ليصل إلي عيذاب علي ساحل البحر الأحمر كمشروع سياحي ديني ضمن المشروعات المستقبلية لمحافظة البحر الأحمر. ويوضح التقرير أنه يمكن التعاون بين محافظتي البحر الأحمر وأسوان علي وجود وصلة من أنسب نقطة علي طريق إدفو ـ مرسي علم المرصوف إلي موقع ضريح «أبي الحسن الشاذلي» لتكون طريقًا مباشرًا إليه، وفي الوقت نفسه يمكن أن تكون هذه الوصلة جزءًا من طريق الحج المقترح؛ والمعروف أن ضريح سيدي «أبي الحسن الشاذلي» يوجد علي هذا المسار الذي يمكن أن يسلكه أبناء الطريقة الصوفية الشاذلية في مصر وشمال إفريقيا (شكل 6-4).



شكل (6-4): طرق الحج القديمة في العصر الوسيط
عن (Paul, 1955 بتصرف).

كانت عيذاب الثغر الرئيسي للحجاج المغاربة والمصريين ومرسي تجاريًا مهمًا بالنسبة لتجارة التوابل، فلما فتح «الظاهر بيبرس» أيلة ناحية سيناء زار مكّة عن طريق السويس ليصبح هذا هو طريق الحج المصري منذ ذلك الحين حتى عام 1884م حين انقطع سير الحجاج في عهد «الخديوي توفيق» في طريق سيناء واتخذ طريق البحر الأحمر إلي جدة، وفي هذه الفترة وسع محجر الطور ثم مد إليه خط تلغراف من السويس وكان تعبيد هذا الطريق يمثل راحة للحجاج تفوق الوصف وظل هذا الأمر إلي يومنا هذا وهو ما يعني

استخدام المصريين للطريقين بالتناوب حسب ما تقتضيه الظروف الأمنية والسياسية والاقتصادية.

وهناك خط شهير يستخدمه أهل الصعيد عن طريق قنا ــ سفاجا ومنها إلي ضبا (قبالة شرم الشيخ) القريبة من ميناء جدة بالمملكة العربية السعودية.

وهناك درب للحج يأتي من السودان في الصحراء حتى أرقيم علي الحدود المصرية السودانية ومنها إلي أسوان ويمر الحجاج بعدها علي منطقة «الشاذلي».

ويصف «أبو الفدا» الطريق من قوص في "تقويم البلدان" قائلا: (ومن كتاب ابن سعيد[95] قال وفي سمت أسوان من جهة الشرق طريق للحجاج إلي عيذاب وغيرها من المواني التي يركبون منها إلي مكّة فمن أخذ من أسوان مشرقًا فعلي الوضح ثم يلتقي هذه الطريق مع طريق قوص وسميت هذه الطريق بالوضح لخلوّها عن الجبال المشتبكة التي في طريق قوص).

وذكــرت المراجع المعاصرة لتلك الفترة، اضطراب الأمن في طريق حج عيذاب جدة سنة 715هـ/1315م، بسبب خروج أهل عيذاب على رسل صاحب اليمن، عند وصولهم إلى عيذاب واستيلائهم على الهدايا التي كانوا يحملونها إلى السلطان «الناصر محمد بن قلاوون»، وتكرار عدوانهم ضد رسل صاحب اليمن وضد التجار، الأمر الذي دعا السلطان إلى إرسال حملة تأديبية

---

95 **ابن سعيد، أبو الحسن:** (605 ــ 685هـــ / 1208 ــ 1286م)، جغرافي أندلسي، ولد في غرناطة، تعلم في أشبيليا وتنقل من المغرب الأقصى إلى الخليج العربي. كان ابن سعيد كاتبًا وشاعرًا، أشهر كتبه فلك الأرب المحيط بحلى لسان العرب، تحدث فيه عن البلاد وكُوَرِها وموقعها من الأقاليم وما بها من أنهار ومعادن ونباتات، وأنباء مَنْ تداول عليها من الملوك وخاصة بلاد الأندلس، أما الكتاب الآخر فهو بسط الأرض في الطول والعرض وهو جداول بالمدن والجبال والأنهار والبحار؛ وقد حدد ابن سعيد أطوال البلاد وعروضها بدقة، وقد قسم الأقاليم إلى تسعة أقسام؛ ثمانية شمالي خط الاستواء وواحد جنوبي خط الاستواء، ثم قسم كل إقليم إلى عشرة أجزاء طويلة.)

إليهم. وبعد ثلاث سنوات ثار أهل هذه البلاد مرة أخرى على الأمير المصري المقيم بعيذاب فأرسل السلطان حملة عسكرية ضدهم لإخضاعهم والإقامة الدائمة في عيذاب للعمل على استتباب الأمن في صحراء عيذاب وفي طريق الحج عيذاب جدة.

ونظراً لازدياد الاضطراب في عيذاب وتمرد أهلها ومضايقتهم للتجار والحجاج، قرر السلطان المملوكي «محمد بن قلاوون» ومن بعده من حكم من سلاطين المماليك إلى نقل معظم نشاط عيذاب البحري إلى ميناء الطور، التي أصبحت الميناء الرئيسي للدولة. وقد أثر هذا التحول كثيرًا على مصير عيذاب وتدهور أمرها، في الوقت الذي ازدهر فيه ميناء جدة الذي بدأ يستعيد دوره القديم ميناءً رئيسيًا في طريق المراكب اليمنية القادمة من عدن إلى شمال البحر الأحمر في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.

ومما أدى وساعد على تدهور أحوال عيذاب آنذاك تدهور الأحوال الاقتصادية في صعيد مصر، الأمر الذي أدى إلى فقدان مدينة قوص، القاعدة الخلفية التي تخدم نشاط عيذاب، لمكانتها وازدهارها، وقد أصابت بلاد الصعيد آنذاك المجاعة بسبب قصور النيل.

ضاعت معالم موقع عيذاب بمرور الزمن وضاعت معالم طريق حجها في البحر إلى جدة، والدليل على ذلك أنّ الرحالة البرتغالي «دون جوان دي كاسترو»، الذي قام بزيارة مواني البحر الأحمر سنة 948هـ / 1541م ذكر أنه زار موانئ زيلع وسواكن والقصير والسويس والطور وجدة ولكنه لم يذكر عيذاب لاندثار معالمها. والدليل أيضًا على اندثار تلك المدينة ذات التاريخ العريق أنّ مماليك «علي بك الكبير»، في التاريخ الحديث، وهم في طريقهم إلى الحجاز أقلعوا من ميناء القصير إلى جدة لأنه لم يعد لعيذاب آنذاك أي أثر.

بدأ الاهتمام الأوروبي بإثيوبيا يزداد باضطراد، والظاهر أن هذا الاهتمام كان لأسباب اقتصادية ولكن الواقع أن هذا التقارب كانت له أهداف سياسية

ودينية، فجمهورية فينسيا علي وجه الخصوص حاولت أن تفتح الطرق الملاحية للبحر الأحمر والاتصال بالمملكة المسيحية في إثيوبيا وكان من أهم طرقهم طريق القاهرة ثم عبور الصحراء إلي القصير وعيذاب الواقعتين علي البحر الأحمر. وفي مطلع القرن الخامس عشر الميلادي كان رهبان البندقية وتجارها لا يزالون يستخدمون طريق قنا (قوص) -عيذاب وذلك بهدف عقد التحالفات الاقتصادية والثقافية المسيحية في إثيوبيا.

7- ميناء عيذاب: سفن التعريب وانتشار الإسلام والثقافة العربية

يا ثغر عَيْذاب ابْتَسِم****صَدْرُ الطّريق لك انشَرَحْ
تاللّهِ لو وُزِنَ النَّبِيُّ***** بِكلِّ مَخْلوقٍ رَجَحْ
أحمد بن ناشئي
(شاعر من قوص)

سرت الثقافة العربية في يسر في أوصال الجسم الثقافي الإفريقي عبر مصر والسودان رغم أن هذين البلدين كانتا تتميزان بحضارة وثقافة علي مستو رفيع، بل كانتا المنارتين المضيئتين في وادي النيل ولمدة تزيد على عشرة آلاف عام، ولا شك أن العلاقة الأزلية بين ضفتي بحر القُلزم (البحر الأحمر)، أي بين إفريقيا والجزيرة العربية، يسّرت من انسياب الثقافة العربية دون عناء.

ويرى عدد من المؤرخين وعلماء الأجناس أن علاقات التصاهر بين شعوب المنطقتين قد بدأت قبل ظهور الإسلام، وأن البجا في شرق السودان والماساي[96] في شرق إفريقيا من نتاج تزاوج عربي إفريقي. ويورد سيلجمان Seligman[97] أن القبائل التي كانت تسكن في جنوب السودان وهى الدينكا والنوير والشلك[98] تحمل دماءً قوقازية وحاميّة وهناك من المؤرخين من يشير

---

[96] **الماساي:** شعب إفريقي اشتهر أفراده بوصفهم محاربين مهرة وبانتهاجهم لأساليب تتسم بالاستقلالية الشديدة. يعيش نحو 250,000 من الماساي في جنوبي كينيا وشمالي تنزانيا.

[97] **سيلجمان:** (1873-1940م) عالم أجناس بريطاني، تخصص في شعوب إفريقيا الوسطي، ودرس الإنسان النوبي والبجاوي، من أشهر مؤلفاته كتاب أجناس إفريقيا.

[98] **قبائل الدينكا، النوير، الشلك:** (مجموعة النيليون) يقدر عدد الدينكا بنحو 3 ملايين نسمة، وهي كبرى المجموعات الإثنية في السودان وتعيش شمال مديريات الإقليم الجنوبي إلى جنوب كردفان. تسكن قبيلة النوير في إقليم أعالي النيل إلي داخل حدود الحبشة. أما قبيلة الشلك فهي أقل المجموعات الثلاثة تعدادًا، وتعيش على الضفة الغربية للنيل الأبيض من كاكا في الشمال إلى بحيرة نو في الجنوب ويذهب علماء السلالات إلى أن هذه القبائل تنتهي إلى جد واحد.

إلى عمق تأثر عقائد هذه القبائل بما جاء في الديانات السماوية الثلاثة الوافدة من الشرق الأوسط وهى الإسلام والمسيحية واليهودية.

صلة وادي النيل بالجزيرة العربية

أما عن صلة سكان وادي النيل بالجزيرة العربية فيشير «الطبري»[99] في تاريخه إلى أن العرب كانوا يعيشون منذ القدم على ضفتي بحر القلزم. ويشير الجغرافيون العرب القدماء إلى أن عشائر من حضرموت في اليمن قد اختلطت بقبائل البجا في شرق السودان قبل ظهور الإسلام مكونة ما عرف بالحداربة وقد احتفظوا بلغتهم البجاوية، كذلك فقد عبرت مجموعة صغيرة من قبيلة هوازن البحر الأحمر إلى شرق السودان حيث استقرت في منطقة جبال التاكا واختلطت بقبائل البجا وتعرف اليوم بقبيلة الحلنقة (الحلنقا).

وقد أشار الرحالة العربي «ابن حوقل» إلى أنه وجد عربًا سودًا في منطقة القضارف (ولاية القضارف، كبرى ولايات شرق السودان).

بدأ التاريخ الحقيقي للتغلغل العربي في مصر والسودان بحملة والى مصر الذي خلف «عمرو بن العاص» وهو «عبدا لله بن سعد بن أبى السرح» الذي جرّد حملة سنة 641م لفتح بلاد النوبة المسيحية فلم تنجح الحملة في إخضاعهم بل تكبّد المسلمون فيها خسائر فادحة من رماة الرماح الذي أطلق عليهم العرب اسم "رماة الحدق"[100] لمهارتهم في إصابة أهدافهم بما في ذلك عيون أعدائهم.

---

[99] **الطبري**: الإمام محمد بن جرير، ولد سنة 224هـ ومات ببغداد عام 310هـ، صاحب أكبر كتابين في التفسير والتاريخ: تفسيره المعروف بتفسير الطبري، وكتاب "تاريخ الأمم والملوك" والذي يعرف بتاريخ الطبري.

[100] **الحدق**: جمع حدقة العين أي سوادها الأعظم.

وكرر «ابن أبى السرح» المحاولة بعد سنوات دون نجاح وأخيرًا لجأ إلى مصالحة النوبة عبر معاهدة سميت معاهدة "البَقْط"[101] (من اللاتينية Pactum أي عهد أو اتفاق) ولعلها أطول معاهدة في التاريخ، إذ ظلت نافذة على مدى ستة قرون.

فتحت هذه المعاهدة الباب لتدفق العرب المسلمين على بلاد النوبة، وشكّلت هذه المعاهدة مع معاهدة أخرى أبرمت عام 855م مع قبائل البجا في شرق السودان وتلال البحر الأحمر أهم معلمين لبداية انتشار الوجود العربي والثقافة العربية في السودان، وقد فتحت معاهدة المسلمين مع البجا أول ما فتحت أرض البجا لتدفقات عربية كبيرة بدأتها قبيلة ربيعة التي كانت تعيش في نجد وشرعت في التنقيب عن الذهب في منطقة وادي العلاقي في المنطقة الممتدة بين ميناء عيذاب وأسوان وبلاد النوبة، ومنذ ذلك الحين احتدمت صراعات مريرة بين القبائل العربية المهاجرة المتنافسة على الثروة والملك في المنطقة وبين البجا والنوبة من جانب آخر كما جاء في خطط المقريزي، وكتاب "هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان" للمؤرخ السوداني «ضرار».

التدفق العربي إلي النوبة

أما بالنسبة للتدفقات العربية إلى بلاد النوبة فقد بدأت بوصول الخليفة العباسي «المعتصم[102]» إلى المُلك في بغداد ووصول «أحمد بن طولون» واليًا على مصر 868م كأول والٍ مسلم غير عربي حيث قام الخليفة «المعتصم» .

---

[101] **معاهدة البقط:** عهد الصلح الذي عقده الصحابي عبد الله بن سعد بن أبي السرح، عامل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) على مصر مع "قيلدروث" ملك النوبة "المقرة" في عام 31هـ الموافق لسنة 561/562م.

[102] **الخليفة العباسي:** المعتصم بالله (واسمه محمد)، ولد عام 180هـ في الشهر الثامن، وهو ثامن خلفاء بني العباس وثامن أولاد هارون الرشيد، استلم الخلافة سنة 218هـ في شهر أغسطس، فتح ثمانية فتوح، وكانت مدة خلافته 8 سنوات و8 أشهر و8 أيام، وأنجب ثمانية بنين وثمان بنات، وقد عاش 48 سنة، وصادفت وفاته تاريخ 18 ربيع الأول، لذا سمي بـ الخليفة المثمن.

والذي كانت أمه من أصول تركية باستبدال الكتائب العربية في مصر بأخرى من المماليك والأتراك.

تكونت طبقة حاكمة مميزة في مصر انحصر وجودها في أروقة الحكم وفي الحاميات والحصون العسكرية فظلت على بداوتها وتقاليدها العربية. وصحب قطع الأعطيات تضييق على الوجود العربي في مصر كان سببًا في تدفق الهجرات العربية إلى بلاد البربر في الغرب وإلى بلاد النوبة في السودان (تاريخ العرب في السودان، ماكمايكل، 1935م).

ومع تكاثر الوجود العربي وانتشار الإسلام تساقطت ممالك النوبة المسيحية ومع تزايد التصاهر بين العرب والنوبة انتشرت اللغة العربية، ويرجّح «ابن خلدون» أن العرب استفادوا من تقاليد النوبة في توريث الملك لأبناء الأخوات فتزوجوا أخوات الملوك حتى انتهى الملك إلى أبناء العرب من النوبيات فزاد ذلك من وتيرة التعريب في البلاد. وانتهت عمليات التصاهر بقيام أول دولة عربية إسلامية في السودان عام 1504م أي منذ أكثر من خمسمائة عام.

دخل التعريب والإسلام عن طريق التجارة العالمية من خلال موانئ البحر الأحمر، وكانت التجارة حرة يديرها التجار ولا تتدخل الدولة المصرية المسلمة فيها إلا حين اقتضى الأمر كسر شوكة القراصنة الأحباش اللذين كانوا يقطعون طريق السفن.

وقد ارتبطت هذه الموانئ بطبقة تجارية عربية وأجنبية أخرى بأكثر من ارتباطها بقبائل البجا. وكان لقادتهم الحداربة نصيب من مكوس الميناء بالشراكة مع سلطان المماليك. أما دور العرب في التجارة فقد تجلّي في أن الميناء كانت تحت "قبيلة ربيعة" في طور من أطوارها، كما أن أصحاب

الجمال التي تؤجر للقوافل من أهل اليمن من قبيلة "**بلى**"[103] وهم الذين كانوا يضمنون التجار والبضاعة.

ميناء عيذاب...ميناء الذهب

نشأ ميناء عيذاب كمرسى لخدمة أغراض أرض المعدن وبلغ شأوًا كبيرًا، وأصبح ملتقي لسفن الهند وشرق إفريقيا وجنوب الجزيرة العربية، وربط مصر بهذه التجارة الرائجة، وأضحي ميناءً عالميًا لا محليًا.

كان الميناء تحت سيطرة الفاطميين وعليه مندوب منهم يفرض مكوسًا على البضاعة التي ترد من اليمن والحبشة وزنزبار. وكان على عيذاب والٍ من مصر يقتسم الريع مع زعيم البجا «الحدربي». وقد تزايد نصيب زعيم البجا من نصف الدخل إلى معظمه ثم كان نصيب «الحدربي» الثلثين، الذي كان عليه تأمين التجارة من شرور قومه (رحلة ابن بطوطة).

كان تجار عيذاب يدفعون لبضاعة الهند بالذهب أو ببضاعة مصر والمغرب من الحرير والرصاص والنحاس والكيمائيات. وتناقصت قيمة عيذاب للحج بعد تأمين طريق سيناء بعد طرد الصليبيين في 1267م إلا أنها ظلت الطريق المفضل لحجاج المغرب حتى 1348م. ثم أفلت عيذاب، فقد تضررت من الحروب الصليبية فخرَّب مرساها أحد أمراء الصليبيين «البرنس ارناط» الذي أغرته الميناء برغم أنه كان يقصد الأراضي المقدسة.

---

[103] **قبيلة بلي**: تعد قبيلة بلي من أعظم بطون قضاع، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وهزموا بلاد النوبة، وأزالوا ملكهم وحاربوا الحبشة. دخلت قبيلة بلى الإسلام في وقت مبكر، وقد شاركوا في عدد من الغزوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يقول «أبو الفدا» في "تقويم البلدان": (قال ابن سعيد: والعلاقي من بلاد البجا وهم سودان مسلمون ونصارى وأصحاب أوثان وهي بالقرب من بحر القلزم ولها مغاص ليس بالجيد وبجبلها معدن ذهب يتحصّل منه بقدر ما ينفق في استخراجه وجبل العلاقي مشهور، والوضح هو منزل للحاج في شرقي العلاقي وعرض الوضح قريب من عرض أسوان، قال العزيزي: إذا أخذت من أسوان في نصف الشرق تصل إلي العلاقي بعد اثنتي عشر مرحلة وبين العلاقي وعيذاب ثمان رحلات ومن العلاقي يدخل الإنسان في بلاد البجا) (جدول 7-1).

جدول (7-1): الموقع الجغرافي لكل من العلاقي وعيذاب (تقويم البلدان لأبي الفدا)،(طبعة باريس 1848م).

سطر العدد	الاسماء	اسماء الناقل عنهم	ثانى الاقاليم العرفيه وهو بلاد مصر						ضبط الاسماء
			الطول		العرض		الاقليم الحقيقى	الاقليم العرفى	
			درج	دقائق	درج	دقائق			
٢٧	العلاقى	اطوال قانون ابن سعيد	نج نه مج	ح ح ح	كو كر ك	ح ح م	من آخر الاول	من البجا	بفتح العين المهملة واللام المشددة ثم الف وقاف مكسورة ثم ياء مثناة من تحت
٢٨	عيذاب	اطوال	لح	ح	كا	ح	من الثانى	من البجا	بفتح العين المهملة وسكون المثناة من تحت وفتح الذال المعجمة والف وفى الآخر باء موحدة

كان أمير بني ربيعة عام 332هـ / 943م «أبـــو مروان بشـــر بـــن إسحاق» الأمير العربي وصاحب بلاد البجا في وادي العلاقي وكان في رعايته ثلاثة آلاف من بني ربيعة وثلاثين ألفاً من البجا وخاصة الحداربة (الحدارب) – الذين كانوا كلهم مسلمين – مما ساعد علي قيام الإمارة العربية في منطقة وادي العلاقي وانتشار الإسلام بين البجا وعودة الهدوء إلي المنطقة الحدودية وكـــف ضرر البجا علي مسلمي الصعيد وإنهاء الهجمات علي كل بلاد الصعيد. وعيّن من بعده ابن عمه «أبي عبد الله محمد علي بن يوسف» المعروف «بأبي يزيـــد بن إسحاق»، الذي قام بنقل الحكم من وادي العلاقي إلي أســـوان ذات الأهميـــة الكبيرة في التجارة والتحكم في طرق التجارة بين شـــطري مصـــر والســـودان بالإضافة إلي فض النزاعات داخل الإمارة بين قبائل البجا القوية وقبائل العرب التي أدت إلي قتل ابن عمه «أبو مروان بن بشر» مع بقاء أفراد وبطون تشرف علي مناجم الذهب في وادي العلاقي تنوب عنه في حكم البجا وحماية التجـــارة في عيذاب، وقام بهذا الأمر فرع من بني ربيعة هم «بنو يونس» الذين استقروا في عيذاب في بداية الأمر.

كانت إمارة بني ربيعة في وادي العلاقي وعيذاب هي العمود الفقـــري ومركز الانطلاق إلي إمارة بني ربيعة الكبرى وتوسيع حدودها إلي أسوان ثـــم إلي مريس النوبية ثم إلي دنقلا والاستيلاء علي مملكة المقرة التي صارت فيمـــا بعد دولة الكنوز الإسلامية، وقد ساهم أمراء إمارة بني ربيعـــة فـــي التطـــوير السياسي ونشر العروبة والإسلام والثقافة العربية الإسلامية سواء للنـــوبيين أو للبجاويين، **من هنا تأتي أهمية وادي العلاقي في ربط تاريخ مصر والســـودان بكل مقوماته الطبيعة والتراثية والحضارية وازدهار التجارة من وادي العلاقي وعيذاب ذلك الميناء الذي ازدهر في العصر الفاطمي** وأصبح به قاعدة أسطول

بحري مكون من خمس سفن يرابط في مياهه لاستقبال وحراسة سفن (الكاريمي) القادمة من عدن وتأمين البحر الأحمر من القراصنة.

ومع مرور الأيام اتسعت شهرة ميناء عيذاب في العصر الأيوبي وتم من خلاله تحويل التجارة من أوروبا إلي شمال إفريقيا وكذلك الحجاج القادمين من مصر وشمال وغرب إفريقيا والأندلس منذ أن هدد الصليبيون في بلاد الشام الطريق البري في سيناء والطريق البحري الذي يبدأ من القُلزم (السويس) ويتجه إلي مواني الحجاز وعدن مما أعطي الميناء أهمية كبري، وزادت أكثر بعد انهيار ميناء باضع[104] "مصوع" الإريتري في أواخر القرن الخامس الهجري نتيجة صراع القبائل البجاوية التي تسكن في المنطقة.

واقتصر دور البجا في التجارة في العتالة. وكان لقادتهم الحداربة نصيب من مكوس الميناء بالشراكة مع سلطان المماليك. وكانت الميناء تحت إمرة قبيلة ربيعة في طور من أطوارها مما عظّم دور العرب في التجارة. كما أن أصحاب الجمال التي تؤجر للقوافل كانوا من أهل اليمن من قبيلة بلى وهم ضمّان التجار والبضاعة (حسن، 1979 و1989م).

لم يعد الحجاج من المغرب ومصر يأمنون لطريق سيناء لتردي الطريق نفسه وقيام الحروب الصليبية. فصارت قِبلتهم عيذاب بين (1067 – 1268م). وقد ازدهرت عيذاب حتى قال مؤرخ إنه لم يستطع إحصاء القوافل الخارجة والداخلة إلى دنقاش لكثرتها، وبلغ من أمن مناطقها الداخلية أن البضاعة التي نفقت راحلتها تبقى على قارعة الطريق حتى تُسترد لا يمسها

[104]: **ميناء باضع (مصوع)**: يعتبر الميناء من أهم المدن الإريترية المطلة على البحر الأحمر وعرفت مدينة مصوع في التاريخ العربي باسم (باضع) وشهدت نفوذاً كبيراً للعرب في صدر الإسلام.

إنسان. وكان بالميناء صناعة سفن مخصوصة لتناسب ماء البحر الأحمر، وملك الأغنياء هذه السفن.

كان أهل الموانئ عامة ينتهزون فـرص انشـغال حكـام مصـر بالصليبيين مثلاً للاستقلال بأمر الموانئ كما فعل صاحب سواكن فـي1267 – 1268م. وأقام حكام مصر البريد للتجسس على أصحاب الموانئ من القـاهرة إلى قوص وأسوان والنوبة ومن قوص إلى عيذاب. وانقطع البريد في 1342م.

عيذاب وبلاد النوبة

تحفل المراجع العربية بمؤشرات لقوة انتشار الإسلام والتعريب التي كان مدارها اقتصاد عيذاب السياسي. فكان ظهور ميناء عيذاب بؤرة لنزاعـات سودانية وعربية ومملوكية، فالنوبة هاجمتها في 1271م لكسر طوق العزلة التي ضربها عليهم المماليك فرد عليها المماليك بحملة في 1276م، كما تصـارعت في المينـاء كل من جهينة ورفاعة في 1281م مما هدد التجارة فـي الإقلـيم. وأثّرت ثورات عرب صعيد مصر ضد المماليك على عيـذاب. فلجـأ بعـض العرب خلال تلك الثورات إلى قطع طريق القوافل. فجرد «قـلاوون» حملـة انتقامية في 1316م لملاحقة العربان. وبلغت الحملة عيـذاب وسـواكن حتـى التاكا[105] وجبل كسلا والتقت بجماعة الحلنقا[106]. وحاربها الحلنقا ولم يقبلوا مـا عرضه المماليك عليهم من صلح. فانهزم الحلنقا الذين ربما حرضهم العربـان على المماليك، وعادت الحملة أدراجها بطريق النيل في 1317م، وتكرر مثـل

[105] **جبال التاكا:** جبال صخرية جرداء شاهقة في شمال السودان تمثل معلم جغرافي بارز في منطقة سهلية ممتدة وهي تحد مدينة كسلا من الجانب الشرقي وتعتبر من أهم معالمها.

[106] **الحلنقا:** احدي قبائل البجا الكبرى وعاصمتها كسلا (اسم نوع من النباتـات، وبالبجـاوي أيضـا المنطقة المعتدلة الطقس) وهم أهل خيل، ومن عادة أهل الخيل حمل السياط، فأطلق عليهم الأحبـاش اسم (الحلنقا)، ومعناها حملة السياط (أنقا بلغة الأمهرا تعني السوط) أو أصـحاب السـوط، فعرفـوا بالحلنقا منذ ذلك الوقت.

هذا النمط من توغل العرب في السودان وقد وقف إلى جانبهم حلفاء من السكان المحليين.

أدت سياسة الفاطميين والأيوبيين والمماليك مع العرب أو عربان صعيد مصر وتجاه النوبة بالتدريج إلى تهافت دولة النوبة. فسياسة المماليك كانت تهدف إلى تحويل النوبة إلى دولة تابعة. وقد أدى هذا المخطط إلى سرعة دخول النوبة في الإسلام، فالعرب الذين جاءوا في أعداد كبيرة في إطار حملات المماليك تزاوجوا بالأسرة المالكة وتمكنوا من الحكم، وبدأت مملكة النوبة تضمحل في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي بعد إسلام الأسرة الحاكمة وقسم كبير من رعيتها. أما سقوط علوة فقد حدث بصورة رئيسية لغلبة أمر القبائل العربية والذي دفعهم للهجرة إلى داخل السودان نضوب المعدن وتردي طرق القوافل التجارية بعد خراب عيذاب وسقوط المقرة التي وقفت سدًا في وجه توغل العرب إلى جنوبها لقرون.

ولما اعتلي عرش النوبة ملك يُدعي «داود» عام 1272م قام النوبيون بهجومٍ علي "عيذاب" المدينة المصرية علي ساحل البحر الأحمر وكان هذا آخر عمل عسكري لدولة النوبة حيث دخلت مملكة النوبة في عهد المؤامرات واستمر الحال هكذا إلي أن انهزم «كودنيس»، آخر ملك علي مملكة دنقلا المسيحية (710م – 1317م) عام 1323م، وانتهت الدولة المسيحية، وصارت البلاد مفتوحة أمام العرب.

انتشر الإسلام بالسودان في القرن السابع الميلادي (اتفاقية البقط بين عبد الله بن أبى السرح والنوبة 31هـ). أما مملكة علوة فلا توجد معلومات تاريخية عنها. وسقطت هذه المملكة عام 1504م علي يد سلطنة الفونج التي أسقطها فيما بعد «محمد علي».

مناجم الذهب في صحراء عيذاب ودورها في الهجرة العربية

اكتشف العرب مناجم جديدة للذهب والزمرد في أرض البجا فتدفقوا نحوها زرافاتٍ ووحدانًا، وانتابت العرب في مصر حمي **"الهرولة إلى الذهب"** المعروفة، متوافقة مع ضيقهم من سياسات الخليفة «المعتصم». ولم تكتف اتفاقية موقعة بين مصر والبجا في 831م بتأمين استقرارهم في مناجمهم تلك بل حظرت في مادتها الخامسة البجا من ارتياد مواقع المعدن في مناجم وادي العلاقي.

وكان المنجم العربي في أرض البجا منشأة استثمر فيها رجال المال العرب أموالهم، وكانت المناجم متصلة بأسوان وميناء عيذاب، وكان تجار أسوان يمولون التعدين، وكانت بعض المناجم مملوكة للدولة ودخلها من بعض دخل الدولة. ثم تدهورت المناجم حوالي 1094م وتعطلت بسبب هجمات البدو والنوبة والبجا عليها، وهناك دلائل أنها لم تعد مجدية اقتصاديًا.

وكان للتعدين أثر كبير على التعريب وانتشار الإسلام. وعجّل امتزاج العرب على أرض المعدن، فقد تحالفت ربيعة مع البجا. وكانت البجا تريد أن تستقوي بهم على النوبة خصمهم اللدود. وتزاوجت ربيعة في البجا واغتنمت نظام توريث ابن الأخت السائد بينهم لتتولي حكم البجا. ومكّن هذا لربيعة في وجه خصومها من قحطان ومضر. وسادت ربيعة في أرض المعدن من وادي العلاقي إلى عيذاب. وكان تحت أميرهم «بشر بن مروان بن إسحاق» ثلاثة آلاف محارب من ربيعة ومضر واليمن وثلاثون ألفا من الحداربة من مسلمي البجا، كما نجحت ربيعة في إقامة إمارة بني الكنز بجهة أسوان.

كانت هناك قبل الإسلام وقائع حربية متعددة بين البجا والنوبة خاصة بعد أن اعتنق النوبيون الدين المسيحي وبقي البجا على وثنيتهم. ولما ظهر الإسلام في السودان الشمالي، سكن جماعة من المسلمين أماكن معدن الذهب

في صحراء "عيذاب"، ونزح إلى تلك الديار بعض العرب من «ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان»، فاشتدت شوكتهم وتزوجوا من البجا وقويت «ربيعة» بالبجا على من ناوأهم وجاورهم من «قحطان» وغيرهم من «معد بن نزار» ممن سكن في تلك المنطقة.

هاجرت بعض البطون العربية مثل قبيلة بني ربيعة وبني يونس وبني ضيفة إلي وادي العلاقي وعيذاب في القرن الثالث الهجري وفي عهد «المتوكل[107]» العباسي بالذات، وامتد نفوذ عرب ربيعة إلي سائر أنحاء البجا.

استقر العرب بعد ذلك في بلاد البجا وزاد العمران والناس نظرًا لنزوح الكثير من القبائل العربية حتى وصلت الإبل التي تحمل الميرة[108] إليها من أسوان (أكثر من 6 آلاف من الإبل) بخلاف السفن التي تحمل الميرة من السويس إلي عيذاب مما أدي إلي استقرار عرب ربيعة وجُهينة وغيرهم في هذه المنطقة وأخذوا في مصاهرة ملوك البجا وزعمائهم، فانتقل الحكم إليهم في بداية القرن الرابع الهجري نتيجة التقاليد التي كانت معروفة في ذلك الوقت بانتقال الحكم إلي ابن الأخ أو ابن الأخت، ومن هنا فرض بني ربيعة نفوذهم علي البجا وصاروا رعية لهم وصار زعيم بني ربيعة ملكًا أو أميرًا علي العرب والبجا.

---

[107] **المتوكل:** أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي (205 – 247هـ). يُعَدّ عهد الخليفة المتوكل هو بداية عصر ضعف الدولة العباسية وانحلالها، والذي انتهى بسقوطها على أيدي التتار سنة 656هـ / 1258م.

[108] **الميرة:** الطعام والتموين الذي يباع.

والجدول (7-2) يبين الأحداث التاريخية المعروفة والتي مرت علي ميناء عيذاب.

جدول (7-2): تاريخ عيذاب في سطور

مسلسل	الحدث	التاريخ
1	معاهدة البقط بين العرب والبجا	31هـ/ 652م
2	الدولة العباسية	132 -656هـ/ 750م-1258م
3	حملة المأمون ابن هارون الرشيد العسكرية لاخضاع البجا	519هـ/ 831م
4	بدء تدفق العرب إلي بلاد النوبة في عهد المعتصم	218هـ
5	دخول الفاطميين مصر	358هـ/ 969م
6	الشدة المستنصرية	457-464هـ/ 1065-1071م
7	هجوم قاسم بن أبي هاشم حاكم مكة علي عيذاب	512هـ/ 1118م
8	هجوم الصليبي البرنس أرناط علي عيذاب	578-1182
9	وفاة الشيخ أبي الحسن الشاذلي	656هـ/ 1259م
10	زيارة ابن جبير لعيذاب في عهد الفاطميين	579هـ/ 1183م
11	صلاح الدين الأيوبي يأمر عيذاب بإلغاء زيادة كراء الجلاب وتخفيض المكوس	572 هـ/ 1176م
12	بناء فندق الكارمية بالفسطاط	597هـ/ 1201م
13	دولة المماليك	648هـ 923هـ/ 1250-1517م
14	هجوم الملك داود علي عيذاب	570هـ/ 1372م
15	طرد الصليبيين	665هـ/ 1267م
16	حملة بيبرس إلي النوبة	686هـ/ 1287م
17	حملة قلاوون الانتقامية لعيذاب	710هـ/ 1315م
18	زيارة ابن بطوطة لعيذاب	1326م
19	تدمير برسباي لميناء عيذاب	830هـ/ 1426م

8- نهاية ميناء عيذاب

إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ صدق الله العظيم

سورة (آل عمران)

بالرغم من أن عيذاب ازدهرت كواحدة من أهم موانى الترانزيت التي تصل الشبكات الدولية عن طريق اليمن بالهند والصين والبحر المتوسط، كما لعبت دورًا هامًا كميناء لحجاج بيت الله الحرام خلال أربعة قرون من منتصف القرن العاشر الميلادي إلي منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، إلا أنها بدأت في الأفول عندما ثارت القبائل العربية وقبائل البجا الذين يعيشون في الصحراء الشرقية، وفي نفس الوقت انتقل طريق الحج من قوص – عيذاب إلي طريق الطور (سيناء) – جدة.

أخذت حركة التجارة في ميناء عيذاب تتقلص بعد أن تولي المماليك حكم مصر للأسباب الآتية:

1- الاهتمام الذي وجهه المماليك لميناء جدة علي حساب عيذاب.

2- التخفيضات الجمركية التي قدمها المماليك لأصحاب السفن المترددة علي جدة.

3- زيارة «الظاهر بيبرس» لمكّة عن طريق السويس – أيلة بعد استرجاع أيلة من يد الصليبيين عام 666هـ / 1267م.

4- عدم استتباب الأمن في الموانى الجنوبية – الذي صاحبه عودة الأمن إلي الجزء الشمالي من البحر الأحمر – كان له أثره السلبي

علي ميناء عيذاب وميناء القصير حيث بدأت السفن في التحول منهما إلي مينائي الطور والسويس.

ضاق «الظاهر بيبرس» ذرعًا بأهل البجا الذين كانوا يسيطرون علي الميناء ويفرضون جمارك علي كلّ ما يمرّ بأرضهم من قوافل للتجارة، فجهّز جيشًا بريًّا وبحريًّا ليهاجم قبائل البجا، وبالفعل استطاع أن يقضي علي سيطرتهم، وأخذت "عيذاب" في الاضمحلال تدريجيًّا، وتعرّضت لعدّة غارات عليها. وشعر تجار الكارمية بدنو أجل عيذاب فما أن حل القرن الخامس عشر الميلادي حتى اختفوا من مسرح الأحداث (لبيب، 1982).

ومن الملفت للنظر الصمت الذي خيّم علي المؤرخين العرب والذين لم يسجلوا التطور التاريخي لأفول عيذاب باستثناء «ليو الإفريقي» (الحسن الوزّان) الذي سجّل أن السلطان المملوكي «برسباي» دمر "زبيد" عام 830هـ / 1426م. واعتقد كثير من المؤرخين أن المقصود بزبيد ميناء عيذاب، وأنه قد دمره انتقامًا وعقابًا لقبائل البجا التي استولت علي قافلة من الحجاج، إلا أن أحد المؤرخين المعاصرين يعتقد أن الخبر الذي أورده «ليو الإفريقي» لا ينطبق علي عيذاب وأنها لا تعدو أن تكون إشاعة سمعها «ليو» أثناء زيارته لمصر في القرن السادس عشر الميلادي، والأرجح أنه كان ميناء يَنْبُع (ميناء المدينة المنورة) الذي دمره المماليك تحت قيادة الأمير «حسين» عام 1505م (Garcin, 1972).

كانت أكثر الغارات وأشدها وطأة وتخريبًا تلك التي حدثت في عهد السلطان المملوكي «الأشرف برسباي» الذي ردم الميناء بالأحجار الجيريّة البيضاء التي جلبها من القصير عام 830هـ / 1426م، ولا تزال هذه الأحجار موجودةً حتى الآن، وهي تحتفظ تحتها جانبًا كبيرًا من تاريخ ذلك الميناء العريق والذي استمرّ لمدةٍ تزيد عن 850 سنة في خدمة التجارة بين مصر وإفريقيا وآسيا والشرق الأقصى حتى عاد ميناءً بحريًا صغيرًا غير ذي أهميّة، وبالرغم

من كل هذا فقد استمر بعض التجار في التردد علي طريق البحر الأحمر وموانيه باعتباره أسهل الطرق، ثم توقّف النشاط في ميناء عيذاب تمامًا، وظلّ كذلك حتى عهد «ابن إياس» في أواخر القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، ثم تلاشي بمرور الزمن.

وفي دراسة حديثة للمؤرخ الياباني «ياشيما» (Yajima, 1989) عن الأسباب التي أدّت إلي أفول نجم ميناء عيذاب قام بفحص وتحقيق حوالي واحد وعشرين مرجعًا للمؤرخين العرب مثل «المقريزي والإدريسي والخزرجى والسخاوي»، وقاموس البلدان «لابن جيهان» عن المدن المصرية. كما درس كتاب، المعرفة Libre de Connaissance والخرائط الكتالونية وخرائط بورتلانو وغيرها، وراجَع المكتبة القومية في فلورنسا[109] Biblioteca Nationale، Florence، واليوميات الأثيوبية للرحالة Ethiopian. Itineraries وخلص الباحث من دراسته أنه بالرغم من كل المشاكل والاضطرابات والقلاقل فإن طريق قوص – عيذاب ظل يلعب دورًا هامًا في التجارة العالمية، ولعل ذلك تم باتفاق بين المماليك وتجار الكريمي حماية لبضاعتهم، كما أنه يري أنه في نهاية القرن الخامس عشر ظلت عيذاب تلعب دورًا محليًا كـمرسي وثغر تحت سيادة المماليك.

من الجهة الأخرى كانت "جدة" في ذلك الأثناء تنتعش كميناء شديد المنافسة لعيذاب. وكان حكام مكّة المكرمة أصلاً يحسدون عيذاب على ازدهارها. ونمت ميناء جدة بعد أن أثقل ولاة عدن علي تجار الهند ففروا من عيذاب إلى جدة. ولمّا تمكّن المماليك من الحجاز لم يعد يكترثون لعيذاب بل

[109] المكتبة القومية بفلورنسا: بُنيت في الفترة من 1911 إلي 1935م بها أكثر من 4 مليون كتاب و5855 مجلدًا وصحيفة وأطالس وخرائط نادرة، كما تحفظ عددًا هائلا من المخطوطات القديمة النادرة.

عملوا على تخريبها وذلك بأمر التجار بالابتعاد عنها ثم هاجموها في 1426م ولم تقم لها قائمة بعد ذلك.

يعتقد «القلقشندى» في "صبح الأعشى" أن ميناء عيذاب انهار بسبب فتح ميناء جديد في مدينة الطور[110] علي الساحل الغربي لشبه جزيرة سيناء عـــام 781هـــ / 1380م، ولأن تجار الكريمي الذين كانوا يستخدمون ميناء عيذاب كمرفأ رئيسي لتجارتهم بدأوا يتحولون إلي ميناء الطور، ويري البروفيســور Yajima (1989) الأستاذ الياباني - المتخصص في تاريخ الملاحة الشرقية العربية بما فيها البحر الأحمر - أنه بالرغم من أفول نجم ميناء عيذاب كمرفأ عالمي إلا أنه بقي يعمل كميناء محلي حتى منتصف القرن الخــامس عشــر الميلادي.

وبالرغم من ثورات البجا وبعض العرب فإن تجار الكريمي ومعظم وفود الرسوليين[111] استمروا في استخدام هذا الطريق حتى نهاية القرن الرابــع عشر الميلادي. والدليل علي أن عيذاب ظل لها بعض القيمة حتى نهاية القــرن الخامس عشر الميلادي أن سلطان مصر عين لها أميرًا يدعي «يشبك الدويدار» لتولي الإشراف عليها وإدارتها (التحفة السنية، ابن الجيعان).

---

[110] عثرت بعثة يابانية للتنقيب في الطور موفدة من المركز الثقافي الشرقي في اليابان علي 1400 وثيقة يرجع تاريخها إلي القرن السادس عشر الميلادي وعملتين ذهبيتين من عصر المماليك وبقايا أثرية من القرن الرابع عشر الميلادي (Kawatako, 1993).

[111] **دولة الرسوليين:** تعد دولة الرسوليين، التي اتخذت من تعز عاصمة لها، من أطول الدول عمرًا فى تاريخ اليمن الوسيط، حيث امتد حكمها من سنة 626 وحتى 858 للهجرة وتمكن الرسوليون من توحيد اليمن كله تحت حكمهم، وبسط نفوذهم من حضرموت جنوبًا وحتى مكّة شمالاً، وتزخر تعز اليمنية بمئات الشواهد الأثرية التي تعود لهذه الفترة التي تعتبر من أزهى فترات التاريخ اليمنى والإسلامي الوسيط، كجامع المظفر وجامع الأشرفية.

ولما تمكّن المماليك من الحجاز أصبحوا لا يكترثون لعيـذاب بـل عملوا على تخريبها بأمر التجار بالابتعاد عنها ثم هاجموها في 1426م ولم تقم لها قائمة بعد ذلك. إن نهاية عيذاب كانت خاتمة فصـل كبيـر فـي التغلغـل الاقتصادي العربي عجّل بهجرة العرب إلى السودان. فقد تَبَطّل كثير من العرب من جراء كساد النشاطات المجزية مثل التعدين والحج والتجارة الشرقية، ولـم يكن من بد لكثيرين منهم أن يتخذوا طريقهم إلى داخل السودان (حسن، 1989).

وعلى الرغم مما تميزت به هذه المدينة، إلا أنـه لا يوجـد بموقـع عيذاب الآن مرسى مناسب لرسو السفن، بل المياه هناك ضحلة وتمتد لمسـافة ألف متر ما بين الشاطئ الرملي ومياه البحر العميقة، وهذه المسافة مكونة مـن ثلاثة أرصفة للشعب المرجانية، ومن هذا يتضح اختفاء المينـاء الـذي عمـت شهرته الآفاق قديمًا.

لم يكن اضمحلال عيذاب ونهايتها إلا إيذانًا بنهاية البحر الأحمر كطريق للتجارة، فقد نضبت مناجم المعادن النفيسة بها وتحول طريق الحج والتجارة عنها واستغني المماليك عنها واستبدلوا بها ميناء جدة، ونشطت سواكن جنوبًا وكان كل هذا إيذانًا بحلول حقبة تاريخية جديدة تجسدت في الاكتشافات الأوروبية وخاصة طريق رأس الرجاء الصالح[112] عام 1498م والذي كان له تأثير سيئ علي جميع مواني البحر الأحمر.

---

[112] **رأس الرجاء الصالح:** يقع في الأحداثيات 34° 21 '29" جنوبا و18° 28' 19" شرقا، وهو يبعد 50 كم عن مدينة كيب تاون و2.3 كم عن كيب بوينت. أول من سمى الرأس ووصف جغرافيته كان المستكشف البرتغالي دياز عام 1488. وسمى هذا الرأس برأس العواصف لكثرة العواصف التي واجهته هناك، والذي أطلق اسم رأس الرجاء الصالح هو ملك البرتغال جون الثاني وذلك تعبيرًا عن إبتهاجه بإكتشاف طريق بحري إلى الهند يغني أوروبا عن سلوك طريق القوافل البرية المعرض للخطر.

نخلص من هذا العرض أنه لم يتوفر لنا عن نهاية هذا الميناء وتلك المدينة إلا نص واحد كتبه الرحالة «الحسن بن الوزّان» المعروف لدى الغرب باسم «ليو الإفريقي» في كتابه "وصف إفريقيا" في منتصف القرن السادس عشر الميلادي، عما سمعه من أهالي المنطقة المحيطة بها عن تدميرها منذ قرن من مجيئه إلى أنقاضها، عام 830هـ / 1426م في عهد السلطان المملوكي الجركسي الأشرف «برسباي». وأقفل طريق عيذاب – جدة في وجه قوافل الحجاج والتجار منذ عام 830هـ / 1426م.

9- عيذاب في مؤلفات الرحالة والمؤرخين المسلمين

ماذا سأذكرُ من روائعِ أمسها*****وشموسُها في كلِّ عصرٍ تُشرقُ

"فأبو الفداء" حضارةٌ ومفاخرٌ******وعلى مَدى الدُّنيا جناحٌ يخفقُ

من قلَّدَ التَّاريخَ خيرَ مُصنَّفٍ*******إنْ كانَ "مختصراً" فذلك أليَقُ

ولــهُ بجغرافيَّــةِ البُلدانِ ما*******قدْ صيَّرَ "البُلدان" سِفرًا ينطِقُ

وعلومه تسمو بمخطوطاتــهِ*******وتحــارُ أيَّ فنونـــهِ تتذوَّقُ

الشاعر السوري

وليد قنباز

فيما يلي مقتطفات مما كتبه الرحالة والجغرافيون العرب عن منطقة عيذاب وما حولها، وقد تم اختيارها بعناية بحيث تعبّر بصدق عن الأوضاع التي كانت قائمة في ذلك الوقت من وجهة نظر كاتبها، وهي مرتبة تاريخيًا من القرن الرابع الهجري حتى القرن الثامن الهجري (القرن العاشر إلي الرابع عشر الميلادي).

1- البيروني (973 – 1059م): "الجماهر في معرفة الجواهر"

(وفي أرض أولئك السودان معادن ليس في معادن سائر البلدان أغزر ريعًا منها ولا أصفى ذهبًا، إلا أن المسالك إليها شاقة من جهة المفاوز والرمال. وسكان تلك البلاد ينقبضون عن مخالطة قومنا. ولذلك يستعدلها التجار من سجلماسة[113] في حد تاهرت من أقاصي غرب أرض المغرب بالزاد الكافي

---

[113] **سجلماسة:** تقع مدينة سجلماسة (بالفرنسية Sigilmassa, بالإنجليزية Sijilmassa) وسط واحــة كبيرة جنوب الأطلس الكبير، واليوم تعتبر المدينة موقعًا أثريًا يضم الآثار والأطــلال، وتقــع ضــمن حدود المملكة المغربية الحالية. وهي ثاني مدينة إسلامية تشيد بالمغرب الإسلامي بعد مدينة القيروان. تذهب بعض المصادر التاريخية أن سجلماسة بنيت سنة 140هــ / 757م في قلب واحة خصبة كانت عبارة عن مراعي يؤمها عدد من الرحل لتبادل منتجاتهم في إطار موسم تجاري سنوي، وهي موقــع استراتيجي بالنسبة لمختلف مناطق شمال إفريقيا، وقد ساعدها ذلك الموقع على القيام بدور ريــادي=

والماء الوافي. ويحملون إلى السودان الذين هم وراء تلك القيافي أثواب بصرية تعرف بالمبجبجات عرفوا ولوعهم بها. وهي حمر الأطراف ملونة بصنوف الألوان معلمة بالذهب. ويبايعونهم بالذهب بالإشارات من بعيد والمعاينات بشرط التراضي، بسبب العجمة وفر النفار عن البيضان كنفار البهائم عن السباع. ولا يرغبون في شيء غير تلك الأثواب فإنهم يتهافتون عليها).

(وتلك المعادن فيما بين بواطن السودان وبين زويلة من بلاد المغرب– ولأن أرض البجا من أشباه تلك الكنائس وأواخر بين النيل وبحر القلزم. فإنها خصت لذلك بمعادن الذهب على مسافة بضع عشرة يومًا من أسوان، كما ذكر في كتاب أشكال الأقاليم، ينتهي بعدها إلى حصن **عيذاب** وهو للحبشة ويسمى مجمع الناس هناك لاستنباط الذهب من الرمال والرضراض[114] تحت أرض مبسوطة ليس فيها جبل العلاقي ووجوه الدخل منها إلى مصر).

2- ناصر خسرو (1004 – 1088م): "سفر نامة"

(وفي العشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة أغسطس بلغنا مدينة عيذاب ومن أسوان حتى **عيذاب** التي بلغناها بعد خمسة عشر يوما مائتا فرسخ بالتحديد ومدينة **عيذاب** هذه تقع على شاطئ البحر وبها مسجد جمعة وسكانها خمسمائة وهي تابعة لسلطان مصر وفيها تحصل المكوس على ما في السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن ومنها تنقل البضائع على الإبل إلى أسوان في هذه الصحراء التي اجتزناها ومن هناك تنقل بالسفن إلى مصر في النيل وعلى يمين **عيذاب** ناحية القبلة جبل من خلفه صحراء عظيمة بها مراع واسعة وخلق كثيرون يسمون البجة وهم قوم لا دين لهم ولا ملة لا يؤمنون بنبي

=ولمدة طويلة في تجارة القوافل وتنظيم شبكتها، الشيء الذي جعل اسم سجلماسة يرتبط في الكتابات العربية بتجارة الذهب.

[114] الرضراض: ما صغر ودق من الحصى (لسان العرب).

أو إمام وذلك لبعدهم عن العمران وهم يسكنون الصحراء طولها أكثر من ألف فرسخ وعرضها ثلاثمائة فرسخ وليس في هذه المسافة الشاسعة سوى مدينتين صغيرتين تسمى الأولى بحر النعام والثانية **عيذاب** وتمتد هذه الصحراء من مصر إلى الحبشة وذلك من الشمال إلى الجنوب وعرضها من بلاد النوبة حتى بحر القلزم وذلك من الغرب إلى الشرق ويقيم بها البجة وهم ليسوا أشرار فهم لا يسرقون ولا يغيرون بل يشتغلون بتربية ماشيتهم ويسرق المسلمون وغيرهم أبناءهم ويحملونهم إلى المدن الإسلامية ليبيعوهم فيها وبحر القلزم هذا خليج يتفرع من المحيط عند ولاية عدن ويسير شمالا حتى مدينة القلزم الصغيرة ويسمى هذا البحر بكل مدينة تقع عليه فمرة يسمى القلزم ومرة **عيذاب** ومرة بحر النعام وقيل إن به أكثر من ثلاثمائة جزيرة تأتي السفن منها محملة بالزيت والكشك وقيل إن هناك بقرًا وخرافًا كثيرة والناس هناك مسلمون بعضهم تابع لمصر وبعضهم لليمن وليس في مدينة **عيذاب** الصغيرة غير ماء المطر فلا بئر فيها ولا عين فإذا لم تمطر السماء أحضر البجة الماء وباعوه وقد بقينا هناك ثلاثة أشهر وكنا نشتري قربة الماء بدرهم أو بدرهمين وسبب بقائنا هذه المدة أن السفينة لم تقلع إذ كانت الريح شمالية وكان ينبغي لرحلتنا ريح الجنوب وحينما رآني الناس طلبوا إلي إن أكون خطيبهم فلم أردهم وخطبت لهم تلك المدة حتى أتى الموسم ثم سارت السفينة شمالاً إلى أن بلغنا جدة ويقال إن الجمال النجيبة لا توجد في مكان آخر غير هذه الصحراء وهي تنقل منها إلى مصر والحجاز).

3- الشريف الإدريسي (1100 - 1165م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الإقليم الثاني - الجزء الخامس

(إن هذا الجزء الخامس من الإقليم تضمن من البلاد التي على ساحل بحر القلزم مدينة **عيذاب** وما اتصل بها قبلها من الصحراء المنسوبة إلى **عيذاب**

وليس بها طريق معروف ولا يستدل عليها إلا بالجبال والكدى الناتئة لأنها رمال سائلة وضحاضح غامرة وربما أخطأ بها الدليل الماهر وأكثر الاستدلال بها بالنجوم ومسير الشمس من المشرق إلى المغرب وفي هذا الجزء قطعة من بحر القلزم وجملة من جزائره العامرة والخالية ومراسيه المشهورة المذكورة والكور الصغار مثل السرين والسقية وجدة والجحفة والجار وفيه من البلاد البرية صنكان ومكّة والطائف وقديد والمدينة و**عيذاب** ونحن واصفون الآن جميع ما ذكرناه من ذلك وصفاً تامًا باستقصاء وشرح متقن بفضل الله تعالى وقوته).

(وفي أعلى الأرض من هذا الجزء صحارى **عيذاب** وهي متصلة الخلاء ليس بها ساكن ولا ينزلها قاطن إلا قوم من البجة رحالة قليلو الإقامة فيها لعدم الماء بأمكنتها وقلة وجوده بها وعرض هذه الصحراء يقطعه السالك من قوص إلى **عيذاب** في عشرين يومًا إلى ما دونها وفي هذه الصحراء يكون جب حميرة وهو من أعجب العجب وذلك أن ماءه لا ينزل به من شربه من حيث تنزل المياه من الإنسان ولا يقيم بالمعدة شيئًا وإنما هو إذا شربه الإنسان لم يلبث أن ينزل به من مقعدته مسرعًا من غير تأخير ولا إقامة، وهذه الصحراء لا تسلك في اشتداد الحر وحموم القيظ لجفوف الماء بها ورياحها المنشفة وأرضها النارية المهلكة وإنما يمر بها السالكون في آخر أيام الخريف).

(وفي أعلى هذه الصحراء في ضفة البحر الملح مدينة **عيذاب** وأهلها سود وشربهم من آبار وليست بالكبيرة القطر ولا بالآهلة العامرة بالخلق ومنها المجاز إلى جدة وعرضه هناك مجرى يوم وليلة ومدينة **عيذاب** ينزلها عامل من قبل رئيس البجة وعامل من قبل ملك مصر يقتسمون جبايتها بنصفين وعلى عامل صاحب مصر القيام بجلب الأرزاق والمعيشة إلى **عيذاب** وعلى رئيس

البجة القيام بحمايتها من الحبشة والرئيس المقيم **بعيذاب** من قبل ملك البجة ينزل الصحارى ولا يدخل المدينة إلا غِبًّا[115]).

(وأهل **عيذاب** يتجولون في كل النواحي من أرض البجة يشترون ويبيعون ويجلبون ما هنالك من السمن والعسل واللبن وبالمدينة زوارق يصاد بها السمك الكثير اللذيذ الطعم الشهي المأكل وبها يؤخذ المكس في وقتنا هذا من حاج الإسلام القاصدين من بلاد المغرب وهذا المكس مبلغه على كل رأس ثمانية دنانير من أي الذهب كان مسبوكًا أو مكسورًا أو مسكوكًا ولا يعبر أحد من حاج المغرب إلى جدة إلا أن يظهر مكسه ومتى جوزه رباني بحر القلزم ولم يكن عنده مكس غرمه الرباني فلذلك لا يجوز أحد من **عيذاب** إلى جدة حتى يظهر الرباني البراءة مما يلزمه فإذا جاز المركب البحر وسهّل الله عليه الوصول إلى جدة أرسى على بعد ودخل الثقات من ناحية والي جدة فحرزوا ما هنالك من الموجودات الممكسة اللازمة وأثبتوها في دواوينهم ثم نزلوا ونزل الناس بجملتهم فتقتضى منهم المكوس اللازمة لهم الواجبة عليهم فإن عثروا على رجل منهم لا مكس معه لزم حقه على الرباني الذي جوزه وربما سجن الرجل الحاج حتى يفوته الحج وربما قيض الله له من يفرج عنه بما لزمه من المكس وهذا المكس يأخذه الهاشمي صاحب مكّة فينفقه في أرزاق أجناده إذ منافعه قليلة وجباياته لا تفي بلوازمه ورزق من معه).

(وهذا البحر الذي ضمه هذا الجزء بحر صعب المجاز كثير القالات والتروش والجبال الناتئة وفيه عدة جزائر خالية في زمن الشتاء وفي مدة خوض البحر وركوبه في أيام السفر فيه قوم يعمرون هذه الجزائر حمر الألوان يأتون إليها في زوارقهم فيتصيدون فيها السمك الكثير ويجففونه في الشمس ثم يطحنونه

---

[115] غِبًّا: يومًا ويوم (مختار الصحاح).

ويخبزونه ويتعيشون منه أكثر دهرهم ولزومهم في هذه الجزائر لصيد الحوت واستخراج اللؤلؤ الدقيق منه وأخذ السلاحف البحرية التي يكون على ظهورها الذبل وهو بها كثير حسن الصفة).

(وأكبر جزيرة فيه من هذا الجزء جزيرة النعمان وبها قوم لازمون لها ساكنون بها ومنها جزيرة السامري يسكنها قوم يهود سامرية وعلامتهم أن يقول أحدهم إذا لقي إنساناً "لا مساس" وبهذه اللفظة يعرف أنهم من اليهود المنسوبين إلى السامرى صاحب العجل في زمن موسى عليه السلام. وفي هذا البحر من السمك حوت مربع عرضه قريب من طوله يقال له اليهار وربما بلغ وزن الحوت منه نصف قنطار أو نحوه وهو حوت أحمر شهي الطعم حسن الذوق ولا سهك به وفيه سمك آخر طوله شبر ونصف له رأسان رأس في موضع رأسه ورأس في موضع ذنبه وفي كل رأس من هذين الرأسين عينان وفم وتصرفه في البحر يزج مرة إلى أمامه وتارة إلى خلفه ويسمى هذا السمك الخنجر وفي هذا البحر أيضًا سمك يقال له القرش وهو نوع من كلاب البحر في فمه سبعة صفوف أضراس ويكون منه ما طوله عشرة أشبار وأكثر وأقل من ذلك وضرره بمن أمكنه في البحر كثير جدًا).

(ومراكب هذا البحر كلها مؤلفة بالدسر ومخروزة بحبال الليف مجلفطة بدقيق اللبان ودهن كلاب البحر المعد لذلك والربانيون في هذه المراكب لهم آلات متخذة بحكمة مهندسة موضوعة في أعلى الصاري الذي يكون في مقدمة المركب فيجلس به الرباني ويبصر ما لاح أمامه من القروش التي تحت الماء مخفية فيقول للماسك على المركب "خذ إليك" و"ادفع عنك" ولولا ذلك ما عبره أحد وآفاته كثيرة في المراكب والمسافرون في هذا البحر يأوون منه في كل ليلة إلى مواضع يسكنون فيها ويلجئون إليها خوفاً من معاطبه وينزلون بها نهارًا ويقلعون عنها نهارًا حالاً دائمًا سير النهار وإقامة الليل).

4- ابن حوقل (عاش في القرن الحادي عشر): "مسالك الممالك"

(فأما معدن الذهب فمن أسوان إليه 15 يوما والمعدن ليس في أرض مصر ولكنه في أرض البجة وينتهي إلي عَيْذَاب ويقال إن عيذاب ليست من أرض البجة وإنما هي من مدن الحبشة والمعدن أرض مبسوطة لا جبل فيها وهي رمال ورضراض ومجمع تجارهم بالعَلاّقِي، وليس بالبجة قري ولا خصب وإنما هم بادية وقنيتهم البخت وليس في البخت أسير منها ورقيقهم ونجبهم وسائر ما بأرضهم يقع في مصر).

5- ابن جبير (1145 – 1217م): "رحلة ابن جبير"

كتب الرحالة ابن جبير الفارسي وصف تحليليًا تفصيليًا لرحلته إلي مكّة المكرمة عبر ميناء **عيذاب**، فيما عرف بكتاب "رحلة ابن جبير"، قائلا:

(ومن مفاخر السلطان صلاح الدين المزلفة من الله تعالي وآثاره أبقاها ذكرًا جميلاً للدين والدنيا: إزالته رسم المكس المضروب وظيفة على الحجاج مدة دولة العبيديين (الفاطميين). فكان الحجاج يلاقون من الضغط في استيدائها عنتًا مجحفًا ويسامون فيها خطة خسف باهظة. وربما ورد منها من لا فضل لديه على نفقته ولا نفقة عنده فيلزم أداء الضريبة المعلومة، وكانت سبعة دنانير ونصف دينار من الدنانير المصرية التي هي خمسة عشر دينارًا مؤمنية على كل رأس، ويعجز عن ذلك، فيتناول بأليم العذاب بـــ **عيذاب**، كاسمها مفتوحة العين).

(وربما اخترع له من أنواع العذاب التعليق من الأنثيين أو غير ذلك من الأمور الشنيعة، نعوذ بالله من سوء قدره. وكان بجدة أمثال هذا التنكيل وأضعافه لمن لم يؤد مكسه **بعيذاب** ووصل اسمه غير معلم عليه علامة الأداء فمحا هذا السلطان هذا الرسم اللعين ودفع عوضًا منه ما يقوم مقامه من أطعمة

وسواها،وعين مجبى موضع معين بأسره لذلك، وتكفل بتوصيل جميع ذلك الحجاز لأن الرسم المذكور كان باسم ميرة مكّة والمدينة، غمرهما الله، فعوض من ذلك أجمل عوض، وسهّل السبيل للحجاج، وكانت في حيز الانقطاع وعدم الاستطلاع، وكفى الله المؤمنين على يدي هذا السلطان العادل حادثًا عظيمًا وخطبًا أليمًا. فترتب الشكر له على كل من الناس أن حج البيت الحرام إحدى القواعد الخمس من الإسلام، حتى يعم جميع الآفاق ويوجب الدعاء له في كل صقع من الأصقاع وبقعة من البقاع، والله من وراء مجازاة المحسنين، وهو، جلت قدرته، لا يضيع أجر من أحسن عملاً).

(والقصد عيذاب من قوص على طريقين: أحدهما يعرف بطريق العبدين، وهي هذه التي سلكناها، وهي أقصر مسافة، والآخر طريق دون قنا، وهي قرية على شاطئ النيل. ومجتمع هاتين الطريقين على مقربة من ماء دنقاش المذكور. ولهما مجتمع آخر على ماء يعرف بشاغب أمام ماء دنقاش بيوم).

(فلما كان عشاء يوم الاثنين المذكور تزودنا الماء ليوم وليلة ورفعنا ماء بموضع يعرف بشاغب، فوردناه ضحوة[116] يوم الأربعاء الثاني والعشرين لصفر المذكور وهذا الماء ثماد[117] يحفر عليه في الأرض فتسمح به قريبًا غير بعيد إلا أنه زعاق. ثم رحلنا مع سحر يوم الخميس بعده وتزودنا الماء لثلاثة أيام ماء بموضع يعرف بأمتان).

(فلما كان ضحوة يوم الأحد السادس والعشرين لصفر المذكور نزلنا بأمتان المذكور، وفي هذا اليوم المذكور كان فراغنا من حفظ كتاب الله عز وجل

---

[116] **الضحوة:** هي قبل ساعة من صلاة الظهر تقريبًا.

[117] **ثماد:** الماء الذي يتجمّع في الشتاء وينضب في الصيف، المنخفضات التي يتجمّع فيها ماء المطر.

له الحمد وله الشكر على ما يسر لنا من ذلك. وهذا الماء بأمتان المذكور هو في بئر معينة قد خصها الله بالبركة. وهو أطيب مياه الطريق وأعذبها، فيلقى فيها من دلاء الوارد مالا يحصى كثرة فتروي القوافل النازلة عليها على كثرتها وتروي من الإبل البعيدة الإظماء ما لو وردت نهرا من الأنهار لأنضبته وأنزفته).

(ورمنا في هذه الطريق إحصاء القوافل الواردة والصادرة فما تمكن لنا، ولا سيما القوافل العيذابية المتحملة لسلع الهند الواصلة اليمن، ثم من اليمن عيذاب. وأكثر ما شاهدنا من ذلك أحمال الفلفل، فلقد خيل إلينا لكثرته أنه يوازي التراب قيمة. ومن عجيب ما شاهدناه بهذه الصحراء أنك تلتقي بقاعة الطريق أحمال الفلفل والقرفة وسائرها من السلع مطروحة لا حارس لها تترك بهذه السبيل إما لإعياء الإبل الحاملة لها أو غير ذلك من الأعذار، وتبقى بموضعها إلي أن ينقلها صاحبها مصونة من الآفات على كثرة المارة عليها من أطوار الناس).

(ثم كان رفعنا من أمتان المذكور صبيحة يوم الاثنين بعد الأحد المذكور. ونزلنا على ماء بموضع يعرف بمجاج بمقربة من الطريق ظهر يوم الاثنين المذكور، ومنه تزودنا الماء لأربعة أيام بموضع يعرف بالعشراء على مسافة يوم من عيذاب. ومن هذه المرحلة المجاجية يسلك الوضح، وهي رملة ميثاء[118] تتصل بساحل بحر جدة يمشى فيها عيذاب إن شاء الله، وهي أفيح من الأرض مد البصر يميناً وشمالاً).

(وفي ظهر يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من الشهر المذكور كان رفعنا من مجاج المذكور سالكين على الوضح).

---

[118] رملة ميثاء: رمال مبللة بالماء يسهل السير فيها (لسان العرب).

(شهر ربيع الأول استهل هلاله ليلة الجمعة الرابع والعشرين من شهر يونيه ونحن بآخر الوضح على نحو ثلاث مراحل من عيذاب، وفي وقت الغداة من يوم الجمعة المذكور كان نزولنا على الماء بموضع يعرف بالعشراء على مرحلتين من **عيذاب**، وبهذا الموضع كثير من شجر العشر، وهو شبيه بشجر الأترج[119] لكن لاشوك له. وماء هذا الموضع ليس بخالص العذوبة، وهو في بئر غير مطوية. وألفينا الرمل قد انهال عليها وغطى ماءها، فرام الجمالون حفرها واستخرج مائها فلم يقدروا على ذلك وبقيت القافلة لا ماء عندها، فأسرينا تلك الليلة، وهي ليلة السبت الثاني من الشهر المذكور، فنزلنا ضحوة على ماء الخبيب، وهو بموضع بمرأى العين من عيذاب، يستقي منه القوافل وأهل البلد يعم الجميع، وهي بئر كبيرة كأنها الجب الك ـِ).

(أحفل مراسي الدنيا: فلما كان عشي يوم السبت دخلنا **عيذاب**، وهي مدينة على ساحل بحر جدة غير مسورة، أكثر بيوتها الأخصاص، وفيها الآن بناء مستحدث بالجص، وهي من أحفل مراسي الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها زائدا مراكب الحجاج الصادرة والواردة. وهي في صحراء لا نبات فيها ولا يؤكل فيها شيء إلا مجلوب، ولكن أهلها بسبب الحجاج تحت مرافق كثير ولا سيما مع الحاج، لأن لهم على كل حمل طعاما يحملونه ضريبة معلومة خفيفة المئونة بالإضافة الوظائف المكوسية التي كانت

---

[119] **شجر الأترج:** *Citrus Sinensis* تستخدم الثمار والزهور والبذور داخليًا أو خارجيًا، إما طازج، عصير، مستحضرات، مجفف، مسحوق، مربى، منقوع، مراهم، دهون. شجرة الأترج من الفصيلة البرتقالية، ترتفع عدة أمتار، تكاثرها بالعقل، وأوراقها كبيرة جلدية سميكة، داكنة اللون تميل إلى الزرقة الفاتحة، وأزهارها كبيرة بنفسجية، والثمر كالبرتقالة الكبيرة لونها ذهبي ورائحته ذكية منعشة وعصارته حمضية، والثمر على شكل عناقيد، وقد تغنى به شعراء العرب، وفي الطب النبوي ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن، كمثل الأترجة، طعمها طيّب، وريحها طيّب).

قبل اليوم التي ذكرنا رفع صلاح الدين لها، ولهم أيضا من المرافق من الحجاج اكراء الجلاب منهم وهي المراكب فيجتمع لهم من ذلك مال كثير في حملهم جدة وردهم وقت انقضاضهم من أداء الفريضة. وما من أهلها ذوي اليسار إلا من له الجلية والجلبتان، فهي تعود عليهم برزق واسع، فسبحان قاسم الأرزاق على اختلاف أسبابها، لا إله سواه).

(وكان نزولنا فيها بدار تنسب لمونح أحد قوادها الحبشيين الذين تأثلوا بها الديار والرباع والجلاب، وفي بحر عيذاب مغاص على اللؤلؤ في جزائر على مقربة منها، وأوان الغوص عليه في هذا التاريخ المقيدة فيه هذه الأحرف، وهو شهر يونيه العجمي والشهر الذي يتلوه، ويستخرج منه جوهر نفيس، له قيمة سنيّة، يذهب الغائصون عليه تلك الجزائر في الزوارق ويقيمون فيها الأيام فيعودون بما قسم الله لكل واحد منهم بحسب حظه من الرزق).

(والمغاص منها قريب القعر ليس ببعيد ويستخرجونه في أصداف لها أزواج كأنها نوع من الحيتان أشبه شيء بالسلحفاة فإذا شقت ظهرت الشقتان من داخلها كأنهما محارتا فضة، ثم يشقون عليها فيجدون فيها الحبة من الجوهر قد غطى عليها لحم الصدف. فيجتمع لهم من ذلك بحسب الحظوظ والأرزاق. فسبحان مقدرها لا اله سواه. لكنهم ببلدة لا رطب فيها ولا يابس قد ألفوا بها عيش البهائم؛ فسبحان محبب الأوطان أهلها، على أنهم أقرب الوحش منهم الأنس).

(ولأهل **عيذاب** في الحجاج أحكام الطواغيت وذلك أنهم يشحنون بهم الجلاب حتى يجلس بعضهم على بعض وتعود بهم كأنها أقفاص الدجاج المملوءة، يحمل أهلها على ذلك الحرص والرغبة في الكراء (الأجر والأجرة) حتى يستوفي صاحب الجلبة منهم ثمنها في طريق واحدة ولا يبالي بما يصنع

البحر بها بعد ذلك، ويقولون: علينا بالألواح، وعلى الحجاج بالأرواح. وهذا مثل متعارف بينهم. فأحق بلاد الله بحسبة يكون السيف درتها هذه البلدة، والأولى بمن يمكنه ذلك أن لا يراها وأن يكون طريقه على الشام العراق، ويصل مع أمير الحاج البغدادي، وان لم يمكنه ذلك أولا فيمكنه آخرا عند انفضاض الحاج، يتوجه مع أمير الحاج المذكور بغداد ومنها عكة، فإن شاء دخل منها الإسكندرية، وإن شاء صقلية أو سواهما. ويمكن أن يجد مركبًا من الروم يقلع سبتة أو سواها من بلاد المسلمين. وإن طال طريقه بهذا التحليق فيهون لما يلقى **بعيذاب** ونحوها).

(أهل **عيذاب**: أهلها الساكنون بها يعرفون بالبجاة، ولهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها، وربما وصل في بعض الأحيان واجتمع بالوالي الذي فيها من الغز إظهارًا للطاعة. ومستنا به مع الوالي في البلد، والفوائد كلها له إلا البعض منها. وهذه الفرقة من السودان المذكورين فرقة أضل من الأنعام سبيلاً وأقل عقولاً لا دين لهم سوى كلمة التوحيد التي ينطقون بها إظهارًا للإسلام، ووراء ذلك من مذاهبهم الفاسدة وسيرهم مالا يرضى ولا يحل، ورجالهم ونساؤهم يتصرفون عراة إلا خرقًا يسترون بها عوراتهم، وأكثرهم لا يسترون، وبالجملة فهم أمة لا أخلاق لهم، ولا جناح عليهم).

6- سراج الدين ابن الوردي خريدة العجائب وفريدة الغرائب (698-749هـ)

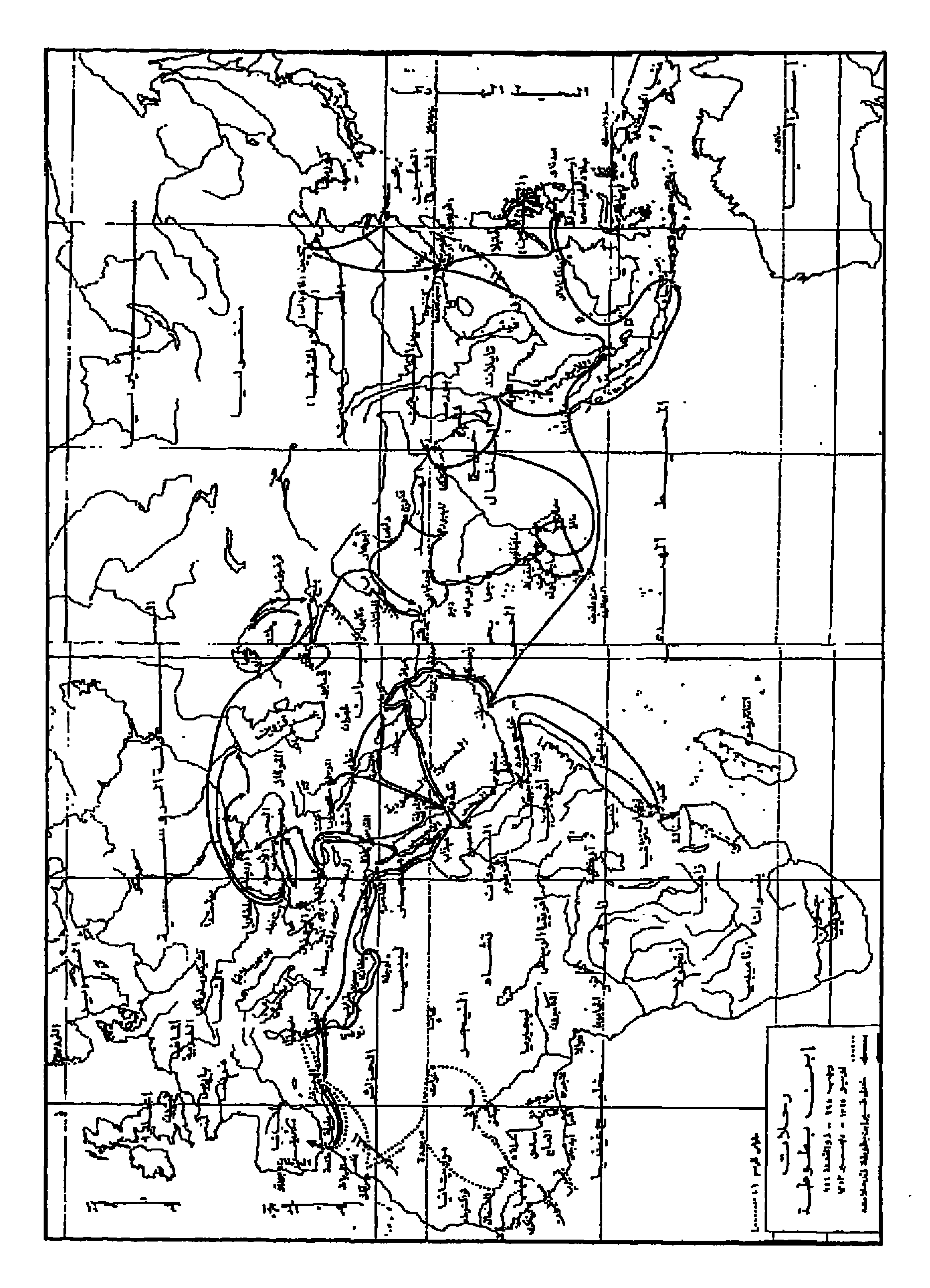
(**عيذاب**: وما يتصل بها من الصحراء المنسوبة إلى **عيذاب** وليس لها طريق معروفة إلا رمال سيالة، ولا يستدل عليها إلا بالخبال والكدي وربما أخطأها الدليل وهو ماهر. وعيذاب مدينة حسنة وهي مجمع التجار برًا وبحرًا، وأهلها يتعاملون بالدراهم عددًا ولا يعرفون الوزن، وبها وال من قبل البجة ووال من قبل سلطان مصر، يقسمان جباياتها نصفين، وعلى عامل مصر القيام بطلب الأوراق وعلى عامل البجة حمايتها من الحبشة. واللبن والعسل والسمن

بها كثير، وبينها وبين الحجاز عرب البحر وبين النوبة قوم يقال لهم البليون أهل عزم وشجاعة يهابهم كل من حولهم من الأمم ويهادنونهم وهم نصارى خوارج على مذهب اليعقوبية).

7- أبو الفدا (1273 - 1331م): "تقويم البلدان"

جاء ذكر عيذاب في كتاب تقويم البلدان للجغرافي أبي الفدا في أكثر من موقع، فيذكرها أولا في صفحة 23 عند وصفه لبحر القلزم قائلا: (ويأخذ البحر المذكور من القلزم جنوبا بميلة إلي الشرق حتى يصير عند القصير وهي فرضة قوص حيث الطول تسع وخمسون درجة والعرض ست وعشرون ثم يأخذ جنوبا بميلة يسيرة إلي الغرب وذلك عند **عيذاب** حيث الطول ثمان وخمسون درجة والعرض احدي وعشرون).

وعن عيذاب يضيف في الأوصاف والأخبار العامة لذكر مصر (صفحة 131) قائلا: (قد اختلف في **عيذاب** فبعضهم يحد ديار مصر علي وجه ندخل فيه وهو الأشبه لأن الولاية فيها من مصر وهي من أعمال مصر حقيقة وبعضهم يجعلها من بلاد البجا وبعضهم يجعلها من بلاد الحبشة وهي فرضة لتجار اليمن وللحجاج الذين يتوجهون من مصر في البحر فيركبون من عيذاب إلي جدّة، قال «ابن سعيد» وعرض البحر بين **عيذاب** وجدة درجتان وهي أشبه بالضيعة منها بالمدن).



شكل (9-1): رحلة ابن بطوطة (1325 - 1337م)

عن (مؤنس، 1986م).

8- ابن بطوطة (1304 – 1377م): "رحلة ابن بطوطة"

(ثم سافرت منها إلى مدينة إدفو "وضبط اسمها بفتح الهمزة وإسكان الدال المهمل وضم الفاء". وبينها وبين مدينة أسنا مسيرة يوم وليلة في صحراء ثم جزنا النيل من مدينة إدفو إلى مدينة العطواني، ومنها اكترينا الجمال. وسافرنا من طائفة من العرب تعرف بدغيم" بالغين المعجمة" في صحراء لا عمارة بها إلا أنها آمنة السيل. وفي بعض منازلها نزلنا حميثرا حيث قبر ولي الله «أبي الحسن الشاذلي»، وقد ذكرنا كرامته في أخباره أنه يموت بها. وأرضها كثيرة الضباع. ولم نزل ليلة مبيتنا بها نحارب الضباع. ولقد قصدت رحلي ضبع منها فمزقت عدلاً كان به، واجتزت منه جراب تمر، وذهبت به، فوجدناه لما أصبحنا ممزقًا مأكولاً معظم ما كان فيه. ثم لما سرنا خمسة عشر يومًا وصلنا إلى مدينة **عيذاب**، وهي مدينة كبيرة كثيرة الحوت واللبن، ويحمل إليها الزرع والتمر من صعيد مصر. وأهلها البجاة، وهم سود الألوان يلتحفون بملاحف صفراء، ويشدون على رءوسهم عصائب يكون عرض العصابة أصبعًا وهم لا يورثون البنات. وطعامهم ألبان الإبل ويركبون المهاري، ويسمونها الصهب. وثلث المدينة للملك الناصر وثلثاها لملك البجاة، وهو يعرف بـ «الحَدربي» بفتح الحاء المهمل وإسكان الدال وراء مفتوحة وباء موحدة وياء" وبمدينة **عيذاب** مسجد ينسب لـ «القسطلاني» شهير البركة. رأيته وتبركت به. وبها الشيخ «الصالح موسى» والشيخ المسن «محمد المراكشي». زعم أنه «ابن المرتضى» ملك مراكش، وأن سنه خمس وتسعون سنة. ولما وصلنا إلى عيذاب وجدنا «الحدربي» سلطان البجاة يحارب الأتراك، وقد خرق المراكب، وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا في البحر. فبعنا ما كنا أعددناه من الزاد، وعدنا مع العرب الذين اكترينا الجمال منهم إلى صعيد مصر).

ويقول ابن بطوطة: (إن سفن البحر الأحمر كانت تخاط بحبال الليف وهي من صنع أهل **عيذاب**، إذ ليس لأهلها حرفة للتعيش إلا تعمير سفن الحجاج

يسمونها "الجلبات" وإحداها "جلبة" وهي ملفقة الإنشاء ولا يستعملون فيها المسامير وإنما يخيطون الخشب بالليف ويضعون خلالها دسرا من عيدان النخل ثم يطلونها بالشحوم والنورة).

9- المقريزي (1364 – 1442م): "البيان والإعراب عمّا بأرض مصر من الأعراب"

(وكان بصعيد مصر أولاد الكنز أصلهم من «ربيعة بن نزار بن معد ابن عدنان»، وكانوا ينزلون اليمامة وقدموا مصر في خلافة «المتوكل على الله» أعوام بضع وأربعين ومائتين في عدد كثير وانتشروا في النواحي، ونزل طائفة منهم بأعالي الصعيد وسكنوا بيوت الشعر في براريها الجنوبية وأوديتها. وكانت البجا تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى أخربوها، فقامت ربيعة في منعهم من ذلك حتى هزموهم وكفوا المسلمين والعرب شرورهم، ثم تزوجوا منهم واستولوا على معدن الذهب بالعلاقى فكثرت أموالهم واتسعوا في أحوالهم وصارت لهم مرافق ببلاد البجة. وكانت **عيذاب** لبني يونس من ربيعة ملوكها عند قدومهم من اليمامة فجرى بينهم وبين بني بشر قتال داخلي انهزموا فيها ومضوا من عيذاب إلى الحجاز ثم وقعت حروب بين بني بشر قتل فيها «إسحاق فأحضروا إليهم من بلبيس الشيخ «أبا عبد الله محمد بن علي بن محمد بن يوسف» المعروف بـ«أبي يزيد بن إسحاق بن إبراهيم بن مسروق» وهو ابن عم «إسحاق بن بشر المقتول»، "ويرجع نسبه إلى «مسروق بن معدي كرب بن الحارث»، وإلى «مسروق» هذا ينسب كنز الدولة حامي أسوان وأنشأ مكانه المعروف بساقية شعبان ولم يزل رئيسًا على ربيعة حتى مات. فقام برياستهم بعده ولده «أبو المكارم هبة الله» بن الشيخ «أبى عبد الله محمد بن علي» ويعرف بالأهوج المطاع، وهو الذي ظفر «بـأبي ركوة» الخارج على الحاكم بأمر الله وقبض عليه فأكرمه الحاكم إكرامًا عظيمًا ولقبه كنز الدولة وهو أول من لقب بذلك منهم. ولم تزل الإمارة فيهم وكلهم يعرفون

بكنز الدولة، حتى كان آخرهم كنز الدولة فقتله الملك العادل «أبــو بكــر بــن أيوب» في سابع صفر سنة 570 هــ).

10- المقريزي: المواعظ والاعتبار (الخطط المقريزية)، الجزء الأول

(أعلم أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة علي مــائتي ســنة لا يتوجهون إلي مكة شرفها الله تعالي إلا من صحراء عيذاب يركبون النيل مــن ساحل مدينة مصر الفسطاط إلي قوص ثم يركبون الإبل من قوص ويعبــرون هذه الصحراء إلي عيذاب ثم يركبون البحر في الجلاب إلي جدة ســاحل مكــة وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة يردون في البحر إلي عيذاب ثم يسلكون هذه الصحراء إلي قوص ومنها يردون مدينة مصر فكانت هذه الصحراء لا تــزال عامرة آهلة بما يصدر أو يرد من قوافل التجار والحجاج حتى إن كانت أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاة بها والقفول صـــاعدة وهابطـــة لا يعترض لها أحد إلي أن يأخذها صاحبها فلم تزل مسلكا للحجاج فــي ذهــابهم وإيابهم زيادة علي مائتي سنة من أعوام بضع وخمسين وأربعمائة إلي أعــوام بضع وستين وستمائة وذلك منذ كانت الشدة العظمي في أيام الخليفة «المستنصر بالله أبي تميم معدّ بن الظاهر»، وانقطاع الحج في البرّ إلى أن كســا الســلطان الملك الظاهر «ركن الدين بيبرس البندقداري» الكعبة وعمل لها مفتاحًــا، ثــم أخرج قافلة الحاج من البرّ في سنة ست وستين وستمائة، فقلّ ســلوك الحجــاج لهذه الصحراء، واستمرّت بضائع التجار تحمل من **عيذاب** إلى قــوص، حتــى بطل ذلك بعد سنة ستين وسبعمائة، وتلاشى أمر قــوص مــن حينئــذٍ، وهــذه الصحراء مسافتها من قوص إلى عيذاب سبعة عشر يومًا، ويفقد فيها الماء ثلاثة أيام متوالية، وتارة يفقد أربعة أيام، و**عيذاب** مدينة على ساحل بحر جدة، وهــي غير مسوّرة، وأكثر بيوتها أخصاص، وكانت من أعظم مراسي الدنيا بسبب أنّ مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع، وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة، فلما انقطع ورود مراكب الهند واليمن إليها صارت المرسى العظيمة

عدن من بلاد اليمن إلى أن كانت أعوام بضع وعشرين وثمانمائة، فصارت جدّة أعظم مراسي الدنيا، وكذلك هرمز، فإنها مرسى جليل).

(و**عيذاب** في صحراء لا نبات فيها، وكل ما يؤكل بها مجلوب إليها حتى الماء، وكان لأهلها من الحجاج والتجار فوائد لا تحصى، وكان لهم على كل حمل يحملونه للحجاج ضريبة مقرّرة، وكانوا يكارون الحجاج الجلاب التي تحملهم في البحر إلى جدّة، ومن جدّة إلى **عيذاب**، فيجتمع لهم من ذلك مال عظيم، ولم يكن في أهل **عيذاب** إلا من له جلبة فأكثر على قدر يساره).

(وفي بحر **عيذاب**، مغاص اللؤلؤ في جزائر قريبة منها يخرج إليها الغوّاصون في وقت معين من كل سنة، في الزوارق حتى يصلوا إلى تلك الجزائر، فيقيمون هنالك أيامًا، ثم يعودون بما قسم لهم من الحظ، وعيش أهل **عيذاب**، عيش البهائم، وهم أقرب إلى الوحش في أخلاقهم من الإنس).

(وكان الحجاج يجدون في ركوبهم الجلاب على البحر أهوالاً عظيمة لأنّ الرياح تلقيهم في الغالب بمراسي في صحارى بعيدة مما يلي الجنوب، فينزل إليهم التجار من جبالهم، فيكارونهم الجمال، ويسلكون بهم على غير ماء، فربما هلك أكثرهم عطشًا، وأخذ التجار ما كان معهم، ومنهم من يضلّ ويهلك عطشًا، والذي يسلم منهم يدخل إلى **عيذاب**، كأنه نشر من كفن، قد استحالت هيئاتهم وتغيرت صفاتهم، وأكثر هلاك الحجاج بهذه المراسي، ومنهم من يساعده الريح فتحطه بمرسى **عيذاب**، وهو الأقل وجلباتهم التي تحمل الحجاج في البحر لا يستعمل فيها مسمار البتة، إنما يخيط خشبها بالقنبار[120]، وهو متخذ من شجر النرجيل[121]، ويخللونها بدسر من عيدان النخل، ثم يسقونها بسمن أو

---

[120] القنبار: خيط من ليف الرانج كان يستخدم بدلاً من المسامير.

[121] النرجيل: نخيل جوز الهند (*Cocos nucifera*) شجرة مستديمة الخضرة عموديه النمو يصل ارتفاعها حتى 25 م، لها ساق واضحة شبه ملساء تظهر عليها آثار الأوراق بشكل أفقي. التاج كبير ومنتشر وأوراقها ريشية طويلة (5م) عريضة زاهية اللون، والأزهار متجمعة في عناقيد طويلة=

دهن الخروع أو دهن القرش، وهو حوت عظيم في البحر، يبتلع الغرقى وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل[122]).

(ولأهل **عيذاب** في الحجاج أحكام الطواغيت فإنهم يبالغون في شحن الجلبة بالناس حتى يبقى بعضهم فوق بعض حرصًا على الأجرة، ولا يبالون بما يصيب الناس في البحر، بل يقولون دائمًا علينا بالألواح، وعلى الحجاج بالأرواح، وأهل عيذاب من البجاة، ولهم ملك منهم، وبها والٍ من قبل سلطان مصر، وأدركت قاضيها عندنا بالقاهرة، أسود اللون، والبجاة قوم لا دين لهم، ولا عقل، ورجالهم ونساؤهم أبدًا عراة، وعلى عوراتهم خرق، وكثير منهم لا يسترون عوراتهم، و**عيذاب** حرّها شديد بسموم محرق).

11- (ليو الإفريقي)، الحسن الوزان (1490 – 1552م): "وصف إفريقيا"

(كان لهم – للبجا – في القديم علي البحر الأحمر مدينة عظيمة اسمها زبيد[123] لها ميناء، يقابل مباشرة جدة الواقعة علي بعد أربعين ميلاً[124] من مكّة. لكن هؤلاء القوم منذ مائة سنة مضت نهبوا قافلة كانت تحمل سلعًا ومؤنا لمكّة، فاغتاظ ملك مصر وبعث في البحر الأحمر أسطولاً استولي علي مدينة زبيد وميناءها ودمرهما. وكانت المدينة وميناؤها تعطيانه دخلاً قدره مائتا ألف

=(1م)، والثمار جوزة كبيرة قطرها حوالي 10سم مغطاة بليف لونه بني، والجذور ليفية سميكة وتنتشر حول الجذع، ومعدل نمو الشجرة سريع.

[122] **المقل:** ثمرة الدوم *Balsamadendron africanum* ، يقول داود الأنطاكي: عند الإطلاق يُراد به صمغه، فإن كان إلى الحمرة والمرارة فالمقل الأزرق، أو إلى الصفرة فمقل اليهود وكلا النوعين صمغ شجر كالكندر بأرض الشحر (بين عدن وعمان، مشهورة بالمسك) وعُمان.

[123] زبيد: مدينة شهيرة باليمن، ولعل المراد هنا عيذاب التي ذكر ياقوت في معجم البلدان أنها بليدة علي ضفة بحر القلزم وهي مرسي المراكب التي تقدم من عدن إلي الصعيد (المترجمان).

[124] بل 55 ميلا (المترجمان).

(دينار) أشرفي، ففر البُجة والتجئوا إلي دمقلة والسواكن حيث حصلوا علي بعض معاشهم، إلا أن ملك السواكن بعد ذلك هزمهم هزيمة شنعاء، بمعونة أتراك مسلحين بالبنادق والقسي، بحيث إنه قتل من هؤلاء الرعاع الذين كانوا يعيشون عراة أكثر من أربعة آلاف في معركة واحدة، وسيق ألف منهم إلي السواكن حيث قتلهم النساء والأطفال).

12- محمد بن عبد المنعم الحِمْيَري[125] (عاش في القرن السابع الهجري): "الروض المعطار في خبر الأقطار"

(**عيذاب**: مدينة في أعلى الصحراء المنسوبة إليها في ضفة البحر الملح، ومنها المجاز إلى جدة، وعرضه مجرى يوم وليلة. ومرسى عيذاب جزيرة ليست بكبيرة ومساكنها من حجارة، والماء العذب يجلب إليها على مسيرة يوم، وهي محط السفن من جدة من التجّار وغيرها، وهي تقابل من الصعيد الأعلى مدينة قوص وقفط، وبينها وبين قفط في البر خمس مراحل لا ماء فيها إلا في موضعين).

(ومرسى **عيذاب** مأوى لجماعة بني يونس، والفجور فيهم فاش لا ينكره منهم منكر، ولا يكترى منه بيت إلا يشترط نفقة صاحبة البيت وإجراء الخلوة بها، وهم يأخذون من التجار عُشوراً، وفيها قبالة الكلب، وهو كلب كان هناك للأمير في القديم. ومن **عيذاب** تسير القوافل إلى مدينة سواكن).

---

[125] **الحِمْيَري، محمد عبد المنعم**: (عاش في النصف الثاني من القرن السابع الهجري). ولد بمدينة سبتة، يرجح أنه كان كاتبًا يعمل في توثيق العقود، وترجع شهرة الحميري إلى كتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار" وهو معجم جغرافي لا يخلو من سرد بعض الأخبار والوقائع التاريخية، ومرتب على حسب الحروف. وقد اهتم الروض المعطار بوصف المدن والأقطار والجزر وبعض المحيطات والبحار، وقد وصف كثير من الباحثين الحميري بأنه نقل كثيرًا عن غيره ومع ذلك فإليه يرجع الفضل في حفظ كثير من الروايات التي تُعد أصولها مفقودة.

(وينزل **عيذاب** والٍ من قبل رئيس البجة وعامل من قبل ملوك مصر يقتسمون جبايتها نصفين، وعلى عامل مصر القيام بجلب الأرزاق والمعيشة إلى **عيذاب**، وعلى رئيس البجة القيام بحمايتها من الحبشة. ورئيس البجــة ينــزل الصحاري ولا يدخل المدينة إلا غبًّا، وأهل **عيذاب** يتجولون في كل النواحي من أرض البجة ويشترون ويبيعون).

10- شخصيات في تاريخ عيذاب

يمُرُّ غيرُك فيها وهو مُحْتَضِــر ******لا بَرْقٌ يخطفُ عَيْنَيه ولا مَطَر
وأنتَ لا أسألُ التّاريخَ عن هَرَمٍ****** في ظِلِّـــه قِمَمُ التاريخِ تنتظرْ
عن عاشِقٍ في الذُرَى لم تَكْتَمِل أبدًا**** إلاّ على صَدْرِه الآياتُ والسُّوَرْ
عن الذّي كان عَصــرًا شامِخًا ويدًا*****تشدُّ عصرًا إليها وهو يتَحَدّر
(الشاعر السوداني محمد الفيتوري)

صلاح الدين الأيوبي

ولد «صلاح الدين» من عائلة كردية يرجع أصلها إلى مدينة دوفين شمال كردستان بالقرب من أرمينيا، سنة 532هـ في قلعة في تكريت في العراق، وعمل «صلاح الدين» جنديًا ثم قائدًا في جيش الشام في خدمة الملك العادل «نور الدين زنكي» في دمشق الذي أرسله إلى مصر ليستكمل عمل عمه «أسد الدين شيركوه»، في بسط سيطرته عليها والعمل على صد الحملة الصليبية على مصر، وفي ذات الوقت ليستكمل انتزاعها من الفاطميين الذين كانت دولتهم في أفول، فنجح في عرقلة هجوم الصليبيين سنة 1169م بعد موت «شيركوه»، وقمع تمردًا للجنود الزنوج، كما فرض نفسه كوزير «للعاضد»، الخليفة الفاطمي العاجز، فكان «صلاح الدين» هو الحاكم الفعلي لمصر.

بينما كان «صلاح الدين» يعمل على بسط نفوذه على عمق سورية فقد كان غالبًا يترك الصليبيين لحالهم مرجئًا المواجهة معهم وإن كان عادة ما ينتصر عندما تقع المواجهة، وكان الاستثناء هو موقعة مونتجيسارد يوم 25 نوفمبر 1177م حيث لم يُبدِ الصليبيون مقاومة فوقع «صلاح الدين» في خطأ ترك الجند تسعى وراء الغنائم وتتشتت، فهاجمته قوات «بولدوين السادس» ملك أورشليم و«أرناط» وفرسان المعبد وهزمته. إلا أن «صلاح الدين» عاد وهاجم الإمارات الصليبية من الغرب وانتصر على «بولدوين» في موقعة "مرج عيون"

في 1179م وكذلك في السنة التالية في موقعة خليج يعقوب، ثم أبرمت هدنة بين الصليبيين و«صلاح الدين» في 1180م.

إلا أن غارات الصليبيين عادت فحفزت «صلاح الدين» على الرد. فقد كان «أرناط» يتحرش بالتجارة وبالحجاج المسلمين بواسطة أسطول له في البحر الأحمر، فبني «صلاح الدين» أسطولاً من 30 بارجة لمهاجمة بيروت في 1182م، وعندها هدد «أرناطُ» بمهاجمة مكّة والمدينة المنورة، فحاصر «صلاح الدين» حصن الكرك معقل «أرناط» مرتين في عامي 1183 و1184م، ورد «أرناط» بمهاجمة قوافل حجاج مسلمين سنة 1185م.

بدأ «صلاح الدين» مبكرًا في إرسال بعض خاصته يستطلعون الأحوال في بلاد النوبة واليمن وبرقة، أما النوبة فكان يحكمها قبيلة الكنوز[126] التابعة للفاطميين فأرسل «صلاح الدين» أخاه «تورانشاه»، وعينّه على "قوص" و"أسوان" و"عيذاب" و"النوبة"، ولما استدعى «صلاح الدين» أخاه إلى القاهرة أناب «تورانشاه» عنه رجلاً من نوابه وزوده بقوة عسكرية.

وكانت دولة الأيوبيين قد امتدت إلى بلاد الحجاز، حيث قام «صلاح الدين» بتحصين جنوب فلسطين، والاستعداد لأي أمر يقوم به «أرناط» صاحب قلعة الكرك، والذي كان يدبر للهجوم على الأماكن المقدسة في مكّة والمدينة، وكان «صلاح الدين» قد اعتني بميناء القلزم وميناء جدة، لأن أرناط كان قد عمَّر أسطولا في ميناء أيلة أو العقبة، وأرسل سفنًا بلغت عيذاب، فاستولى

---

[126] الكنوز: أحد فروع سكان النوبة اليوم، ويقيمون بخاصة في وادي حلفا، يعود أصلهم إلى عرب قبيلة ربيعة، أحد القبائل العربية، وقد تزاوجوا بدرجة متفاوتة بالنوبيين الأصليين وأصبحوا اليوم ثنائي اللسان، فهم يتكلمون العربية والنوبية الكنزية، وقد بدأت قصة الكنوز مع استقرار فرع من قبيلة ربيعة حول أسوان في منطقة عيذاب بجنوب الصحراء الشرقية بمصر. أسس عرب ربيعة إمارة قوية في أسوان وحولها، واتخذوا من أسوان عاصمة لإمارتهم.

«صلاح الدين» على أيلة، وأخذ منها أسرى من الصليبيين، وكذلك قبض رجاله على بعض الصليبيين الذين وصلوا إلى عيذاب، وأرسلوهم جميعًا مصفَّدين بالأغلال، حيث ذُبحوا مع الهدي الذي أهداه الحجاج لله في ذي الحجة سنة 578هـ، واستولى «صلاح الدين» على بيت المقدس، وقد وقع في الأسر ملك بيت المقدس ونفر من الفرسان الصليبيين ومن بينهم «أرناط» الذي حكم عليه بالقتل.

أمر «صلاح الدين» بقتل الأسرى منهم في مصر أمام الناس حتى لا تسوّل لأحد نفسه بغزو الحجاز مرة أخرى، ووصف «ابن جبير» مشهد الأعداء وهم يساقون للإعدام في مشهد رهيب، أما «أرناط» فقد استطاع الهرب والعودة إلى حصن الكرك.

عمل «صلاح الدين الأيوبي» على تحصين وتدعيم وضعه العسكري والسياسي في البحر الأحمر ولذلك قام عام 1170م باحتلال جزيرة إيله (ايلات) الواقعة على رأس البحر الأحمر وحصنها بالمجاهدين، وفي نفس العام أرسل أخوه «تورانشاه» إلى اليمن من أجل السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وقد أراد من وراء ذلك تأمين تدفق التجارة الكارمية (تجارة التوابل) إلى مصر وهي التي جنت من ورائها الأموال الطائلة التي دعمت في النهاية أمر الجهاد ضد الغزاة الصليبيين.

لكن نفوذ مصر في اليمن لم يستمر، بسبب كثرة الثورات والفتن هناك وصعوبة التضاريس والوضع القبلي المعقد، الأمر الذي اضطر «صلاح الدين» وخلفاؤه من بعده إلى تجريد الحملة تلو الأخرى للحفاظ على نفوذ مصر فيها. وظل الأيوبيون على هذه الحال مع بلاد اليمن حتى آل أمرها إلى بني رسول

الذين استقلوا بحكمها سنة 630 هـ / 1270م وحكموها قرابة قرنين من الزمن، بعد حكم الأيوبيين لها مدة سبعة وخمسين عاماً.

هذا بالنسبة لليمن، أما بالنسبة للحجاز، فقد حرص «صلاح الدين»، منذ أن أقام الدولة الأيوبية في مصر، أن تكون له السيادة على الحجاز لاعتبارات سياسية ودينية، وقد ظل الأيوبيون متمسكين بهذه السيادة طوال حكمهم حتى نازعهم فيها أمراء بني رسول. وقد قام الأيوبيون بفتح مكة سنة 567 هـ / 1171م، حين أرسل «صلاح الدين» أخاه المعظم توران شاه وأمره بفتح الحجاز وهو في طريقه لفتح اليمن. ولمّا تم« لتوران شاه» فتح مكة دُعي من فوق منابرها للسلطان صلاح الدين» بعد الدعاء للخليفة العباسي وللسلطان «نور الدين محمود». وقد أقر «توران شاه» بني فليته الحسنيين على شرافة مكة، كما أقر الأشراف الحسينيين على شرافة المدينة.

وتأكيدًا لهذه الزعامة الدينية للأيوبيين عمل «صلاح الدين» على رفع المظالم المالية عن الحجاج عند مرورهم بموانئ مصر والحجاز وعند عبورهم طريق الحج من عيذاب إلى جدة. وقد أورد «ابن جبير» أنّ «صلاح الدين» أسقط عام 572 هـ/ 1176م ما كان يجبى على الحجاج المسلمين من مكس وزكاة حسبما استقر الأمر زمن الفاطميين وخاصة في مينائيْ الإسكندرية وعيذاب. وعوّض أمير مكة عما كان يجبى له بجدة ومكة من مكس الحاج ألف دينار وألف أردب من القمح سنوياً، عدا اقطاعيات أقطعها له بصعيد مصر وبجهة اليمن، كما أوقف بعض الأوقاف في مصر على الحرمين، وقام بإرسال الكسوة الشريفة إلى الكعبة المكرمة كل عام في احتفال مهيب. وفضلاً عن ذلك قام «صلاح الدين» بتطهير الساحل الحجازي من أعمال قراصنة البحر، وتلقب، بسبب ذلك، بلقب خادم الحرمين الشريفين.

وقد أوردت المصادر أنّ الأيوبيين قاموا، مثلما فعل الفاطميون من قبل، بتعقب خطر القراصنة في البحر الأحمر فرصدوا لذلك سفناً من أسطولهم لحماية طريق الحج والتجارة من عيذاب إلى جدة. وقد وفرت الدولة الأيوبية لتجار الكاريمي في مواني هذا البحر الأمن والأمان، وكذلك في الطرق البرية بين مواني مصر والحجاز على البحر الأحمر وبين النيل وواديه؛ وشاهد ذلك ما أورده ابن جبير عن الأمان الذي كان يسود هذه الطرق رغم خلوها ووحشتها في بعض أوقات العام.

اتفق المؤرخون من المسلمين والمسيحيين واليهود والبوذيين وغيرهم على تقدير «صلاح الدين الأيوبي» القائد المسلم واحترامه بصورة يندر وجودها لدى قائد في العصور الوسطى دونما أية مبالغة وهكذا فإن ذلك القائد يوصف – وبحق – أنه الغائب الحاضر ولا يزال يؤثر في العقل الغربي الأوروبي المسيحي بصور متفاوتة.

رينالد من شاتيون

«رينالد من شاتيون»، ويكتب أيضا ريجنالد Renaud de Châtillon بالفرنسية، ولد عام 1120م في فرنسا وتوفي في 4 يونيو 1187م في الجليل بفلسطين وكان معروفًا باسم أرناط عند العرب أو أرنولد، أثناء الحرب الصليبية الثالثة.

توجّه «رينالد» إلى الأرض المقدّسة، (فلسطين حسب الاعتقاد المسيحي)، في 1147م ووضع نفسه أولا تحت إمرة الملك «بالدوين الثالث» في القدس وبعد ذلك تحت إمرة «كونستانزا» أميرة أنتيوخ[127].

كان «رينالد» شجاعًا لكن عنيفًا؛ وكان يعامل الأبرشية بوحشية لابتزاز المال. أخذ المسلمون رينالد أسيرًا (1160 – 1176 م) في سوريا، وبعد سجنه لمدة 16 عامًا، خرج ليجد أن زوجته توفت في عام 1163، فقفل عائدًا إلى القدس وتزوج «رينالد» من أرملة لورد منطقة شرق وجنوب البحر الميت، وبذلك أصبح أمير صحراء الكرك والشوبك ومونتريال.

«رينولد دى شاتيو»، أو كما عرفه العرب بأرناط، لص مغامر وسفاح وهو أقرب لهذه الصورة من صورة الفارس الصليبي أمير حصن الكرك. وصفه بعض علماء المسلمين بأنه أغدر الفرنجة وأخبثهم وأنقضهم للمواثيق وأنكثهم وأحنثهم لدرجة أن القاضي «الفاضل» أفتى في تلك الأيام أن الحج ليس بواجب على أهل تلك البقعة الذين لا يمرون إلا من هذا الطريق لعدم أمنهم لشدة فتكه بقوافل الحجاج المارة بهذا الطريق.

انتهك أرناط عام (577هـ / 1181م) الهدنة المعقودة بين المسلمين والصليبيين، وجمع جيشه وسار إلى تيماء[128] بالحجاز، ثم سوّلت له نفسه المسير

---

[127] **أنتيوخ**: خلال العصر الروماني،كانت عاصمة سوريا الشمالية وأكبر مدنها هي مدينة(أنتيوخ)أنطاكية القديمة، حيث كان يقدر عدد سكانها بـ 500 ألف نسمة، وكانت أنتيوخ تعد أغنى وأكثر المناطق اكتظاظا في الإمبراطورية الرومانية.

[128] **تيماء**: محافظة سعودية تقع في منطقة تبوك شمال غرب السعودية ولتيماء تاريخ موغل بالقدم حيث استوطنها وبناها العرب القدماء في قديم الزمان. وتبعد محافظة تيماء حوالي 265 كم شرقي مدينة تبوك و400 كم شمال المدينة المنورة. وتعد من المدن الغنية بالآثار القديمة والتي تعود إلى ما قبل التاريخ. أرضها خصبة صالحة للزراعة، تشتهر بتمرها الجيد، وبها أشهر عين ماء في بلاد=

إلى مدينة الرسول، صلى الله عليه وسلم، ليستولي عليها، ويضرب المسلمين في أعز ما يملكون، وأقدس المناطق التي يكنون لها في أنفسهم احترامًا عظيمًا. ولكن أمير دمشق من قبل «صلاح الدين الأيوبي» أغار على حصن الكرك وكبّد الصليبيين خسائر كبيرة، مما اضطر «أرناط» العدول عن خطته والعودة وعدم غزو المدينة.

وفي عام (578هـ) شرع أرناط في بناء سفن نقلها إلى ساحل البحر الأحمر، ولم يكن للصليبيين وجود في البحر الأحمر قبل هذا، وباغت المسلمين في ديارهم على حين غفلة؛ فقتل، ونهب، وسلب، وأسر، ثم توجه إلى أرض الحجاز وسار باتجاه المدينة المنورة مرة أخرى حتى وصل إلى رابغ[129]، حتى لم يكن بينه وبين المدينة إلا مسيرة ليلة واحدة، فعند ذلك أمر «صلاح الدين» أميره على مصر وواليه عليها الملك «العادل» بإعداد أسطول قوي في البحر الأحمر وتجهيزه بقيادة الأمير «حسام الدين لؤلؤ».

كان الملك «بلدوين» الرابع، ملك بيت المقدس 1178م، قد وقّع هدنة مع «صلاح الدين الأيوبي»، تسمح بحرية التجارة للمسلمين والمسيحيين وحرية اجتياز أي من الطرفين بلاد الطرف الآخر. لكن «رينالد» لم يقبل أن تمر قوافل المسلمين في منطقته بدون مقابل. وفي صيف عام 1181م خرج «رينالد» مع قوة كبيرة، متجها إلى تيماء، على الطريق التجاري بين دمشق والمدينة ومكّة، حيث سطا على قافلة عربية واستولى على كل ما تحمله من ثروة وأسر من

=العرب، عثر بها على نقوش يظن أنها من القرن السادس ق.م، وورد ذكرها أكثر من مرة في التوراة. تنسب إلى تيما أحد أبناء إسماعيل.

[129] رابغ: محافظة سعودية، وهي مدينة قديمة تقع على ساحل البحر الأحمر، وتبعد عن جدة حوالي 145كم في اتجاه الشمال. يحدها من الشمال منطقة المدينة المنورة، ومن الجنوب محافظة جدة ومن الشرق منطقة المدينة المنورة ومحافظة خليص، مساحتها الإجمالية 14000 كيلومترًا مربعًا. وعدد السكان 35000 نسمة، وقد صارت رابغ ميقات أهل مصر والشام.

فيها، منتهكا الهدنة. وفي عام 578هـ / 1183م طمع «أرنولد» صاحب الكرك بالشام بالاستيلاء على أراضي الحجاز وهدم قبر الرسول، عليه الصلاة والسلام، وأبحر بالسفن نحو عيذاب، وقتل أهلها وأحرق تجارتها وقطع طريق البحر والبر على المسلمين وأبحر نحو الحجاز وأبحر خلفه الحاجب «**حسام الدين لؤلؤ**» قائد الأسطول المصري، فتعقّب الصليبيين في عيذاب ثم في ميناء رابغ بالسعودية فأدركهم هناك فأوقع بهم جميعًا وساق منهم عددًا من الأسري الذين نُفّذ فيهم حكم الإعدام في مصر في مشهد مهيب.

أحرق أسطول «رينالد» ستة عشر مركبًا للمسلمين، واستولوا على مركب لنقل الحجاج في عيذاب، كما استولوا على مركبين محملين بتجارة وبضائع من اليمن، ودمروا مؤن الحجاج في ساحل عيذاب.

طالب «صلاح الدين» بالتعويض، ورفض «رينالد» طلبه، فاستطاع المسلمون أن يأسروا أكثر من 2500 حاجًا أوروبيًا كانت سفنهم قد جنحت إلى مصر بعد أن كانوا في طريقهم إلى بيت المقدس، وعرض «صلاح الدين» إطلاق سراحهم مقابل السلع والسبي التي نهبها «رينالد». رفض «رينالد» المبادلة، واندلعت الحرب في فبراير 1183م، دعا «رينالد» فرسان الصليب للسيطرة على مكّة والمدينة وبغرض إلهاء «صلاح الدين» عن القدس أرسل بعضًا من رجاله لهذه المهمة، مما اضطر «صلاح الدين» لإرسال جيش من دمشق لإيقافهم.

أمر «صلاح الدين» والى مصر ببناء أسطول في مصر والإسكندرية، وقام قائد الأسطول «حسام الدين لؤلؤ» بتقسيم الأسطول قسمين: الأول غادر إلى قلعة أيلة واستولى على مركبين هناك. والقسم الثاني ذهب إلى عيذاب لنجدة المسلمين، ثم عاد «لؤلؤ» إلى رابغ، ليواجه الصليبيين في ساحل الحوراء. كان

عدد رجال «رينالد» أكثر من ثلاثمائة بقليل، كما انضم إليهم بعض العربان، إلا أن هؤلاء الآخرين تفرقوا لدى وصول «لؤلؤ»، وقتل معظم رجال «رينالد».

قامت جيوش «بلدوين الرابع» بحماية قلعة الكرك مرتين من انتقام «صلاح الدين» في عامي 1183 و1184م. وبدأ «صلاح الدين» بتحضير الجيوش الإسلامية للحرب، والتجهيز على طول منطقتي مصر وسوريا، وفي النهاية عقد هدنة مع «بلدوين». وعلى الرغم من الهدنة رفض «رينالد» مقابلة سفراء «صلاح الدين» وقامت معركة حطين عام 1187م، ليتم القبض على «رينالد» ثم إعدامه.

حسام الدين لؤلؤ

قائد شجاع ذو بديهة وحنكة، يتميز بسرعته في اتخاذ القرارات خاصة في المواقف الصعبة والتى تتطلب حزمًا وسرعة، برز اسمه لامعا في إحدى المواقف الخطيرة في تاريخ هذه الأمة، ومع هذا فقلما نجد من يذكر اسم هذا القائد الشجاع أو يذكر حتى الموقف الخطير نفسه.«حسام الدين لؤلؤ» أحد قادة السلطان «صلاح الدين الأيوبي» الذي بزغ في عصره كوكبة من أشهر القادة اللامعين، وقائد البحرية في عهد تميز فيه الصليبيون بالتفوق البحري.

لم يكن هناك وجود من قبل لأسطول صليبي في البحر الأحمر عندما هجم «أرناط» بأسطوله، كان الأمر مباغتًا وخاصة مع ارتباطه بخطر يهدد كعبة الإسلام وقبر الرسول، صلي الله عليه وسلم، فقد تعامل «حسام الدين» ببراعة مع هذا الموقف. ففي سرعة البرق وفى دقة وسرعة مذهلة أمر قائد الأسطول «حسام الدين لؤلؤ» بحل المراكب مفككة على الجمال ثم أشرف على تركيبها في رمضان 578 هـ / يناير سنة 1183 م وتعميرها بالرجال ذوي

التجربة في شئون البحر وبخاصة المغاربة منهم وأبحر بسفنه يشق البحر الأحمر.

قسم «لؤلؤ» الأسطول إلى فرقتين، فصارت الأولى إلى قلعة أيلة (ايلات) واستولت على مراكب العدو برمتها، وقتلت أكثر مقاتلاتها، أما الفرقة الثانية فذهبت إلى عيذاب، وأطلقت المأسورين من المسلمين، وردت عليهم ما سلب منهم، وكان الصليبيون قد غادروها. وما زال «لؤلؤ» وأتباعه يتبعونهم ليل نهار، حتى أدركهم بعد خمسة أيام على مسافة يوم من المدينة المنورة فاستسلموا له، وعاد بهم «لؤلؤ» إلى مصر مقيدين بالسلاسل، وطاردهم من بلد إلى بلد، وهو يتعقب الأسطول الصليبي، موقعا به الهزيمة الواحدة تلو الأخرى وأمر «صلاح الدين» بإعدامهم في مصر أمام الناس حتى لا تسول لأحد نفسه بغزو الحجاز مرة أخرى. أما «أرناط» فقد استطاع الهرب والعودة إلى حصن الكرك.

أرسل السلطان «صلاح الدين» رسالة بقلم القاضي الفاضل إلى أخيه الملك «العادل أبي بكر»، بشأن انتصار الأسطول المصري بقيادة أميره «حسام الدين لؤلؤ» على الأسطول الصليبي، الذي جرؤ فعبر مياه البحر الأحمر، قاصدًا مهاجمة مدينتي مكّة والمدينة المنورة جاء فيها: (وما كان «لؤلؤ» فيها إلا سهمًا أصاب وسيفًا قطع، ركب السبيلين: برًا وبحرًا، وامتطى السابقين: مركبًا وظهرًا، وخطا فأوسع الخطو، وغزا فأنجح الغزو) وأبدى إعجابه بالبسالة الحربية والتضحية المالية التي بذلها المسلمون.

يقول «النويري» في "نهاية الأرب في فنون الأدب" (وفي منتصف شوال سنة خمس وثمانين وصلت العساكر المصرية ومقدمها الملك «العادل سيف الدين»، فلما وصلت قويت قلوب الناس، وأحضر من آلات الحصار شيئًا كثيرًا. ثم وصل بعده الأسطول المصري في خمسين قطعة ومقدمهم الأمير

«حسام الدين لؤلؤ»، وكان شهمًا شجاعًا، مقدامًا ميمون النقيبة، خبيرًا بقتال البحر؛ فوصل بغتة فوقع على بطشة كبيرة للفرنج، فغنمها وأخذ ما فيها من الأموال الكثيرة والميرة، وعبر بذلك إلى عكا؛ فسكنت نفوس الناس بذلك وقال العماد: أنه ظفر ببطشتين.)......(وفي سابع عشرين شهر ربيع الآخر، نقل الأمير «بدر الدين باخل» من ولاية مصر إلى ولاية ثغر الإسكندرية. وفيها، في سابع شهر ربيع الآخر، صرف عن شد الدواوين «علم الدين كرجي»، وولي الأمير «حسام الدين لؤلؤ».)

11- عَيْذاب في وثائق جنيزة القاهرية

قِفِي يا أُختَ يُوشَعَ خَبِّرِينا*****أَحَاديثَ القُرونِ الغابِرِينا
وقُصِّي مِن مَصَارِعِهم علينا****ومن دُولاتِهِم ما تَعلَمينا
أمير الشعراء
(أحمد شوقي)

كلمة جنيزة Geniza كلمة عبرية مثل، الكلمة العربية "جنازة"، مشتقة من الكلمة الفارسية جنك بمعني "خزانة". أُطلقت هذه الكلمة علي الحجرة التي كان اليهود يخزنون فيها أوراقهم الخاصة من عقود وإيصالات وخطابات وغيرها حتى لا تدنس كلمة "الله" التي قد تكون مكتوبة في هذه الوثائق.

أطلق الباحثون مصطلح وثائق جنيزة القاهرية علي مجموعة الوثائق التي عثر عليها في حجرة مظلمة في سيناجوج (معبد اليهود، كنيس بن عزرا) بالفسطاط علي مقربة من القاهرة سنة 1889 –1890م، وكذلك علي مجموعة أخري من الوثائق عثر عليها في مقبرة حوش موصيري بالبساتين شمال المعادي، جنوب القاهرة، وفي سنة 1897م وصل إلي مصر العالم الأثري اليهودي «سولومون شيختر» Solomon Schechter ونقل معظم ما بقي من هذه الوثائق إلي مكتبة جامعة كمبردج البريطانية حيث حفظت تحت اسم "مجموعة تايلور – شختر Taylor Schechter Collection".

وهناك تسع عشرة مكتبة أخري بالإضافة إلي مكتبة جامعة كمبريدج حصلت علي مجموعات من وثائق الجنيزة منها مكتبة المتحف البريطاني بلندن ومكتبة البودليان بأكسفورد والمكتبة الوطنية بفيينا ومكتبة جامعة برنستون ومكتبة جامعة فيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، فضلا عن عدد من المجموعات الخاصة في باريس وغيرها. وقد قامت مكتبة الإسكندرية الحديثة مؤخرًا بالحصول علي صور عدد كبير من هذه الوثائق أودعتها المكتبة للدراسة والاطلاع.

تعد جنيزة كنيس بن عزرا في القاهرة من أهم المصادر لمعرفة تاريخ اليهودية بما أن هذا الكنيس هو من أقدم الكنائس في العالم، احتوت الجنيزة الخاصة به على نحو 200 ألف وثيقة، يعود أقدمها إلى القرن الحادي عشر الميلادي. بقيت معظم الوثائق في حالة جيدة بفضل المناخ الجاف الذي تتميز به مدينة القاهرة، ولكون الطائفة اليهودية القاهريـــة طائفة يهودية مركزيـــة في القرون الوســـطى، تم العثور في هذه الجنيـــزة على وثائـــق وكتب من جميـــع أنحاء العالـــم اليهودي، بما في ذلك بعض الوثائـــق المكتوبـــة بلغات يهوديـــة أوروبيـــة (شكل 11-1)، مثل اللغة اليديشية (Goitein, 1959-1960).

شكل (11-1): صورة ضوئية لصفحة من وثائق جنيزة القاهرية، المكتبة البريطانية.

من أهم النصوص التي تم العثور عليها في جنيزة القاهرة النص العبري الأصلي لسفر حكمة بن سيرا.[130]. احتوت الجنيزة أيضا على شهادات الزواج والطلاق وعقود بين أبناء الطائفة اليهودية وعلى أسئلة أرسلها يهود إلى الحاخامين في مصر بشأن الشريعة اليهودية. ومن هذه الوثائق يمكن معرفة الأحداث التاريخية التي شهدتها الطوائف اليهودية في مصر وفي بلدان أخرى.

بدأ البحث الأكاديمي في نصوص جنيزة القاهرة في تسعينات القرن التاسع عشر الميلادي على يد باحثين يهود وغير يهود من جامعات أوروبية، ومنذ ذلك الوقت تم إخراج كل مضمون الجنيزة تقريبًا ونقله إلى بعض مكتبات وأراشيف في أوروبا. واليوم يوجد حوالي 70% من مضمون جنيزة القاهرة في مكتبة جامعة كمبريدج بإنجلترا، وللأسف ضاعت بعض الوثائق التي كانت محفوظة في بعض المكتبات في ألمانيا وبولندا خلال الحرب العالمية الثانية (دائرة المعارف البريطانية).

اشتملت وثائق الجنيزة علي وثائق متنوعة أسرية وغير أسرية، عبارة عن خطابات وقوائم حسابات وموارد مالية وضريبية متنوعة وقوائم بأثمان بعض السلع وسجلات قضائية وإيصالات وعقود ورهونات وقروض ومقايضة ومشاركة واستبدال ووصايا وهبات وعتق وهبات وزواج وطلاق...الخ، ولا شك أن هذه الوثائق تلقي الضوء علي الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في أقطار العالم الإسلامي مثل مصر واليمن والمغرب والأندلس وبلاد الشام، خاصة في العصرين الفاطمي والأيوبي وجانب من العصر المملوكي، ومعظم

---

[130] سفر حكمة بن سيرا: ترك اليهود هذا السفر بسبب الخلاف حول قدسيته، أما المسيحيون فاستمروا يقدّسونه، حيث بقيت ترجمته الأولى إلى اللغة اليونانية، بينما ضاع النص العبري، حتى تم العثور على نسخة عبرية قديمة في جنيزة القاهرة. كذلك تم العثور فيها على نسخ قديمة للهاجادا، وهي مجموعة النصوص الدينية والصلوات التي تقرأ خلال عشاء عيد الفصح اليهودي.

وثائق الجنيزة القاهرية مكتوب باللغة العربية ولكن بحروف عبرية (ربيع، 1980).

ورد ذكر ميناء عدن في وثائق جنيزة القاهرية باعتبارها الميناء الأساسي للسفن القادمة من الشرق، وكانت معظم وثائق الجنيزة الخاصة بتجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي هي خطابات أرسلت من عدن أو جدة أو عيذاب أو غيرها من مواني البحر الأحمر أو من موانئي الهند إلي الفسطاط بمصر أو العكس أو رسائل متبادلة من موانئي البحر الأحمر، وقد وصلت هذه الخطابات إلي مجموعة الجنيزة عندما احتفظ بها أصحابها وأحضروها معهم حفاظًا علي حقوقهم وأموالهم، وأُخذت هذه الوثائق إلي حجرة الجنيزة بطريقة أو بأخري (Goitein, 1963).

واحتوت وثائق جنيزة علي مراسلات كثيرة متبادلة بين تجار الكارمية المقيمين في بعض الموانئ مثل عيذاب وعدن وجدة وبين ذويهم وشركائهم، كما توجد في الوثائق مراسلات كتبها أشخاص لا ينتمون إلي طائفة التجار الكارمية أخبروا فيها أقاربهم ومعارفهم بأنهم أرسلوا لهم هدايا أو بضائع مع "الكارم" أو عن خروج بعض التجار اليهود في صحبة التجار الكارمية المسلمين[131].

ورد ذكر ميناء عيذاب كثيرًا في الجنيزة القاهرية خاصة في وثائق العصرين الفاطمي والأيوبي إذ كانت بضاعة الشرق من التوابل تأتي من عدن إلي عيذاب، حيث يدفع التجار المسلمون والذميون من رعايا المسلمين ضريبة الزكاة وضريبة واجب الذمة، ولم يكن مسموحًا لأي تاجر من المواني الايطالية أو من الهند أو الصين أن يبحر شمالاً من عدن. كما جاء في الوثائق أن الأيوبيين تعقبوا خطر القراصنة في البحر الأحمر ورصدوا لذلك سفنًا من أسطولهم لحماية طريق الحج والتجارة من عيذاب إلي جدة.

---

[131] يؤكد عدد كبير من المؤرخين أن تجارة الكارم اقتصرت علي التجار المسلمين دون سواهم.

نماذج من رسائل من عيذاب في وثائق الجنيزة

فيما يلي بعض الرسائل التي أرسلها بعض الأفراد من عيذاب إلي ذويهم في مواني أخري تلقي بعض الضوء علي الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كانت تسود البلاد (وثائق رقم 39 و43 بمكتبة كمبردج، ربيع، 1980):

1- في رسالة من وثائق الجنيزة – لم تنشر بعد – كتبها ابن إلي أمه أثناء إقامته في عيذاب يخبرها بوصوله أولا إلي قوص، وأنه سأل هناك عن أولاد عمه فأخبره رجل "بأنهم في عافية في بلد يقال لها حلبه من اليمن"، ثم يخبر الابن آمه أنه سافر من قوص إلي عيذاب وأنه سوف يسافر منها في شهر رجب (لم يذكر السنة). واحتوت الرسالة علي كثير من السلامات والتحيات أرسلها إلي بعض أفراد آسرته.

2- وفي رسالة أخري – لم تنشر بعد – من وثائق الجنيزة القاهرية أخبر ابن والده بأنه رحل إلي عيذاب، وأنه لقي هناك كل خير، وطلب من والده أن يبلغ سلامه إلي بعض أقاربه الذين لم يلتق بهم الطريق ولا في عيذاب....والتمس من والده أن يكثر الدعاء له.

3- وفي رسالة ثالثة – لم تنشر .أيضا – كتبها أحد التجار من ميناء عيذاب ذكر فيها قلة الأمن في الطريق (غالبا في قوص وعيذاب) وأنه قاسي كثيرًا من النهب والسلب حتى قال في رسالته: (فما بقي لي إلا السفر، فسافرت إلي عيذاب فزعان خائف من نحس الطريق، وهب الله السلامة، وأنا معول علي الدخول إلي الهند).

4- وفي رسالة أخري أرسلها أحد التجار من عيذاب إلي أخيه في القاهرة أخبره فيها بوصوله إلي ميناء عيذاب، وقصّ عليه ما لقي من الشدائد فيقول: (ولكن تعوقي في عيذاب أمر ضروري ولشدة أكيده لعظم الكرا وعدم الذهب مضاف إلي شدائد قاسيتها في هذه السفرة، وما خرج مني وتمجق من حاسرة وضبعان وغير ذلك، وما فعل معي من البضائع في

دخولي لليمن حتى ذهبت جميع ثمنها، وضاعت الأموال، وشيء يطول شرحه).

12- حياة عيذاب الدينية والأدبية[132]

يا ثغــــر عَيْــذاب ابتَسِم*****صــدرُ الَطريق لكَ انشرَح

تاللّـــــــهِ لـــو وُزِنَ النَبيُّ*****بِكُـــــل مخلوقٍ رَجَـــــح

الشاعر القوصي

(أحمد ابن ناشئ)

لم يرد في أخبار السابقين أن عيذاب أنجبت شخصية بارزة في أي فرع من فروع العلم أو الثقافة بل إنها كانت تجلب حتى قضاتها الشرعيين من جنوب مصر. وهناك شبه اتفاق بين من كتبوا عن عيذاب أنها مدينة شديدة الحرارة وأهلها خشنوا الطباع ويتميزون بسوء معاملة المسافرين وأنها بعيدة عن العمران حيث يجب استيراد كل متطلبات الحياة، ويشير «ابن جبير» إلي التقارب الشديد بين اسم المدينة وكلمة عذاب!

الحياة الدينية في عيذاب

كانت الحياة الدينية في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين تقوم أساسًا علي ثلاثة دعامات وهي:

1. الإدارة الإسلامية التي تشمل القضاء والخطابة والزكاة،
2. تصريف شئون الحج،
3. النشاط التجاري.

---

[132] مرجعية جزء كبير من هذا الفصل هو البحث القيّم الذي نشره العالم السوداني الجليل «بشير إبراهيم بشير» في مجلة الدراسات السودانية. جامعة الخرطوم، العدد الثاني، المجلد 5، 1979، تحت عنوان "عيذاب: حياتها الدينية والأدبية".

قضاة عيذاب

يقول ابن خلدون[133] في "العبر وديوان المبتدأ والخبر" إن القضاء كان أكبر وأهم المناصب الدينية بعيذاب، كما جاء في كتاب "الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد" للإدفوي[134] أنه (كان يراعي عند اختيار القاضي غناؤه في خدمة الحجاج والتجار أكثر من أي اعتبار آخر بما في ذلك قدرته الفقهية.)

وقد تقلد منصب القضاء بعيذاب جماعة من خيرة الفقهاء، فمن الأوائل كان «أبو القاسم نوفل بن جعفر» الذي كان معروفًا باسم «المخلص» وهو الجد الأعلى للإدفوى والذي تولى القضاء بها في 1136م على أيام الفاطميين وظل يقيم بها إلى أن توفى في عام 1176م. ومنهم «ابن مسلم الأقصرى»، والذي كان واسع النعمة والثراء، سمحًا جوادًا عرف عنه إكرام الغريب، حتى اشتهر عنه ذلك، ولعل ذلك كان سببًا لتوليه القضاء، وطالت مدته في منصبه، حيث مكث فيه قرابة الستين عامًا إلى أن توفى عام 1286م (الإدفوي).

ومن قضاة عيذاب «عبد المنعم بن أحمد بن عبد المجيد النقى»، وكان يلي الخطابة أيضًا، وقد ظل يشغل منصبه قرابة ستين عامًا إلى أن توفى عام

---

[133] ابن خلدون: (732هـ / 1332م – 808هـ / 1406م) ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن، عربي مسلم من إفريقية في عهد الحفصيين (تونس حاليًا)، وابن خلدون أحد العلماء الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية، فهو مؤسس علم الاجتماع، وتعتبر مقدمة ابن خلدون واحدة من أعظم ما سطر إنسان في علم الاجتماع.

[134] الإدفوي (685 – 748هـ): هو كمال الدين جعفر بن ثعلب الإدفوي المؤرخ الأديب الفقيه الشافعي، ولد في إدفو بصعيد مصر، ودرس في قوص التي كانت تعد أكبر مدرسة إسلامية في صعيد مصر، تحاكي مدارس القاهرة وبقية العالم الإسلامي، والإدفوي له علم بالأدب والفقه والفرائض والموسيقى.

1332م وقد جاوز الثمانين – قال عنه «الإدفوى»: (كان فيـــه نفـــع للحجـــاج والوارد، قوى الحرمة، نافذ الكلمة). وكان إلى جانب ذلك يقرض الشعر.

ومن خيرة الفقهاء الذين تولوا قضاء عيذاب بالإنابة: «محمد ابن إسماعيل بن عيسى أبى النضر القفطى»، وينعت «بالتقي»، ويدعى بـــ «ابن دينار» و«الحافظ أبى الفتح القشيرى» وغيرهما، ومنهم «عبد الرحمن بن موسى الكندي الدشناوى» المنعوت «بالأمين» وكان فقيهًا شافعيًا تقلب في عدة مناصب دينية بالصعيد، ومنهم «محمد بن محمد بن نصير» المنعوت «بالكمال» ويعرف بـــ «ابن الحسام القوصى»، قال عنه «الإدفوى»: (كان فقيهًا مشاركًا في النحو وآخر من نعرفه «نوح بن عبد المجيد بن عبد الحميد القوصى» المعروف بالزين).

كان القاضي أهم شخصية بالثغر، وكان يُختار من بين الفقهـــاء الـــذين تقلبوا في عدة مناصب دينية في الصعيد كإمامة مســـجد أو ولايـــة قضـــاء أو تدريس. ويشير ذلك إلى روابط دينية وثقافية وثيقة ووشيجة بين عيذاب وبـــلاد الصعيد الأعلى. وقد رصد لنا تلك النهضة الاقتصادية والعمرانية والثقافية التي انتظمت الإقليم الفقيه المؤرخ «الإدفوي» فى كتابة "الطالع السعيد" والذي ترجم فيه لجماعة من أبناء الصعيد الذين نبغوا فى مجال العلـــوم الدينيـــة والأدبيـــة والحكمية، كما تعرض لخطط مدن الصعيد وأحوالها العمرانية ومؤسساتها الدينية والعلمية.

وكان أغلب الفقهاء الذين تقلدوا هذا المنصب علي مذهب الإمام الشافعي، رضي الله عنه، ويرجع ذلك إلي أنه عندما أعيد الحكم السنّي بمصر بقيام الدولة الأيوبية وزوال الفاطمية، ظهر مذهب الإمام الشافعي لأن «الناصر صلاح الدين الأيوبي» – بعد صرفه لقضاة الشيعة – فوّض القضاء لـــ «صدر الدين عبد الملك بن درباس الماراني الشافعي» فاستبد الشافعيون بالقضاء

وتشدّدوا في مذهبهم (المقريزي، الخطط،، والعسقلاني في رفع الإصر[135] عن قضاة مصر).

وكان معظم من تولوا القضاء بعيذاب يتميزون باشتغالهم بالأدب، وعلي أي حال فقد كان الجمع بين عدة فنون وعلوم في ذلك الوقت أمرًا مألوفًا بين رجال العلم.

المسجد والخطابة

أول من ذكر مسجد عيذاب كان الرحالة الفارسي «ناصر بن خسرو» حوالي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، كما سجل «ابن بطوطة» أن بمدينة عيذاب مسجدًا ينسب «للقسطلاني» شهير البركة. ولا تزال أنقاض المسجد موجودة، وقد كشف النقاب عنها الأثري البريطاني «موراي» عام 1926م ولا يوجد أي ذكر في المراجع القديمة عن أي مؤسسات دينية أخري، ويبدو من ذلك أن مسجد عيذاب كان المكان الوحيد للنشاط الديني.

ومن الطريف أن من أوائل من تصدر للإمامة والخطابة بمسجد عيذاب الرحالة الفارسي «ناصر خسرو» والذي قام بها لمدة ثلاثة شهور بناء علي طلب الناس حيث لم يكن هناك إمام متفرغ في ذلك الوقت.

ويجمع المؤرخون أن مسجد عيذاب كان محور الحياة الدينية والفكرية بها، فإلي جانب إقامة شعائر الصلاة فإن حلقات دراسة الحديث والتدريس وما يتصل بذلك من الأنشطة كانت تقام به، وكان يقيم فيه كبار العلماء والصالحين الوافدين عند الثغر (بشير، 1979م).

---

[135] الإصْر: العهد الثقيل، الذنب (لسان العرب).

صاحب الزكاة

وهو منصب هام في هيكل الإدارة الإسلامية لعيذاب وصاحبه هو الذي يقوم بجمع الزكاة من تجار الكريمي والأهالي المحليين، وأول ذكر لصاحب الزكاة ببلاد البجا جاء في نصوص اتفاقية أبرمت بين المسلمين والبجا على أيام الخليفة «المأمون العباسي» وملك البجا «كنون بن عبد العزيز» على أثر هزيمة البجا على أيدي القوات العباسية، فألزمت الاتفاقية ملك البجا بالسماح لعمال أمير المؤمنين بدخول بلاد البجا لجمع الصدقات من مسلميهم (المقريزي: الخطط).

ومن أشهر من تقلد هذا المنصب «عمر بن الفكهاني» كما جاء في كتاب "تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور" لــ «محيي الدين بن عبد الظاهر». ويتضح من الهيكل الإداري لعيذاب أنه كان إسلاميًا خالصًا، بينما انفرد قادة البجا بالسيادة الرسمية فقط وكانوا قانعين بما يحصلونه من مال من الحكام المصريين المسلمين.

الحج

سبق الإشارة إلي أن طريق الحج للبلاد الواقعة شمال إفريقيا ومصر قد تحول إلى عيذاب نحو منتصف القرن الحادي عشر الميلادي، وظل الحجاج يستخدمونه حتى دمار عيذاب فى النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي، وإن تناقصت أعدادهم بعد فتح الطريق البرى بين مصر والحجاز، ولذلك كانت رعاية الحاج بعيذاب من أخص اهتمامات حكام مصر الإسلامية، كما سبق ذكر أن القيام بأمر الحاج كان من أهم الشروط فى اختيار القضاة لعيذاب. ويقول «ابن جبير» في رحلته" (والركوب من جدة إليها آفة للحجاج عظيمة إلا الأقل منهم ممن يسلمه الله عز وجل، وذلك إن الرياح تلقيها علي الأكثر في مراس بصحارى تبعد منها مما يلي الجنوب، فينزل إليهم البجاة، وهم

نوع من السودان ساكنون بالجبال، فيكرون منهم الجمال ويسلكون بهم غير طريق الماء، فربما ذهب أكثرهم عطشا حصلوا على ما يخلفهم من نفقة أو سواها. وربما كان من الحجاج من يتعسف تلك المجهلة على قدميه فيضل ويهلك عطشًا. الذي يسلم منهم يصل عيذاب كأنه منشر من كفن، شاهدنا منهم مدة مقامنا أقوامًا قد وصلوا على هذه الصفة في مناظرهم المستحيلة وهيئاتهم المتغيرة، آية للمتوسمين. وأكثر هلاك الحجاج بهذه المراسي. ومنهم من تساعده الريح أن يحط بمرسى عيذاب، وهو الأقل).

وقد أدي عبور الحجاج لعيذاب أن أصبحت ملتقي هامًا لسماع الحديث الشريف يضارع مراكز السماع الكبرى بالدولة الإسلامية. كما كان للحجاج نشاط ديني واسع بعيذاب، بل إن حركة الحجاج وما صاحبها من نشاط فكرى واقتصادي صارت ذات أهمية بالغة لأغلب بلاد الصعيد.

وقد وفد عدد كبير من العلماء إلي ثغر عيذاب ومنهم، الإمام «أبو حيان محمد يوسف الأندلسي النحوي» الذي دخل عيذاب فى طريق عودته من الحج وبقى بها قدرًا من الزمان، ومنهم من أقام زمانًا بالثغر، ولعل أشهر من دخل عيذاب من الحجاج الإمام «أبو الحسن على بن عبد الله الشاذلي» الصوفي مؤسس الطريقة الشاذلية. وكان قد اتخذ الإسكندرية موطنًا، وكان يخرج منها كل عام إلى الحج عن طريق عيذاب إلى أن توفى وهو قاصد الحجاز ودفن بموضع قريب شمال غرب من عيذاب يعرف بحميثرا[136] وذلك فى عام 1258م.

يصف بعض المؤرخين أن موسم الحج كان بالنسبة لعيذاب ما كان لسوق عكاظ في مكّة فى الجاهلية، أي أن موسم الحج كان بالنسبة لعيذاب

---

[136] حميثرا: ذكر ابن بطوطة في رحلته مدينة في صعيد مصر تسمى (حميثرا) كان قد دفن فيها الشيخ أبو الحسن الشاذلي، واسم هذه المدينة يشبه اسم مدينة توراتية في عهد الملك سليمان كانت تقع على الطريق بين مملكة يهوذا ومصر (محمد رشيد ناصر ذوق – طرابلس لبنان – 2004م).

تظاهرة دينية أدبية كبرى. وقد أقام بها عدد كبير من كبار العلماء والفقهاء في زمانهم وبعضهم أقام بها بصفة دائمة بغرض الإفادة والاستفادة، ومنهم الشيخ «الصالح موسى» و«الشيخ محمد المراكشي» و«الشيخ إسماعيل بن عبد الرحيم العسقلاني المحتد»، وكان فقيهًا على مذهب الإمام الشافعي، فأقام بعيذاب مدة طويلة وتزوج بها (ابن بطوطة والإدفوي).

التاريخ المسيحي في عيذاب

كان تأثير المسيحية علي قبائل البجا البدوية – أسلاف العبابدة والبشارية وبني عامر – الذين كانوا يتنقلون في المناطق بين النيل والبحر الأحمر ضئيلاً جدًا فلم يتأثر بها سوي الذين كانوا يعيشون بالقرب من ساحل البحر الأحمر، وقد ذكر ايسيبيوس Eusebius [137] (263-339م) انتشار هذه الديانة بين بعض قبائل من البلامس Blemmyes في فترة حكم الإمبراطور قسطنطين (274-337م)، وتثبت الوثائق التاريخية أن المنطقة كان لها أسقف قبطي أرثوذكسي يدعي «نابس» أو (برنابس الأسقف) في القرن الرابع/الخامس الميلادي.

فقد جاء في السنكسار[138] الذي نشره رينيه «باسيه»[139] تحت 22 كيهك (نوفمبر/ديسمبر) تعيين نياحة القديس «برناباس» أو «الأنبا نابس» أسقفًا لعيذاب. وقد وُلد في قرية شرقي قفط، وكان منذ صباه محبًا للحياة النسكية

---

[137] ايسيبيوس: أسقف إغريقي ولد في قيسارية في فلسطين، يعتبر أبو التاريخ الكنسي.

[138] السنكسار: (كلمة قبطية) وتعني كتاب يستخدم في الكنيسة القبطية الأرثوذكسية، ويحوي أخبار وسير القديسين، مرتبة حسب الشهور القبطية. ويقرأ السنكسار في الكنائس أثناء القداس بعد قراءة الإنجيل.

[139] رينيه باسيه: (1855-1924م) مستشرق فرنسي من أعضاء المجمع العلمي العربي. قام "رينيه باسيه" بنشر السنكسار العربي اليعقوبى ضمن مجموعة "باترولوجيا أورينتال" بباريس سنة 1909م نقلا عن مخطوطات قديمة.

الهادئة، وانطلق إلى البرية يتتلمذ على أيديّ آباء شيوخ كاملين محبين للجهاد، وفي حوالي الخمسين من عمره سُيم أسقفًا على منطقة صحراوية بعيدة جدًا، فكان موطنه قفط لكنه لا يكف عن افتقاد شعبه، يذهب إليهم بالجمال مسافات طويلة، وكأن الله أعطاه مطلبه ليعيش في البرية، إذ بقى في أسقفيته محبًا للوحدة. جاء عنه أن كثيرًا من الأساقفة يجتمعون به كأب لهم يطلبون بركته، وبقي في الأسقفية حوالي 50 عامًا يحيا كناسكٍ، مملوءًا حبًا للناس، ووجهه دائم البشاشة. كان الأسقف «نابس» يرسل للميناء أحد الكهان أو القساوسة من حين لآخر. وفي بدايات القرن الثامن الميلادي كانت هناك تحركات واضطرابات وانتشار لقبائل البجا، مما أدي إلي وضع نهاية لمملكة اكسوم الحبشية حتى نشأت عنها مملكة جديدة امتد نفوذها وسطوتها إلي الجنوب، ولكنها فرضت سلطانها علي السواحل التي تقطنها قبائل البجا في أقصي الجنوب، وقد امتنع المسلمون في البداية عن إقامة أي معاهدات مع قبائل البدو الذين قاموا بغزو جنوب مصر لأنهم كانوا من الوثنيين (Houtsama, 1913-38، اليعقوبي).

وعن الأسقف «نابس» نشر عالم اللاهوت القبطي (المصري) البارز «جودت جبرة» مقالاً باللغة الألمانية تناول بالتحليل المقولات التي وردت في السنكسار المكتوب باللغة العربية خلص فيه إلي وجود ثلاث شخصيات تحمل نفس الاسم (Gabra, 1986). وفيما يلي أهم ما توصل إليه «جبرة» في بحثه: (يتضح من خلال النصوص أن كلا من البلامس والبجا مترادفتان، كما يتضح أن أسقف عيذاب كان يمارس عمله في أسقفية تعد من المناطق الواقعة علي حدود النوبة ومصر، وكان «نابس» يعيش في احدي الكنائس الصغيرة في قفط، وكانت هناك أسباب كافية لتأسيس هذه الأسقفية فالنص الوارد عن «نابس» وإن كان مترجمًا باللغة العربية عن نص قبطي يقدم لنا تصورًا عامًا عن جزء من أنشطة أحد أساقفة القرن الرابع/الخامس الميلادي، فالنص يدور حول أسقفية لم

ترد إلا مرّة واحدة والتي كانت توجد في منطقة حدودية كانــت تمــارس فيهــا التجارة مما جعلها في موقف غير عادي).

الحياة الأدبية في عيذاب

لا شك أن الحياة الدينية لعيذاب كانت هي السمة الغالبة لها ولكن بالرغم من الإدارة الإسلامية الصارمة لعيذاب فقد كان بها عدد كبيــر مــن الشــعراء ورجال الأدب، وصحيح أنهم ليسوا من أبنائها ولكنهم وفدوا إليها إما من الصعيد المصري أو من أرض الحجاز، وأقاموا بها.

ويلاحظ أنه من السمات التي غلبت على معظم الذين تولــوا القضــاء اشتغالهم بالأدب وتلك صفة لم يختصوا بها دون علماء جيلهم، ولاشك أن تنوع معارف قضاة عيذاب وغزارة علومهم كان له أثر بالغ في إثراء حيــاة الثغــر الفكرية والعلمية.

ومن أشهر من وفد إلي عيذاب في عمل رسمي الفقيه الأديب المــؤرخ «عمارة اليمنى[140]» والذي بعثه أمير مكّة في سفارة إلى البلاط الفاطمي، كمــا قصدها «أبو الفتوح نصر الله بن عبــد الله» المعــروف بـــ «ابــن قلاقــس السكندري»[141]، الذي مات بعيذاب عام 1171م. ولعل من أهم ما خلفــه «ابــن قلاقس» قصيدته التي وصف فيها المراسي مابين عدن وعيــذاب والتــي أورد «ياقوت الحموي» بعضًا منها في معجمه الجغرافي المعروف.

ومن الشعراء والأدباء من وفد على عيذاب قسرًا منفيين من قبل حكــام مصر الإسلامية. وقد كان النفي بغرض التأديب لكبار رجال الدولــة والأدبــاء

---

[140] عمارة اليمني: ولد الشاعر العربي نجم الدين سنة 531هـ، وتنقل بين اليمن ومكّة ومصر، وترك بصمات واضحة في الحياة الأدبيــة والسياسية في زمانه، ومن أقدم ما وصل إلينا ترجمته الذاتية (النكت العصرية).

[141] ابن قلاقس السكندري: أبو الفتح نصــر الله بن عبد الله بن مخلوف الذي اشتهــر باسم ابن قلاقــس (532هـ / 1127م - 567هـ / 1171م)، ولد ونشأ في الإسكندرية وانتقل إلي القاهرة وكان كثير السفر.

والفقهاء المغضوب عليهم تقليدًا معروفًا منذ صدر الإسلام. وقد وقـع اختيـار الحكام المسلمين على عيذاب لبعدها عن العمران ورداءة جوها بصفة عامة، وقد خلّد لنا الشعراء ذلك فى أشعارهم، ومنهم المؤرخ الأديب «عمارة اليمني»، وقد قال فى أبيات يشكو فيها حاله وسوء ما لاقى بعيذاب:

لم تَرْضَ عَيْذابُ أنيّ مسَّني نَصَبُ	من أهلهـا وجرى لي منهمُ شَغَبٌ
حتى لقيتُ بقوصٍ لا سقتْ أبـدًا	أكنافَ قُوصٍ ولا مَن حلَّها السُحُبُ
عَوارضًا كَشَفَ المِرّيخ صفحتَه	فيهنّ والمِشْتري عنهنّ مُحتَجِبٌ
وكان إعراضُ سيف الدين أكبر	ما لقيتُ والبحرُ تُنسَي عنده القُلُبُ
وأرجف الناسُ حطي قال قائلُهم	يا رائد الحيّ لا ماءٌ ولا عُشُبُ
أتيت من مأمني فيـه وفاجأني	ما لم تكن أعيُنُ الآمال ترتقبُ
فقلتُ هل أقفر الوادي أم افترق	النادي أم انحل ذاك العَقْدُ والكُرَبُ
فقيل بل جُملةُ الأحوال حالية .	ومَعْقِل العزّ معمورُ القَنا أشِبُ

كما أنشد «ابن قلاقس» فى دهلك[142] وصاحبها «أبى السداد مالك أبـى الفياض»، وكان قد وفد عليه:

وأقبح بدهلـك من بلـدة	فكـل امرئ حلهـا هالـك
كفاك دليـلاً علـى أنهـا	جحيـم وخازنهـا مـالكْ

وكان الحكام الأمويون والعباسيون أول من أخذ بهذا التقليد ثـم انفـرد حكام مصر الإسلامية بالحفاظ عليه، فكان الفاطميون يتخـذون مـن عيـذاب وسواكن محبسًا ومنفي، وكذلك الأيوبيون والمماليك.

ومن أشهر من نُفى إلى عيذاب الشاعر «المفلق نشوء الدولة على بـن مفرج المنجم» المعروف بـ«ابن المنجم»، وكان رفيقًا «لابن قلاقس»، وكـان «ابن المنجم» قد أُدب بالنفي إلى عيذاب. ولم يخلف لنا «ابن المنجم» أشـعارًا

[142] دهلك: أحد الجزر الإرترية في البحر الأحمر، وهي على مقربة من ميناء مصوع ويقول عنها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان: دهلك اسم أعجمي معرب.

فيها ذِكر لعيذاب فى الكتب المطبوعة. ومن الطريف أن هناك رواية تقــول إن النبي «سليمان بن داود» اتخذ عيذاب سجناً للعفارتة (ابن جبير).

وتشير المصادر التاريخية إلي أن عيذاب لم تكن ميناءً لاستقبال الواردات ولكنها كانت مخصصة لتصدير الذهب المستخرج من وادي العلاقي (جنوب شرق أسوان)، وكانت تستخدم للإبحار إلي الأراضي المقدسة واليمن.

يقول «ابن حوقل»: (ويؤخذ هذا المعدن (الذهب) من قرب أسوان من أرض مصر علي نحو من عشر مراحل حتى ينتهي إلي حصن علي البحر يسمي عَيْذَاب ويسمي مجمع الناس بهذا المعدن العلاقي).

يقول "ابن جبير" في وصف عيذاب: (هي أحفل مراسي الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها، وتقلع منها زائدًا إلى مراكب الحجاج الصادرة والواردة، على الرغم من كونها في صحراء لا نبات فيها، وأنه لا يؤكل شيء فيها إلا مجلوب، لأن أهلها بسبب الحجاج تحت مرفق كثير، ولا سيما مع الحجاج، لأن لهم على كل حمل طعامًا يحملونه ضريبة معلومة خفيفة المئونة).

ويؤكد «المقريزي» على أهمية عيذاب في عهد الفاطميين، فيذكر أنها كانت من أعظم مراسي الدنيا، بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع، وتقلع فيها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة. كما يرجع أيضًا إلى عمق وغزارة ميناء عيذاب وخلوه من الشعاب المرجانية التي يمتلئ بها البحر الأحمر، والتي كانت من أكبر الأخطار التي تتعرض لها الملاحة فيه. لذلك كان البحارة والتجار يفضلون الرسو فيه عند تقدمهم من "عدن" وعند رحيلهم منها، كما كان لموضع عيذاب كمرفأ طبيعي صالح كمرسي للسفن وإقلاعها من دون أن تتعرض لأخطار الملاحة على السفن الشراعية،أكبر الأثر في أن تكون من أهم الموانئ التجارية على البحر الأحمر.

وكان التجار والحجاج يفدون إلى ميناء عيذاب مرغمين وليسوا مخيرين، وذلك بسبب اشتداد النزاع بين الفاطميين والسلاجقة[144] الذين كانوا

[144] **السلاجقة:** أو بنو سلجوق، هي سلالة تركية حكمت في أفغانستان وإيران وأجزاء من الأناضول وسوريا والعراق والجزيرة العربية مابين 1038-1157م، ثم حتى 1194م.

أصحاب النفوذ ببغداد وقتئذ، ثم استيلاء الصليبيين على "أيلة" (ايلات) الواقعة على خليج العقبة سنة 510هـ / 1116م.

كان للبجاة سلطان يتصرف في شؤونهم السياسية وينوب عنهم في الاجتماع مع الوالي المصري، وفي أغلب الأحيان يكون التفاوض في التقاسم المالي في الإيرادات السنوية للمدينة. يقول «ابن جبير»: (ولهم سلطان من أنفسهم يسكن معهم في الجبال المتصلة بها وربما وصل في بعض الأحيان واجتمع مع الوالي الذي فيها من الغز الترك إظهارًا للطاعة).

تجار الكريمي

تميزت الفترة بين القرن الحادي عشر والقرن السادس عشر الميلادي بازدهار تجارة التوابل بين الشرق وأوروبا. كان الفلفل الأسود أهم هذه التوابل وذلك لشدة حرافته، إلا أن اكتشف فلفل مشابه في شيلي (*Capiscum annum*) أصبح بديلاً للتوابل الغالية الواردة من الشرق، وفي هذه الفترة الزمنية كان يتحكم في تجارة التوابل مجموعة من التجار كانوا يعرفون باسم «عائلة الكريمي» وكانوا يسيطرون بشكل أو بآخر علي تجارة العالم الإسلامي.

والتجار الكارمية[145] طائفة من البيوت التجارية والمالية الإسلامية عمودها الفقري هو الأسرة، ورب الأسرة الكريمي يدرّب أبناءه وأتباعه علي

---

[145] الكارمية: اختلف في أصل مسمى الكارمية، ونشأتهم أيضًا، فمن المؤرخين من يشير إلى أن اسم الكارم اشتق من الكانم وهي منطقة من السودان الغربي، تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد، فانتشر اسم الكارم بين تجار التوابل، ومنهم من يشير إلى أن مجموعة من هؤلاء التجار عرفوا باسم التكرور نسبة إلى مملكة التكرور الواقعة شرقي مالي، ومن التكرور أطلق اسم الدكرور على ميناء بولاق النيلي، فعرفت ببولاق الدكرور نسبة إلي التكرور الذين كانت تصل بضائعهم من قوص عبر النيل إلى بولاق. ومنهم من يعتقد أن كلمة الكارمية أو الكارم أخذت عن نوع من التوابل هو "الحبهان" ويلفظ في اللغة الأمهرية (كاراريما Kuararima)، ويرجح آخرون أن الكلمة ليست عربية =

التجارة والاستثمار وبذلك يرث الأبناء خبرة الآباء فضلاً عن صلاتهم بالعملاء وأسواقهم.

كان تجار الكارمية هم تجار الدولة المصرية في عصر الأيوبيين والمماليك، وهم طبقة فريدة في تاريخ التجار المسلمين وفي تاريخ الإمبراطورية الإسلامية. والكارمية كانوا يحتكرون تجارة الفلفل من الشرق عن طريق ميناء عيذاب ومنها برًا إلي قوص ثم بالمراكب إلي القاهرة والإسكندرية، وكانت الإسكندرية في عهدهم أكبر سوق للفلفل في الشرق الأوسط، وكان تجار البندقية هم الموزع الأول للفلفل في غرب أوروبا.

كانت هذه المجموعة يتحكم فيها حوالي 50 من التجار المسلمين أغلبهم من اليمنيين والمصريين وأحيانا بعض الهنود. كان كل تاجر من الكريمي يمتلك ثروة تتراوح بين 100000 و10 ملايين دينار.

كان لهذه المجموعة نفوذ كبير في أسواق الشرق وأحيانًا كان لهم نفوذ سياسي، وامتدت علاقاتهم القوية إلي الأمراء والسلاطين والوزراء وشخصيات أجنبية. كانت الكريمي تسيطر علي طرق التجارة عبر البحر المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندي وحتى فرنسا شمالاً والصين شرقًا والصحراء الكبرى جنوبًا حيث كانوا يحصلون علي الذهب من المناجم. واتسع نشاط المجموعة فكانت تقوم بالعمليات المالية مثل البنوك من قروض وائتمان وخلافه. وأهم فرق بين الكريمي والمستثمرين الآخرين أنهم لم يكونوا يحصلون الضرائب بل كان رأس مالهم بالكامل من التجارة والمعاملات المالية، وكانت الكارمية تحمي قوافلها في البر والبحر بفرق دفاعية مسلحة (لبيب، 1982).

= بل هندية من جنوب الهند بلغة "التأمل" فقد ظهرت كلمة "كاريام Karyam" التي تعني في مقطعين "كار" بمعنى عمل أو حرفة، و"يم" بمعنى البحر، أي بمعنى "العمل في تجارة البحر".

والمعلومات عن هذه الطائفة قليلة ولكنها تبدأ مرتبطة بحملة البرنس «أرناط» حسب ما ورد في رسالة «صلاح الدين الأيوبي» إلي الخليفة العباسي في بغداد. يقول نص الرسالة إن هدف «أرناط» هو (أن يمنع الحاج عن حجه ويحول بينه وبين حجه وأخذ تجار اليمن وأكارم عدن ويلم بسواحل الحجاز فيستبيح المحارم ويهيج جزيرة العرب بعظيمة دونها العظائم).

كانت أول إشارة في المصادر المتداولة إلي طائفة التجار الكارمية الذين لعبوا دورًا هامًا في تجارة البحر الأحمر في العصر الأيوبي ترجع إلي سنة 456هـ/1063م عندما أشار «ابن ايبك الدواداري»[146] إلي تأخر التجار وانقطاع الكارمية وذلك زمن الخليفة المستنصر الفاطمي بسبب حوادث الشدة المستنصرية، وهذا دليل واضح علي أن نشاط التجار الكارمية بدأ من العصر الفاطمي إن لم يكن قبل ذلك واستمر طيلة العصر الأيوبي وشطرًا من عصر المماليك.

وغارت الموانئ المنافسة من نجاح عيذاب فتحركت حملة من ميناء جدة لتخريبها في 1118م، ثم قلّت قيمة عيذاب للحج بعد تأمين طريق سيناء بعد طرد الصليبيين في 1267م إلا أنها ظلت مطروقة بالحجاج المغاربة حتى 1348م، ولم يبق من معالم المدينة إلا قطع الفخار والخزف والزجاج والمقابر المبعثرة وبقايا خزانات المياه.

إن ازدهار عيذاب كان وليد اهتمام حكام مصر الإسلامية بالحركة التجارية فى البحر الأحمر وثمرة من ثمراته، فكان أن كفلوا لها الرعاية والحماية ووفروا لها الإدارة القادرة، وقد سبق الإشارة إلي أن أحد شروط

---

[146] **الدواداري**: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت. 736هـ)، مؤرخ مصري مملوكي نشأ وعاش في حارة الباطلية في القاهرة. من أهم مؤلفاته **"كنز الدُرر وجامع الغُرر" و"درر التيجان وغرر تواريخ الزمان"**.

والمعلومات عن هذه الطائفة قليلة ولكنها تبدأ مرتبطة بحملة البرنس «أرناط» حسب ما ورد في رسالة «صلاح الدين الأيوبي» إلي الخليفة العباسي في بغداد. يقول نص الرسالة إن هدف «أرناط» هو (أن يمنع الحاج عن حجه ويحول بينه وبين حجه وأخذ تجار اليمن وأكارم عدن ويلم بسواحل الحجاز فيستبيح المحارم ويهيج جزيرة العرب بعظيمة دونها العظائم).

كانت أول إشارة في المصادر المتداولة إلي طائفة التجار الكارمية الذين لعبوا دورًا هامًا في تجارة البحر الأحمر في العصر الأيوبي ترجع إلي سنة 456هـ/1063م عندما أشار «ابن ايبك الدواداري»[146] إلي تأخر التجار وانقطاع الكارمية وذلك زمن الخليفة المستنصر الفاطمي بسبب حوادث الشدة المستنصرية، وهذا دليل واضح علي أن نشاط التجار الكارمية بدأ من العصر الفاطمي إن لم يكن قبل ذلك واستمر طيلة العصر الأيوبي وشطرًا من عصر المماليك.

وغارت الموانئ المنافسة من نجاح عيذاب فتحركت حملة من ميناء جدة لتخريبها في 1118م، ثم قلّت قيمة عيذاب للحج بعد تأمين طريق سيناء بعد طرد الصليبيين في 1267م إلا أنها ظلت مطروقة بالحجاج المغاربة حتى 1348م، ولم يبق من معالم المدينة إلا قطع الفخار والخزف والزجاج والمقابر المبعثرة وبقايا خزانات المياه.

إن ازدهار عيذاب كان وليد اهتمام حكام مصر الإسلامية بالحركة التجارية فى البحر الأحمر وثمرة من ثمراته، فكان أن كفلوا لها الرعاية والحماية ووفروا لها الإدارة القادرة، وقد سبق الإشارة إلي أن أحد شروط

---

[146] الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت. 736هـ)، مؤرخ مصري مملوكي نشأ وعاش في حارة الباطلية في القاهرة. من أهم مؤلفاته "كنز الدُرر وجامع الغُرر" و"درر التيجان وغرر تواريخ الزمان".

اختيار قاضى عيذاب هو مدى قدرة المرشح على القيام بأمر الحجاج والتجار، وكان القضاة مهمومين بأمر التجار.

كان صاحب زكاة عيذاب مسئولاً عن جمع الزكاة من تجار الكريمي، حيث نصّت قوانين الدولة على أن تؤخذ منهم زكاة سنوية فى كل بلدة يتاجرون فيها، وقد كان لتجار الكريمي أنفسهم مؤسسات خاصة بهم، فقد أقاموا فنادق للكريمي على طول الطريق الممتدة من المحيط الهندي إلى البحر الأبيض المتوسط، وكان لهم عدد من الوكلاء وغيرهم يقيمون بصفة دائمة بالثغر. كما كانوا ينفقون أموالاً طائلة على تشييد المنشآت الخيرية والدينية من مدارس وخانات، ..الخ، كما كان كثير من التجار له باع طويل فى الفقه والأدب.

وكانت بضاعة الصين والهند تفرغ في عدن ثم تحملها سفن الداو إلى عيذاب ثم صعيد مصر. وكان تجار عيذاب يدفعون لبضاعة الهند بالذهب أو ببضاعة مصر والمغرب من الحرير والرصاص والنحاس والكيمائيات.

يقول «القلقشندي» في صبح الأعشي إن (ما يؤخذ علي واصل التجار الكارمية من البضائع في بحر القلزم من جهة الحجاز واليمن وما والاهما وذلك بأربعة سواحل بالبحر المذكور وهذه:

1. **الساحل الأول** – عيذاب. وقد كان أكثر السواحل واصلاً لرغبة رؤساء المراكب في التعدية من جدة إليه، وإن كانت باحته متسعة لغزارة الماء وأمْن اللحاق بالشعب الذي ينبت في قعر هذا البحر، ومن هذا الساحل يتوصل إلي قوص بالبضائع ومن قوص إلي فندق الكارم بالفسطاط في بحر النيل.
2. **الساحل الثاني** – القصير وهو في جهة الشمال من عيذاب، وكان يصل إليه بعض المراكب لقربه من قوص وبُعد عيذاب منها، وتحمل البضائع منه إلي قوص، ثم من قوص إلي فندق الكارم بالفسطاط علي ما تقدم، وان لم يبلغ في كثرة الواصل حد عيذاب.

3. **الساحل الثالث**- الطور. وهو ساحل في جانب الرأس الداخل في بحـر القلزم بين عقبة أيلة وبين بر الديار المصرية، وقد كان هذا الساحل كثير الواصل في الزمن المتقدم لرغبة بعض رؤساء المراكب في السير إليه لقرب المراكب فيه من بر الحجار حتى لا يغيب البر عن المسافر فيـه وكثرة المراسي في بره، متى تغير البحر علي صاحب المركب وجـد مَرساة يدخل إليها ثم تُرك قصد هذا الساحل والسفر منه بعد انقـراض بني بدير العباسية التجار، ورغب المسافرون عن السفر فيه لما فيه من الشعب الذي يخشي علي المراكب بسببه، ولذلك لا يسافر فيه إلا نهارًا، وبقي علي ذلك إلي حدود سنة ثمانين وسـبعمائة فغمَـرَ فيـه الأميـر «صلاح الدين بن عرام»، وهو يومئذ حاجب الحجاب بالديار المصرية مَرْكبا وسَفَّرَها ثم أتبعها بمركب آخر فجسَر الناس علـي السـفر فيـه وعمروا المراكب فيه ووصلت إليه مراكب اليمن بالبضائع ورُفضـت (عيذاب) والقصير وحصل بواسطة ذلك حمل الغـلال إلـي الحجـاز وغَزُرت فوائد التجار في حمل الحنطة إليه.
4. **الساحل الرابع** – السويس. علي القرب من مدينة القلزم الخراب بساحل الديار المصرية وهو أقرب السواحل إلـي القـاهرة والفسـطاط إلا أن الدخول إليه نادر والعمدة علي ساحل الطور كما تقدم).

لقد حقق الكارمية مكانة كبيرة في العصور الوسطي، خاصة الفـاطمي والأيوبي والمملوكي، وفي عهد سلاطين المماليك الجراكسة (784-923هـ) تأثرت تجارتهم نتيجة للسياسة الاحتكارية التي اتبعوها، فاحتكر السلطان التجارة الشرقية، وتبعه رجال الدولة الذين احتكروا لأنفسهم سلعًا أخري، ونتج عن ذلك انهيار التجارة الكارمية، ثم انهيارهم أيضا كطبقة اجتماعية متميزة.

كانت عيذاب على اتصال تجارى وثيق بمملكتي المقرة وعلوة[147]. فقد ذكر الجغرافي «اليعقوبى» نحو نهاية القرن التاسع أن العاج كان إحدى السلع التي تشحن من ميناء عيذاب إلى جانب التبر وأن هناك طريقًا للقوافل بين وادي العلاقي وعلوة، وأكد «ابن جبير» و«ابن بطوطة» أن العنصر السائد بعيذاب هو العنصر المحلى من بجا ونوبة[148]..بل إن بعض عمّال الثغر آنذاك ربما تم اختيارهم من العناصر المحلية، فقد ذكر «المقريزى» في النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي أنه التقى بقاضٍ من عيذاب بالقاهرة وكان أسود اللون.

ويجب أن لا ننسى أن سقوط مملكة المقرة على أيدي المسلمين في الشطر الأول من القرن الرابع عشر الميلادي وإسلام عدد كبير من أهلها قد هيأ من الظروف والملابسات ما يسّر ووثق الاتصال التجاري والثقافي بين دنقلا وعيذاب. فقد ذكر «ليو الأفريقي» أن شطرًا من أهل عيذاب فر إلى دنقلا بعد أن خرّبت القوات المماليكية والسواكنية الثغر. ويغلب الظن أن الذين فروا إلى دنقلا كان قوامهم أهالي المقرة الذين كانوا مقيمين بالثغر كتجار ووكلاء، فكان من الطبيعي أن ييمموا شطر وطنهم بعد خراب عيذاب (بشير، 1979). ومن جانب آخر فإن كانوا قد قاموا بدور كبير في قيام ذلك الاتصال التجاري وتكثيفه

[147] **مملكة علوة:** مملكة سودانية (569م) مسيحية تؤمن بمذهب اليعاقبة، عاصمتها سوبا والتي تقع جنوب الخرطوم، ولا توجد معلومات عنها إلا ما كتبه ابن سليم الأسواني (مثال لكاتب مغمور كان من الممكن ألا نعرف عنه شيئًا لولا بعض الإشارات التي وردت عنه عند المقريزي وابن إياس وغيرهما وتضمنت ذكر مصنفه) .وأبو صالح الأرمني (كاتب مسيحي مصري من أصل أرمني 1177 – 1204م، نسب إليه أنه وضع في أواخر القرن 6هـ كتابًا جمع فيه تاريخ الكنائس والأديرة المصرية). وقد سقطت هذه المملكة عام 1504م علي يد الفونج.

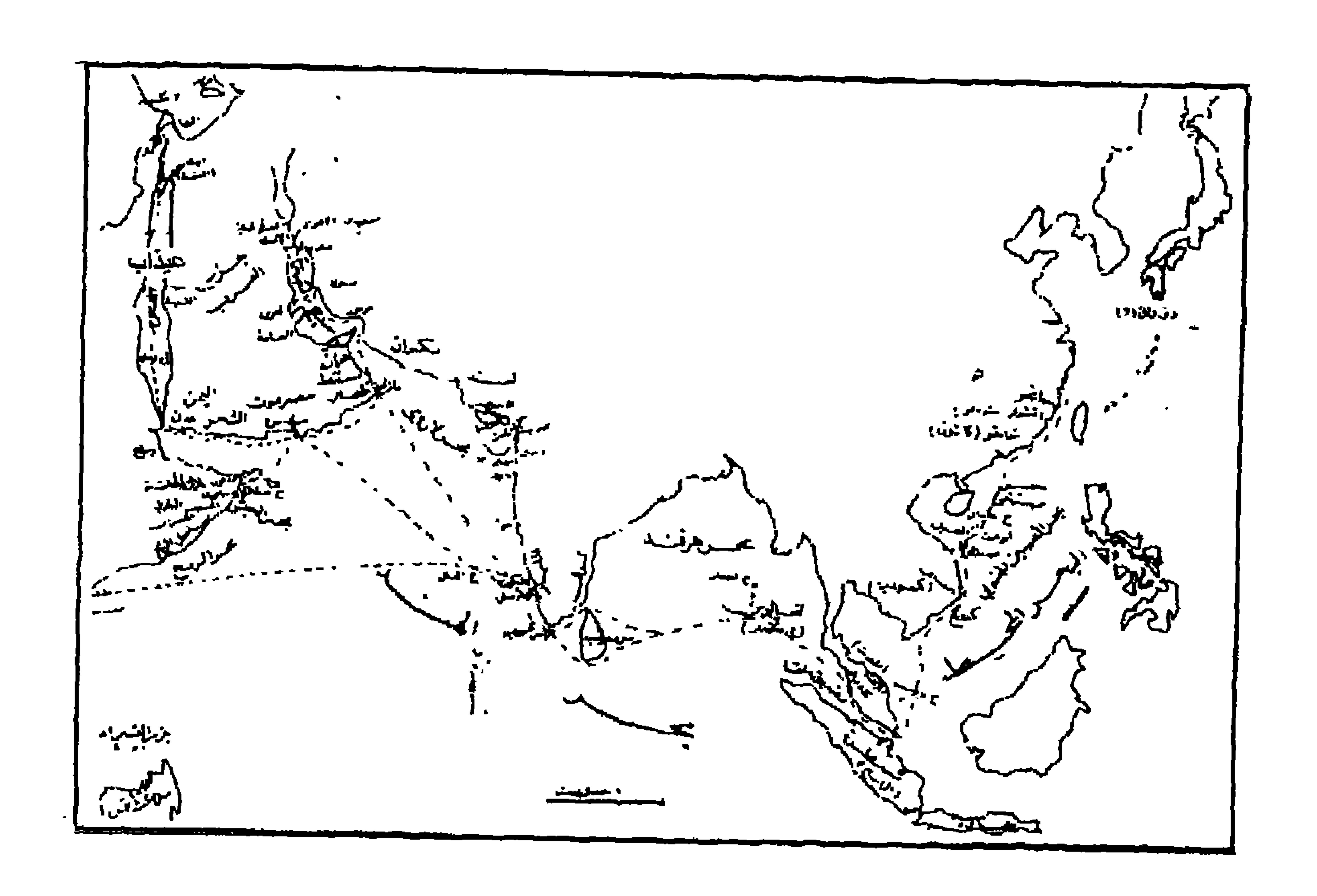
[148] أشار «ابن جبير» إلى النوبة بلفظة حبش.

واتصاله، فقد بادرت قوافلهم وسفنهم للاتجار مع مدن الحجاز وأسوان وقــوص (ابن جبير).

انضم عدد كبير من رجال الدين والعلماء إلي القوافــل التجاريــة إلــى الداخل يحدوهم طلب الغني والثروة أو تســوقهم روح الــدعوة إلــى الإســلام والتبشير بمبادئه، ومن المسلم به أن الاتصال التجاري كان أوفر حظًا وأبعد أثرًا على نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد النوبة من غيره من روافد الاتصال.

التجارة مع الصين عبر ميناء عيذاب

ازدهرت تجارة الصين مع العالم، وأصــبحت مــوانئ بحــر القلــزم، وخصوصًا ميناء عيذاب أهم مراكز التجارة الصينية في شمال وشرق إفريقيــا كما أصبحت مركزًا هامًا من مراكز توزيع الخزف الصيني الذي ينقل من هناك إلى المراكز التجارية داخل مصر والسودان وغــرب إفريقيــا. وقــد ربطــت المصادر العربية القديمة، وأقدمها "مروج الذهب" للمســعودي، مــوانئ مصــر والسودان الشرقية بالصين، حيث أشار «المسعودي» إلى أن أحجــار الزبرجــد الكريمة كانت تستخرج من صحراء عيذاب وتؤخذ إلى الصين عن طريق ميناء عيذاب (شكل 13-1).



شكل (13-1): خريطة توضح الطرق البحرية بين جزيرة العرب وافريقيا -عن طريق عيذاب- وبينها وبين الهند والصين في القرون الوسطي (عبد العليم، 1978).

وإلى جانب المصادر الصينية والعربية قدمت لنا الحفريات والرحلات الاستكشافية الأثرية في جنوب مصر وشمال السودان عددًا كبيرًا من الأدلة على غنى هذه الاتصالات، حيث عثر الأثريون على آلاف القطع من الخزف الصيني الملون في موانئ عيذاب وسواكن وباضع تغطي الفترة من أسرة تانغ الصينية حتى القرن السادس عشر. ويوضح الجدول (13-1) تعاقب الأسر التي حكمت الصين من القرن العاشر حتى القرن السادس عشر الميلادي والذي ازدهرت خلالها التجارة بين الصين والشرق الأوسط عن طريق عيذاب.

جدول (13-1): الأسر التاريخية التي حكمت الصين بدءًا من القرن العاشر الميلادي.

اسم الأسرة	تاريخ الحكم
الأسر الخمس	907 – 960 م / 294 – 349 هـ
سونغ الشمالية	960 – 1127 م / 349 – 521 هـ
سونغ الجنوبية	1127 – 1279 م /521 – 678 هـ
يوان	1279 – 1368 م /678 – 769 هـ
مينغ	1368 – 1644 م / 769 – 1054 هـ
تشينغ	1644 – 1911 م / 1054 – 1329 هـ

وهكذا نرى أن تواصلاً تجاريًا قد استمر بين الصين وجنوب مصر (أرض النوبة المصرية) منذ العصر المروي المتزامن مع أسرة هان الغربية وحتى نهاية القرن الخامس عشر. ويبدو أن هذه التبادلات تعرضت للاضطراب في أواسط القرن الخامس عشر عندما بدأت البوارج الحربية الأوربية سعيها للسيطرة على منافذ التجارة والمواصلات في العالم القديم تمهيدًا لشن حملتهم العدوانية على شعوب آسيا وإفريقيا. وبالفعل قامت البوارج بإحكام سيطرتها على طرق ومنافذ البحر الأحمر والمحيط الهندي لتعوق التبادل التجاري والثقافي السلمي. إلا أنه وبالرغم من هذا الاضطراب الخطير في أعالي البحار استمر نوع من التواصل بين مصر والصين، حيث تشير الاستكشافات في عيذاب إلى خزف صيني عليه رسومات التنين الذي يعود إلى القرن السادس عشر.

كانت أواني الخزف الصيني تُصدر بكميات هائلة بعد الحرير، وحيث إن النقل البحري أكثر سلامة من النقل البري بالنسبة إلى أواني الخزف الصيني القابلة للكسر، فكانت تنقل إلى الغرب بحرًا في غالب الأحيان، وهذا ما جعل بعض الناس يسمي طريق الحرير البحري "طريق الخزف الصيني".

وفي مصر اكتشفت في موقع عيذاب الأثري كسرات من الخزف الصيني الأخضر يعود تاريخه إلى ما قبل أواسط عهد أسرة مينج[149]، وفيها قطعة عليها نقوش باغسبوية[150]. وبدأت أواني الخزف الصيني تدخلها منذ القرن التاسع عن طريق ميناء عيذاب، حيث كانت تنقل إلى المناطق الداخلية في إفريقيا، وإلى الفسطاط المحطة الهامة لتجميع ونقل أواني الخزف الصيني في العصور الوسطى، ومن ثم تنقل مرة أخرى إلى إيطاليا وصقلية وأسبانيا وبلاد المغرب.

وبين الآلاف المؤلفة من كسرات الخزف الصيني التي عثر عليها في حفريات موقع الفسطاط الأثري ما يعود إلى عهد أسرة تانغ من الخزف الصيني الأخضر والخزف الصيني الأبيض؛ وما يعود إلى عهد أسرة سونج[151] من الخزف الصيني اللازوردي، وخزف لونغتشيوان[152] الأخضر – وهو في الغالب سلطانيات مزخرفة بتصاميم اللوتس أو بتصاميم عروق السحب، وأطباق مزخرفة بتصاميم العنقاء، ومغاسل كل منها مزخرفة بتصميم سمكتين؛ وما يعود إلى عهد أسرة يوان[153] من سلطانيات مزخرفة بتصاميم اللوتس وأطباق أو صحون مزخرفة بتصاميم عود الصليب، وأطباق مزخرفة بتصاميم التنينين المتنافسين، وأطباق بتصاميم السمكتين، بالإضافة إلى الأوعية والأفران

---

[149] **أسرة مينج:** (1368-1644م) بُني في عهدها سور الصين العظيم.

[150] **باغسبوية:** هي رموز منغولية جديدة مكتوبة بالأبجدية التبتية من ابتكار باغسبا أستاذ الإمبراطور في عهد أسرة يوان، وقد ألغيت هذه الرموز بعد انقراض أسرة يوان.

[151] **أسرة سونج الملكية:** (960 – 1279م)، كان عدد العرب الوافدين إلى الصين في عهدهم كثيراً، ومعظمهم من التجار.

[152] **لونغتشيوان:** قرية صينية مشهورة بصناعة الخزف الصيني.

[153] **أسرة يوان الملكية:** (1271 ـ 1368م)، في عهدها ازدادت أعداد المسلمين القادمين من البلاد العربية والإسلامية.

والكئوس...الخ. وأخيرًا منها ما يعود إلى عهد أسرة مينج من الخزف الصيني الأزرق والأبيض.

ومن أواني الخزف الصيني القديم التي اكتشفت في حفريات الأقطار العربية ما هو محفوظ في المتاحف بالدول الغربية، ومنها ما هو محفوظ في المتاحف بالأقطار العربية، ففي المتحف المصري بالقاهرة بعض أواني الخزف الصيني أيضًا.

انتقلت صناعة الخزف الصيني إلى بلاد العرب في القرن الحادي عشر، وعلى يد العرب انتقلت إلى البندقية عام 1470م، ومنذ تلك الفترة بالذات بدأت أوربا إنتاج الخزف الصيني. وأخذت مصر في أيام الفاطميين تصنع أواني الخزف على غرار الخزف الصيني ابتداءً من الخزف الصيني الأخضر، ثم الأزرق والأبيض، وقد فعلت ذلك من حيث الأشكال والتصاميم أولا، ثم شكلت المميزات الخاصة بها تدريجيًا. وبلغت مستوى عاليًا جدًا في صناعة الخزف في غضون النصف الأول من القرن الحادي عشر، حيث كانت خزفياتها (تبدو في غاية الجمال والشفافية حتى إن المرء يستطيع أن يرى يده من ورائها)، وأشهر المناطق التي كانت تصنع الخزف المصري هي منطقة الفسطاط بالقاهرة.

كان الخزف الصيني والسلادون من السلع التي يحب الأثرياء العرب اقتناءها وربما بدأ ذلك ابتداء من منتصف القرن الثامن الميلادي، وقد أشار «ابن بطوطة» إلي أن هذه البضاعة كان تصدر من أسواق كانتون[154] في الصين، وهناك دلائل علي أن فيتنام كانت مركزًا لصناعة وتصدير الخزف

[154] **كانتون:** معرض الصين الشهير الذي يقام مرة كل 6 أشهر في مدينة كانتون (كوانغزو). يشمل المعرض كافة المنتجات الصناعية ويؤمه التجار والصناعيين من كافة أقطاب العالم، كما يعتبر من أكثر المعارض استقطابا للتجار العرب.

ويقول «ياقوت الحموي» إن الخزف كان يأتي من يافا (فلسطين) في القرن الثالث عشر.

ليس هناك شك في أن الصينيين كانوا بحارة مهرة ومنهم بزغ الملاح "منج" الصيني الشهير «زينج هي[155]» والذي كانت له شهرة تماثل شهرة «كولومبس» و«فاسكو دا جاما». كان أسطوله الصغير مشهورًا بسفنه القوية والتي كان يصل طولها إلي حوالي خمسة أمثال سفينة كولومبو "سانتا ماريا".

اكتشف «زينج هي» جنوب بحر الصين والمحيط الهندي وفي احدي المرات وصل إلي شواطئ شرق إفريقيا كما وصل إلي ميناء جدة، وبالرغم من معرفته الوثيقة بالخليج الفارسي فإن البحر الأحمر لم يكن مجالاً لرحلاته، فلا يوجد أي ذكر لعيذاب أو مصر في المراجع الصينية.

وبالرغم من أن السفن الصينية كانت بدون شك قادرة علي الإبحار في البحر الأحمر إلا أنه نادرًا ما فعلت ذلك، ومن ناحية أخري. كان تجار الكريمي يتاجرون في الصين وبعضهم زارها أكثر من مرة، وكانت عيذاب واحدة من أهم مراكز التوزيع.

والمكان الوحيد الذي كان يضاهي عيذاب في كمية الخزف الصيني هي منطقة "جزيرة سعد الدين"[156] في بلاد الصومال.

---

[155] **زينج هي**: رحالة صيني مسلم ولد عام 1371م. تعلم اللغة العربية وتحدثها بطلاقة، وتعرف على مدن الشرق وجغرافيتها وعادات شعوبها، وصل إلى جنوب إفريقيا والخليج العربي والمحيط الهندي، وساهم في نقل حضارة شعب الصين إلى الجزيرة العربية فضلاً عن نقل البضائع الصينية مثل الحرير واللؤلؤ، كما ساهم في التعريف بعادات الشعب الصيني وانتشار الإسلام.

[156] **جزيرة سعد الدين**: جزيرة السلطان سعد الدين بن حق الدين الثاني أشهر سلاطين الأسرة الحاكمة في الصومال وهو مجاهد عظيم، دام حكمه 30 عامًا وشهد نهضة ثقافية وعلمية.

14- مثلث حلايب

إلامَ الخُلْفُ بينكُمُ إلامَا******وهَذِي الضَّجَةُ الكُبرى عَلاما؟

وفيم يَكيدُ بَعضُكُم لَبعضٍ*****وتُبدونَ العَداوةَوالخِصَاما؟

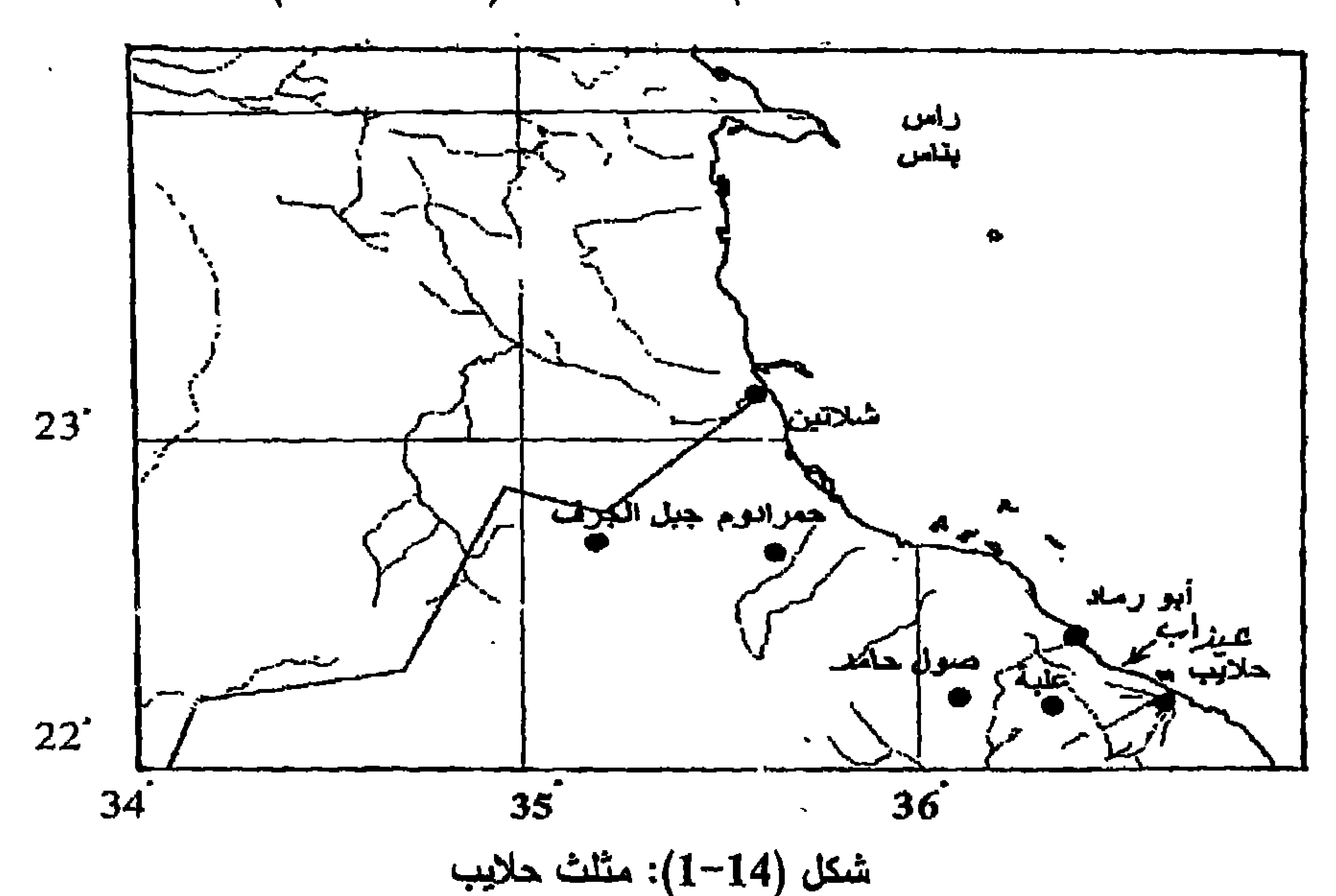
وأين الفوزُ؟ لا مصرُ استقرَّت***على حالٍ ولا السودانُ داما

أمير الشعراء

(أحمد شوقي)

الجذور القديمة للصراع حول حلايب

مثلث حلايب منطقة على البحر الأحمر تقع بين حدود مصر والسودان. توجد بها ثلاث مدن هي حلايب وأبو رماد وشلاتين، وأكبرها هي شلاتين. كانت المنطقة محل نزاع حدودي بين مصر والسودان لمدة طويلة، فالحدود بين مصر والسودان تحددها اتفاقية عام 1899م عند خط عرض (22) وتبعًا لهذه الاتفاقية يقع مثلث حلايب داخل الحدود المصرية. ثم جاءت اتفاقية 1902 التي أبرمها وزير الداخلية المصري «بطرس باشا» مع الحاكم العام البريطاني في السودان بتبعية قبائل البشارية والعبابدة التي تسكن في منطقة حلايب إداريًا للسودان لأن المثلث أقرب للخرطوم منه للقاهرة (شكل 14-1).



شكل (14-1): مثلث حلايب

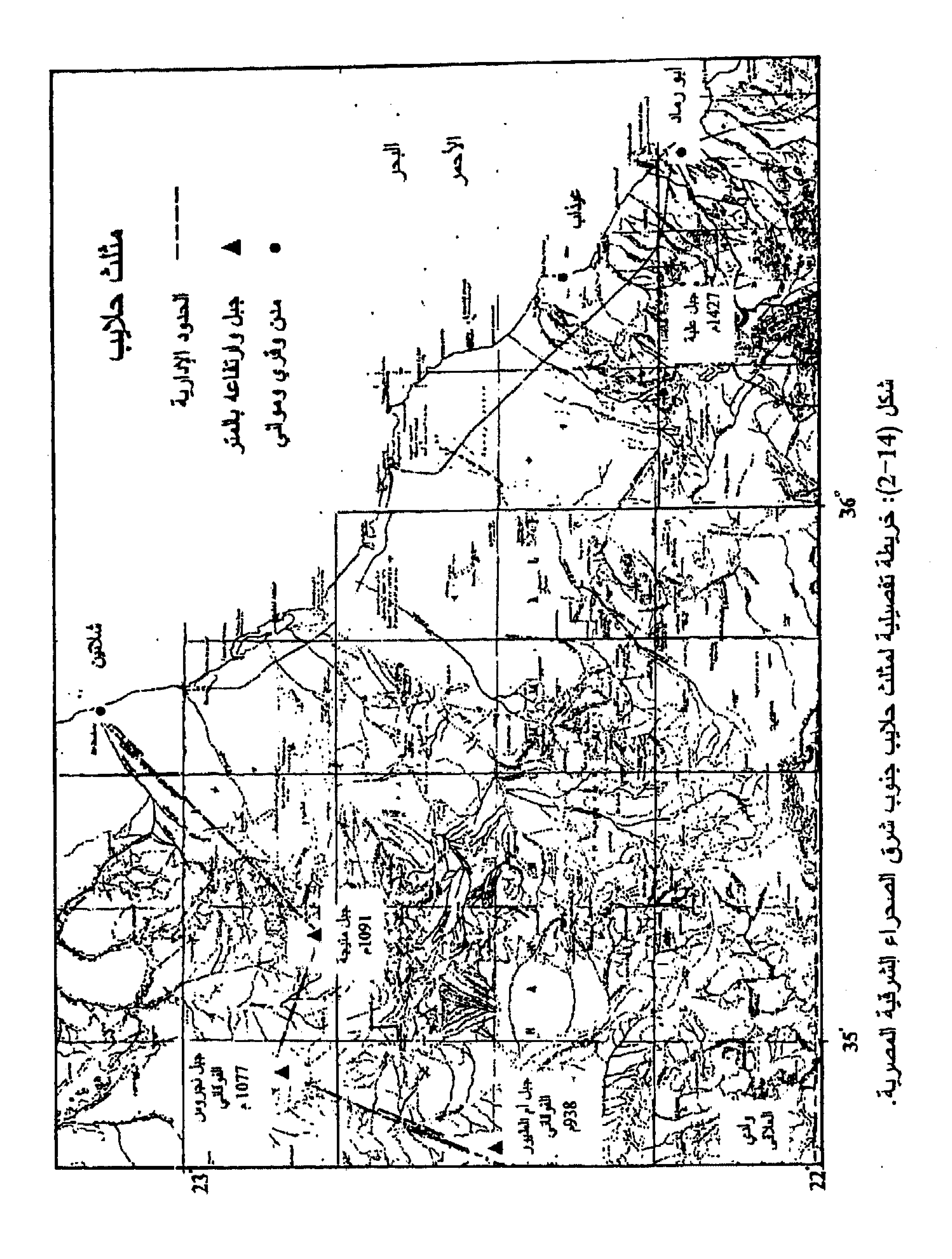
ومثلث حلايب مساحته 20580 كيلومترًا مربعًا يمتد من خط عرض (22) إلى خط عرض (23) أي حتى جبل هدارباب إلى بئر الشلاتين في أقصى الشمال الشرقي لولاية البحر الأحمر، والمنطقة المتنازع عليها بين البلدين الشقيقين تبلغ مساحتها 6450 كيلومترا مربعا.

يقع ميناء عيذاب في المثلث المذكور، ويلخص «أبو الفداء» في جغرافيته النزاع حول عيذاب وما حولها بقوله إنه (قد اُختلف في عيذاب، فبعضهم يري أنها تحد ديار مصر علي وجه تدخل فيه وبعضهم يجعلها من بلاد البجا وبعضهم يجعلها من بلاد الحبشة).

من المعروف أن الاستعمار قبل أن يرحل عن المنطقة العربية وإفريقيا ترك وراءه كثيرًا من مشاكل الحدود بين البلاد، ولو ألقينا نظرة سريعة على خريطة مصر الجنوبية التي مازالت معتمدة دوليًا حتى هذه اللحظة...!!، فسوف نجد خطين للحدود بين مصر والسودان أحدهما تحت اسم الحدود الإداريه والآخر تحت اسم الحدود السياسية.

لم يكن هناك مصري أو سوداني واحد يهتم بخط الحدود عندما كان البلدان دولة واحدة منذ بداية القرن الـــتاسع عشر الميلادي، بل وكانت هذه المنطقة الجنوبية من مصر، والشمالية من السودان أرضًا واحدة إلى أن فرّق بينهما الاستعمار البريطاني.

ونشأت مشكلة الحدود الجنوبية، بعد أن قامت القوات المصرية، تحت القيادة البريطانية، باسترجاع السودان بعد فشل الثورة المهدية، وقامت إدارة مصرية ــ بريطانية مشتركة للسودان، الذي كان يطلق عليه اسم "السودان المصري ــ الإنجليزي" وتم تحديد حدود مصر الجنوبية مع خط عرض (22) شمالاً (شكل 14-2).



شكل (2-14): خريطة تفصيلية لمثلث حلايب جنوب شرق الصحراء الشرقية المصرية.

ولكن نظرًا لوجود علاقات اجتماعية وقبائل تتحرك على جانبي خط الحدود، أرسل محافظ أسوان المصري رسالة وقرارًا إلى محافظ شمال السودان يسمح بحركة القبائل على خط الحدود فيما سمى «الحدود الإدارية» وشمل هذا القرار منطقتين الأولى على البحر الأحمر فيما عرف باسم مثلث حلايب «أي

حلايب والشلاتين[157] وأبو رماد[158]» والثانية على مجرى النيل عند وادي حلفا لتسهيل تحرك المواطنين إداريًا.

واستمرت المنطقة تعرف هذه الحدود الإدارية، ولكن مع التمسك بالحدود السياسية التي يحدّها خط عرض 22° شمالا وشرعت مصر في توفير الخدمات ومد الطرق إلى هذه المنطقة التي أصبحت تابعة لمحافظة البحر الأحمر، وأخذت القاهرة تنفّذ بناء المدارس والمستشفيات والمساكن والأسواق، لتعويض سكانها المصريين عما فاتهم تحت الإدارة السودانية (عباس الطرابيلي، جريدة الوفد الجديد القاهرية).

وهكذا عاد مثلث حلايب إلى أحضان مصر منذ سنوات، وكان مثار مشاكل بين القاهرة والخرطوم واستقرت أوضاعه وطنيًا وجغرافيًا ولكن للأسف مازالت هناك خرائط عديدة، معظمها أجنبي وبعضها للأسف عربي تدخل مثلث حلايب ضمن الحدود السودانية بالمخالفة للحقائق السيادية والوطنية. ومن حقنا أن نطالب المنظمات الدولية والإقليمية باحترام السيادة المصرية.

والمعلوم أن آخر ملك حكم مصر قبل ثورة 1952 كان ملكًا لمصر والسودان.. أما عن حكمة التقسيم فقد حدث في بداية حكم الملك .«فؤاد»، وتتلخص في أن قبائل البشارية والعبابدة كانت تتنقل بحرية داخل الحدود السياسية السودانية والمصرية لرعى الأغنام، ولإحكام السيطرة الإدارية على تلك القبائل تم وضع مثلث حلايب تحت الإشراف الإداري لمديرية أمن

---

[157] **الشلاتين**: وتقع جنوب برنيس بنحو 100 كيلو متر وهي أكبر مدينة بعد القصير ومرسي علم في جنوب البحر الأحمر ويبدأ منها تجمع البشارية، وتشتهر المدينة بأنها مركز تجاري هام بين مصر والسودان وبها أكبر سوق للجمال، ويعمل أهلها بالرعي والتجارة والصيد، واسم الشلاتين يرجع إلى اللغة البجاوية التي يتحدث بها أهل المنطقة.

[158] أبو رماد: وتقع جنوب مدينة الشلاتين وهي مدينة (أو قرية) ساحلية يعمل أهلها بالرعي والصيد وكانت بها شركات للتعدين تابعة للحكومة المصرية وبها خام المنجنيز والذي شبهه الأهالي بالرماد.

بورسودان. ونفس الشيء حدث في جنوب العلاقي لضمان حرية تنقل قبائل البشارية فتم وضع جزء من جنوب العلاقي الواقع داخل الحدود السياسية تحت الإشراف الإداري لمديرية أمن أسوان.

وكانت هناك شركة مصرية اسمها شركة علبة للتعدين تقوم باستغلال خام المنجنيز بترخيص من الهيئة المصرية العامة للمساحة الجيولوجية المسئولة عن إصدار كافة تراخيص البحث والاستغلال للخامات والمعادن في مصر. وكان المواطنون في هذه المنطقة يتنقلون بحريتهم ومعظمهم يحملون بطاقتين أحدهما بالجنسية المصرية والأخرى بالجنسية السودانية إلى أن فوجئ العاملون بالشركة بإنشاء نقطة شرطة سودانية في أبو رماد وكان أفرادها يسهرون مع العاملين بالشركة ويشربون ويأكلون معهم، وفي يوم من الأيام أبلغت الشرطة العاملين بالشركة أنها تأسف لتنفيذ تعليمات وصلتها من القيادة السودانية ملخصها أن من حق المصريين العمل والتنقل بحرية ولكن ليس من حقهم نقل أي منتجات لمصر إلا بعد السماح من السلطات السودانية المختصة. وبدأت المشكلة، ودون الدخول في أي تفاصيل دخل الجيش السوداني، فدخل الجيش المصري، وتشير المذكرات التي كان يسجلها بعض المقيمين أن رجال الجيشين كانوا أصدقاء وليسوا مقاتلين، والرصاصة الوحيدة التي أطلقت – وكانت على سبيل الخطأ – أصابت قدم أحد المديرين المدنيين، ومع ذلك كانت الأوامر مشددة بأن يستمر إمداد الإخوة السودانيين بكل احتياجاتهم من المياه والطعام، وحاليًا يوجد في أبو رماد قسم شرطة مصري ومكاتب بريد وتليفون مصرية في حلايب كما تم بناء وحدة صحية كاملة في ميناء أبو رماد.

وفي عام 1958م قامت مصر بإرسال قوات إلى المنطقة ولكنها سحبتها بعد فترة قصيرة،.وفي عام 1992م اعترضت مصر على إعطاء حكومة السودان حقوق التنقيب عن البترول في المياه المقابلة لمثلث حلايب لشركة كندية فقامت الشركة بالانسحاب حتى يتم الفصل في مسألة السيادة على المنطقة. وبعد

فترة وجيزة سحب البلدان الشقيقان قواتِهما من المنطقة في التسعينات وتمارس مصر سيادتها على المنطقة وتديرها وتستثمر فيها منذ ذلك الوقت.

خلفية النزاع

بدأ النزاع الحدودي بين مصر والسودان حول مثلث حلايب في ينـاير 1959م عندما أرسلت الحكومة المصرية مذكرة للحكومة السودانية أبدت فيهـا اعتراضها على قانون الانتخابات الذي أصدره السودان في 27 فبراير 1958م بحجة أن القانون يخالف اتفاقية 1899م بشأن الحدود المشتركة بحكم أنه أدخـل المنطقة الواقعة شمال وادي حلفا والمنطقة المحيطة بحلايب وشـلاتين ضـمن الدوائر الانتخابية السودانية الأمر الذي أدى إلى مطالبة جماهير مصر بحقها في هذه المناطق التي يقوم بإدارتها السودان شمال خط عرض 22°، وكانت تلك هي المرة الأولى التي أعلن فيها النزاع رسميًا على مثلـث حلايـب، وظـل هـذا النزاع يتجدد من حين لآخر ففي عام 1993 م بعد حصول مصر على المثلـث في إطار الضغوط الإقليمية والدولية والحصار المعلن على السودان تجدد النزاع لاحقًا بعد اتهامات الحكومة المصرية للسودان بدعم المتطرفين ضـد الحكومـة المصرية وضم مدارس البعثة التعليمية.المصـرية لـوزارة التربيـة والتعلـيم السودانية.

وفي عام 1995م شهد البلدان توترًا جديدًا عقب اتهام الحكومة المصرية للسودان بتدبير حادثة اغتيال الرئيس المصري «حسني مبـارك» وفـي عـام 1997م تبلورت بعض المعطيات السياسية التي ساعدت في تطبيع العلاقات بين الأخوين، وفي ظل هذه الظروف غضّت الحكومة السودانية النظر عن موضوع حلايب كخطوة في اتجاه الآثار السلبية لحادثة محاولة اغتيال الرئيس «حسـني مبارك» وتصاعدت الحملة الإعلامية التي قادتها الولايات المتحـدة وبريطانيـا ومصر وإثيوبيا في مجلس الأمن ضد حكومة السودان وصدور قرارات مجلس الأمن رقم (1044)، و(1054)، و(1070) في عام 1996م والتي شكلت معالم

الحركة الدبلوماسية في تلك الفترة وكذلك شهد عام 2002م توترًا بسبب النزاع حول المثلث عقب توقيع اتفاقية مشاكوس[159] حيث أبدت الحكومة المصرية تحفظاتها على حق تقرير المصير الذي منحته الاتفاقية للجنوبيين وكان التعبير عن ذلك واضحًا في تصريحات الرئيس البشير للصحف العربية والتي شدّد بقوله فيها أن حلايب سودانية 100% والسودان لن يتنازل عنها.

إضافة لذلك فإن اتفاقية نيفاشا[160] التي وقعت بين الحكومة والحركة الشعبية عام 2005 م قد خلقت أزمة مكتومة بين الخرطوم والقاهرة لم تستطع اتفاقية الحريات الأربع التي لا تزال القاهرة تحتفظ بها كورقة لم تجد حظها من التنفيذ رغم شروع مصر في تنفيذها.

مثلث حلايب (الجرح النازف)

استقرت القوات المصرية جنوبًا حتى وصلت إلى خط العرض (22)° شمال عام 1994م وبالرغم من البيان المشترك بين الخرطوم والقاهرة الذي تم بموجبه اعتبار مثلث حلايب منطقة تكاملية يتم فيها استغلال اقتصادي مشترك لمواردها بين البلدين إلا أن هذا الاتفاق اصطدم باعتراض سلطات الأمن المصرية على دخول فرق التعداد السكاني لمثلث حلايب باعتبار أن حلايب

---

[159] **اتفاقية مشاكوس:** في 18 نوفمبر/ تشرين الثاني 2002م وقعت الحكومة السودانية وحركة الجيش الشعبي لتحرير السودان في مشاكوس بكينيا على وثيقتين، الأولى تقضي بتمديد الهدنة القائمة حتى نهاية مارس/ آذار 2003، والثانية تغطي عددًا من النقاط التي قبل بها الطرفان مبدئيا، وهي تتعلق باقتسام السلطة والثروة، لكن دون الإقرار بأي موقف حاسم بشأنها، واتفق الطرفان على إلغاء تطبيق الشريعة الإسلامية في المناطق التي يقطنها غير المسلمين وإجراء استفتاء في الجنوب على الانفصال أو الوحدة بعد فترة انتقالية مدتها ست سنوات.

[160] **اتفاقية نيفاشا:** في 25 سبتمبرعام 2005م وقّع وفد الحكومة السودانية ووفد الحركة الشعبية لتحرير السودان بمنتجع نيفاشا الكيني اتفاقًا بشأن الترتيبات العسكرية خلال المرحلة الانتقالية، وتنص علي وضع القوات المسلحة للطرفين ووقف إطلاق النار، وإعادة انتشار القوات وبعض الترتيبات الداخلية الأخرى.

جزء لا يتجزأ من السودان كما دأب الرئيس السوداني «البشير» علي إعلانه في خطبه الرسمية في ذلك الوقت.

كانت الحدود بين مصر والسودان قد تم تقنينها ضمن اتفاقية الحكم الثنائي 1899م بين مصر وبريطانيا والتي نصت المادة الأولى منها والخاصة بالحدود الشمالية للسودان على إطلاق لفظ السودان على جميع الأراضي الواقعة جنوب خط عرض 22° درجة شمالاً، إلا أن هذه الاتفاقية عدلت بموجب أوامر محلية أصدرها وزير الداخلية المصري في 26 مارس 1899م و4 نوفمبر 1902م بغرض تعديل الحدود التي تفصل بين مصر والسودان واستمر خط عرض (22) المعدل للأعوام 1899م و1902م و1907م يمثل الحدود السياسية بين مصر والسودان لأكثر من 50 عامًا.

وقد أظهر هذا التعديل نتوءًا للسودان داخل الأراضي المصرية على ضفتي النيل تقدر مساحته بـ (4094) فدانًا شمال خط عرض (22) لكنه انتهى عندما غمرته مياه السد العالي وأظهر أيضا ما يعرف بـ (مثلث حلايب) حيث تمخض عن ذلك التعديل نزاع حدودي بين مصر والسودان ظهر بعد استقلال السودان .إذ طلبت مصر من السودان الرجوع إلى خط عرض 22° شمالاً باعتباره هو الحد السياسي الفاصل بين البلدين وفقًا لاتفاقية 19 يناير 1899م وذكر أن التعديلات التي أجرتها وزارة الداخلية المصرية عام 1902م و1907م في الحدود بين البلدين بوضع المنطقة تحت الإدارة السودانية دون المساس بسيادة مصر.

وقد شهدت منطقة حلايب آخر تعداد لها في عام 1993م أجرته الحكومة السودانية إذ بلغ عدد السكان في ذلك الوقت 100 ألف شخص كما شهدت المنطقة تعدادًا أجرته الحكومة المصرية في عام 2006م.

خلاف قانوني

يصف خبراء العلوم السياسية الخلاف بين مصر والسودان حول مثلث حلايب بأنه خلاف قانوني يتمحور بصفة رئيسية حول التكييف القانوني لاتفاقية 1899م بين مصر وبريطانيا بإنشاء إدارة السودان في المستقبل والأمر القانوني الذي رتبته الإجراءات الإدارية الصادرة من وزارة الداخلية المصرية في 26 مارس 1899م و25 يوليو و4 نوفمبر 1902م على المادة الأولى من الاتفاقية والتي تنص على أن لفظة السودان تطلق على جميع الأراضي الواقعة جنوب خط عرض (22) مما جعل كلا الدولتين تحشدان الأسانيد القانونية التي تؤكد سيادة كل منهما على المنطقة. وبالرغم من أن العولمة قلّلت كثيرًا من الحواجز بين الدول إذ أصبح انتقال البضائع والأفراد والاستثمارات عبر الحدود أمرًا في غاية البساطة عكس ما كان عليه في السابق، إلا أنه كان من ضمن الحلول المقترحة لفض النزاعات بين دول الجوار الإفريقية إيجاد مناطق تكاملية بمعنى جعل مناطق النزاعات مناطق تكامل اقتصادي مشترك بين الدول المتنازعة وهذا ما تم تطبيقه في النزاع بين مصر والسودان على منطقة حلايب إلا أن مصر مازالت تبدي تحفظاتها على هذا الحل. والآن أصبح النزاع بين مصر والسودان معلقًا، وعمومًا وبرغم تطور العلاقات بين البلدين مازال مثلث حلايب خارج السيادة السودانية كما خرج قبله مثلث كرسكو.

الحل: منطقة تكاملية

حاول السودان من جانبه وضع حد لهذه التوترات بسبب النزاع حول المثلث حيث قام الرئيس السوداني بزيارة لمصر في ديسمبر 1999م طرح خلالها حل القضية في إطار أخوي والعمل على اتخاذ حزمة من الإجراءات لتصبح بموجبها مثلث حلايب منطقة تكاملية بين البلدين يتم فيها استغلال اقتصادي مشترك لموارد المنطقة، وصدر بيان مشترك بذلك إلا أن الأمر تطور بعد ذلك مما دعا السودان إلى أن يدفع بالقضية إلى محكمة العدل الدولية بحكم

أنه يمتلك وثائق تثبت تبعية المنطقة الإدارية له التي تم تقنينها بواسطة ميثاق المنظمة الإفريقية الذي نص على اعتماد الحدود الموروثة من عهد الاستعمار حتى يتم تفادي الاحتكاكات بين دول القارة الإفريقية، ولكن مازالت مصر متمسكة باتفاقية 1899م التي تنص على اعتبار خط العرض 22° شمالاً هو الحد الفاصل بين البلدين، وترفض التحكيم الدولي.

والعقلاء من البلدين الشقيقين يعلمون جيدًا أن الأخوة بين السودان ومصر أمر تاريخي ولا يمكن تجاهله وكم حاول الاستعمار أن يدق الأسافين بين البلدين ولكن سرعان ما تعود المياه إلي مجاريها، وقارئ التاريخ الواعي يعلم أنه لا غني لمصر عن السودان ولا غني للسودان عن مصر. وقد بذلت جهود جادة في طريق التكامل بين البلدين ومنها ما تم في أواخر الستينات من القرن الماضي عندما أنشئت شركات مشتركة بين البلدين كانت تبشر بالخير للجميع، ولكن سرعان ما أجهضت هذه المحاولات الجادة ولم يقدر لها أن تستمر. وفي السطور التالية نعرض نموذجًا لبروتوكول التعاون بين مصر والسودان في مجال المياه الجوفية كان يبشر بالخير الوفير للبلدين، ولعلنا نعيد النظر في برنامج طموح بين الشقيقين ونضع له ضمانات النجاح والاستمرار.

نموذج لإنشاء الشركة الإفريقية العربية للمياه الجوفية بين مصر والسودان

إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة وحكومة جمهورية السودان الديمقراطية تنفيذاً لما جاء بالبروتوكول الملحق باتفاق تحقيق التكامل الاقتصادي والتعاون الفني بين الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية السودان الديمقراطية المبرم في الخرطوم في 31 أغسطس سنة 1969م، ورغبة في توثيق الروابط الاقتصادية والتعاون الفني فيما بين البلدين الشقيقين؛ قد اتفقنا على ما يلي:

(المادة الأولى)

تنشأ شركة مشتركة بين هيئة توفير المياه والتنمية الريفية بجمهورية السودان الديمقراطية وشركة الأبحاث والمياه الجوفية "ريجوا" بالجمهورية

العربية المتحدة تحت اسم "الشركة الأفريقية العربية للمياه الجوفية" وتؤسس وفقًا لأحكام قانون الشركات السوداني.

(المادة الثانية)

تكون أغراض هذه الشركة:

1- القيام بأعمال المياه الجوفية بجمهورية السودان الديمقراطية وغيرها من البلدان.

2- القيام بأي أعمال تستلزمها طبيعة نشاط هذه الشركة.

(المادة الثالثة)

مدة الشركة

مدة هذه الشركة 25 سنة قابلة للتجديد، تبدأ من تاريخ تسجيل الشركة.

(المادة الرابعة)

مركز الشركة

يكون مركز الشركة الرئيسي مدينة الخرطوم، ويجوز لمجلس الإدارة أن ينشئ لها فروعًا أو وكالات داخل وخارج جمهورية السودان الديمقراطية.

(المادة الخامسة)

رأس مال الشركة

1) رأس مال هذه الشركة محدد بمبلغ مليون جنيه سوداني.
2) يجوز للشركة أن تزيد رأس مالها كما لها أن تقترض بما يمكنها من تحقيق أغراضها.
3) تكون نسبة مساهمة الجانب السوداني في رأس مال الشركة 51% وتكون نسبة مساهمة الجانب العربي في رأس مال الشركة 49%.
4) يدفع كل جانب 80% من حصته في رأس مال الشركة عينًا (آلات حفر ومعدات ووسائل نقل وغيرها) على أن يتم تقدير قيمتها على النحو الذي يتفق عليه الطرفان.
5) يؤدى الجانب العربي باقي حصته في رأس مال الشركة في صورة مبلغ وخدمات يتولى تصديرها إلى جمهورية السودان الديمقراطية.
6) يؤدى الجانب السوداني باقي حصته في رأس مال الشركة نقدًا أو عينًا أو خدمات.

7) تسجيل حصة الجانب العربي في رأس مال الشركة وفقًا لقانون رقابة النقد في جمهورية السودان الديمقراطية وتعتبر الحصة العينية المقدمة من الجانب العربي والمشار إليها في البند الرابع كرأس مال أجنبي وارد بالعملة الحرة ويترتب على ذلك حق تحويل الأرباح وناتج الشفرة أو البيع.

(المادة السادسة)

إدارة الشركة

يدير الشركة مجلس إدارة مكون من خمسة أعضاء يعينون بقرار من حكومتيها لمدة سنتين قابلة للتجديد، على أن يمثل الجانب السوداني ثلاثة أعضاء وأن يمثل الجانب العربي بعضوين وذلك بالإضافة إلى رئيس مجلس الإدارة ونائبه. وتكون رئاسة مجلس الإدارة بالتناوب بين الجانبين على أن يكون نائب رئيس مجلس الإدارة من الجانب الآخر.

(المادة السابعة)

إدراكًا لأهمية تنفيذ مشروع محاربة العطش في جمهورية السودان الديمقراطية تبدى الجمهورية العربية المتحدة استعدادها لتقديم التسهيلات الائتمانية اللازمة في حدود إمكانياتها وذلك لتمويل تنفيذ المشروعات التي يسند تنفيذها إلى الشركة الجديدة في جمهورية السودان الديمقراطية إذا ما تعذر تمويل هذه المشروعات محليًا، أسوة بالشركات الأجنبية التي تعمل فئ ذات المجال تعفى الشركة من دفع الرسوم الجمركية على المعدات والأدوات التي تشتريها أو تستوردها الشركة والمدرجة بالجداول التفصيلية التي يقرر وزير التعاون والتنمية الريفية بجمهورية السودان الديمقراطية أنها لازمة لأعمال توفير المياه، كما تعفى الشركة كوصيفاتها من الضرائب لفترة خمس سنوات تشجيعًا وتمكينًا لها من منافسة الشركات الأجنبية التي تعمل في مجال تخصصها في السودان.

ورغبة في تشجيع الشركة على تحقيق أغراضها، تقوم حكومة السودان الديمقراطية بإعفاء أرباح الشركة من كل قيود النقد.

(المادة الثامنة)

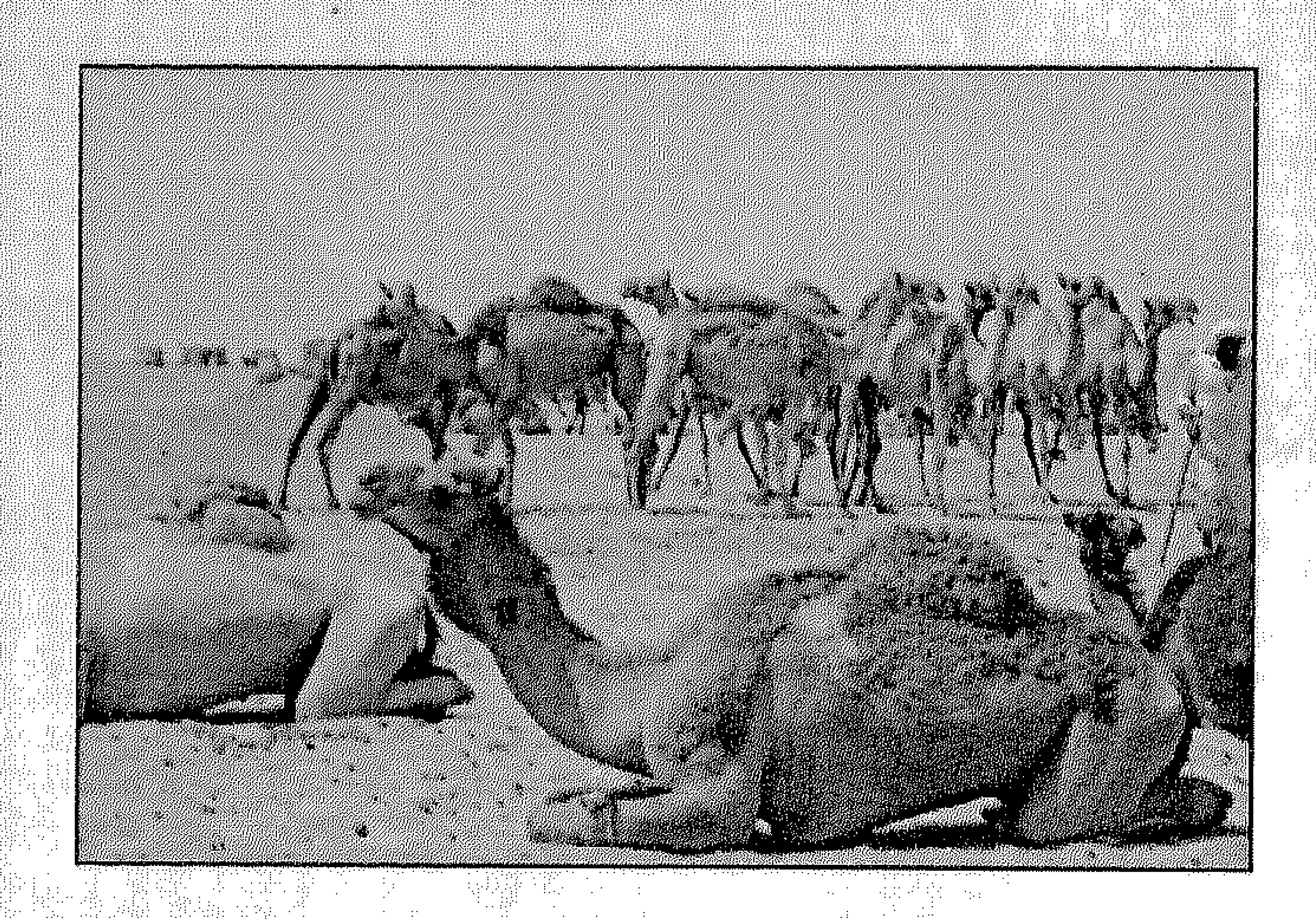
يتم توقيع عقد الشركة وفقًا للأسس السابقة خلال شهر من تاريخ تبـــادل وثائق التصديق على هذا البروتوكول طبقًا للنظم الدستورية السارية في كل من البلدين. ويبدأ نشاط الشركة فور إتمام إجراءات التسجيل وما يتبع ذلك من مـــد الشركة بالفنيين وسداد الحصة العينية المتفق عليها بالسرعة التي تمكن الشركة من البدء في مباشرة نشاطها خلال هذا الموسم. وإثباتًا لما تقدم وقـــع منـــدوبا البلدين هذا البروتوكول بما لكل منهما من سلطة مخولة من حكومته.

حرر بالقاهرة في اليوم التاسع من شهر رجـــب ســـنة 1390 هجريـــة الموافق اليوم الأول من شهر سبتمبر سنة 1970 ميلادية من نسختين أصليتين باللغة العربية.

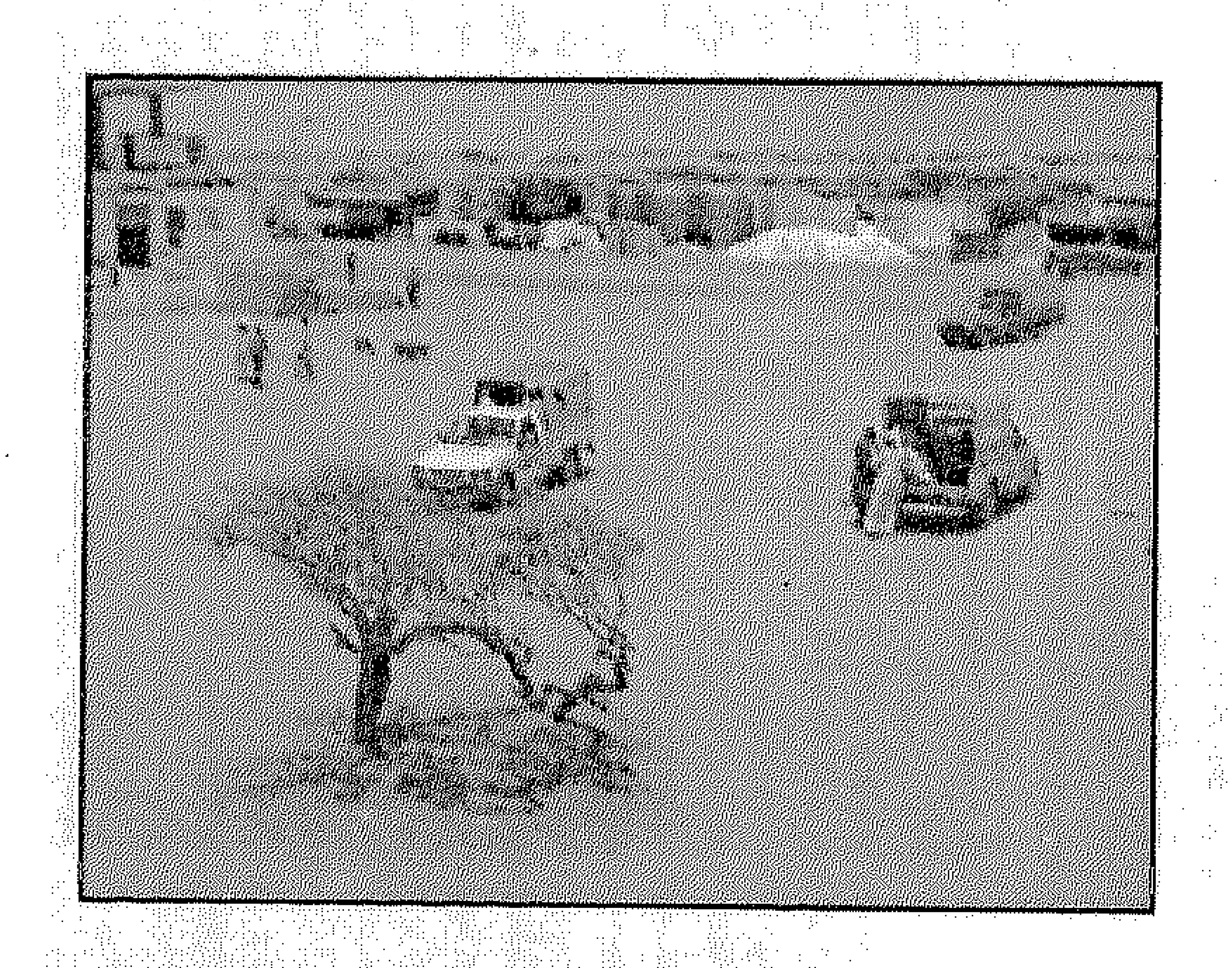
عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة
وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية

عن حكومة جمهورية السودان الديمقراطية
وزير الصناعة والثروة المعدنية

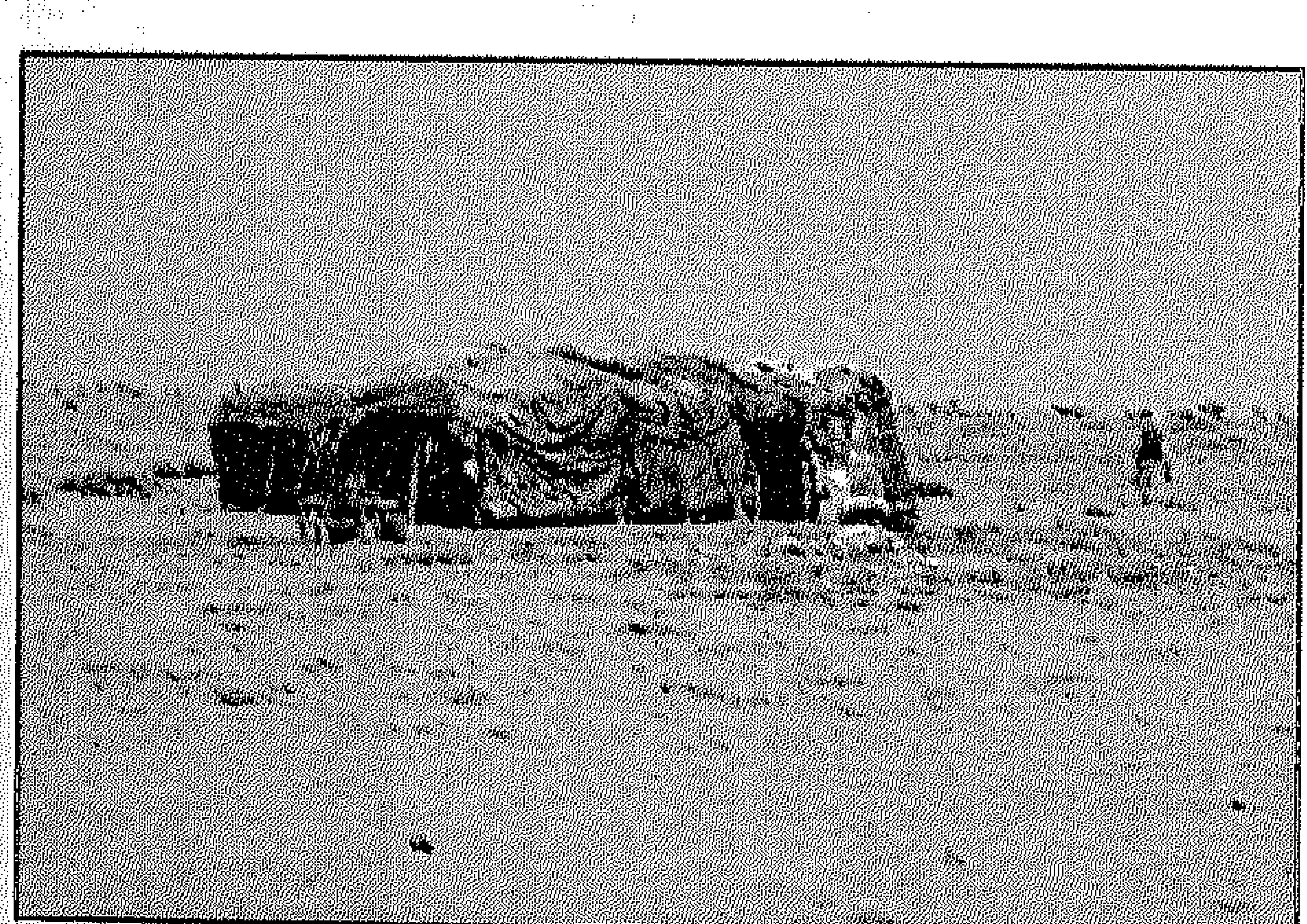
15 - اللوحات

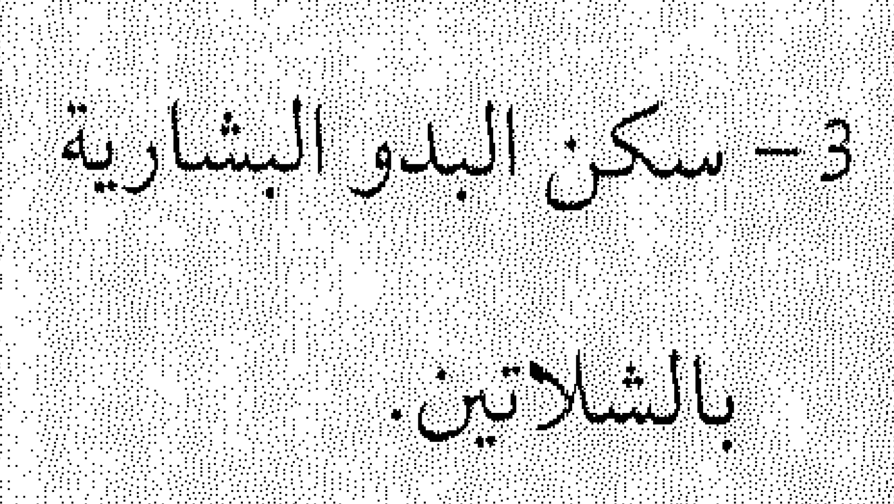


1- سوق الجمال في شلاتين.

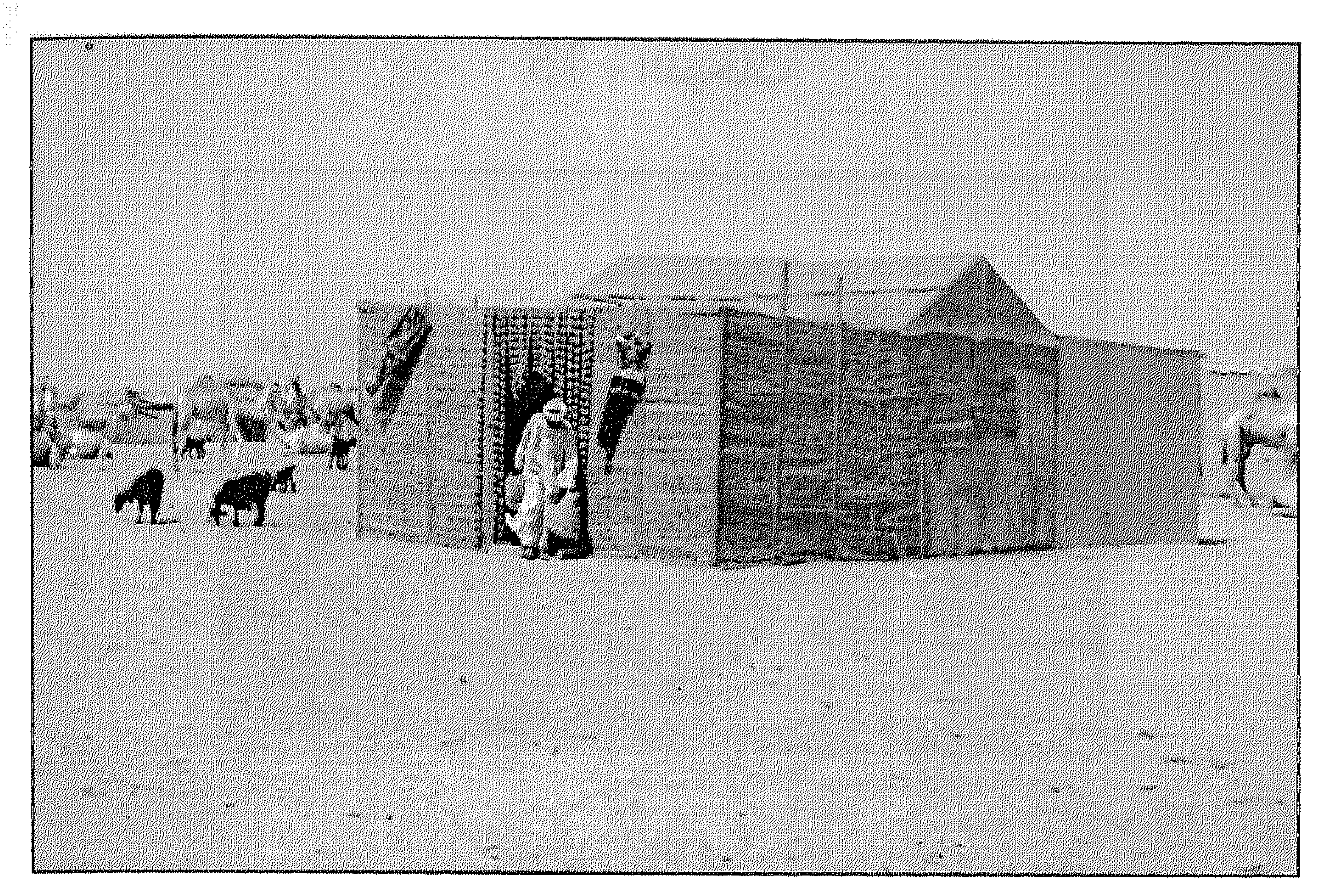


2- بعض الهناجر في سوق شلاتين للجمال.

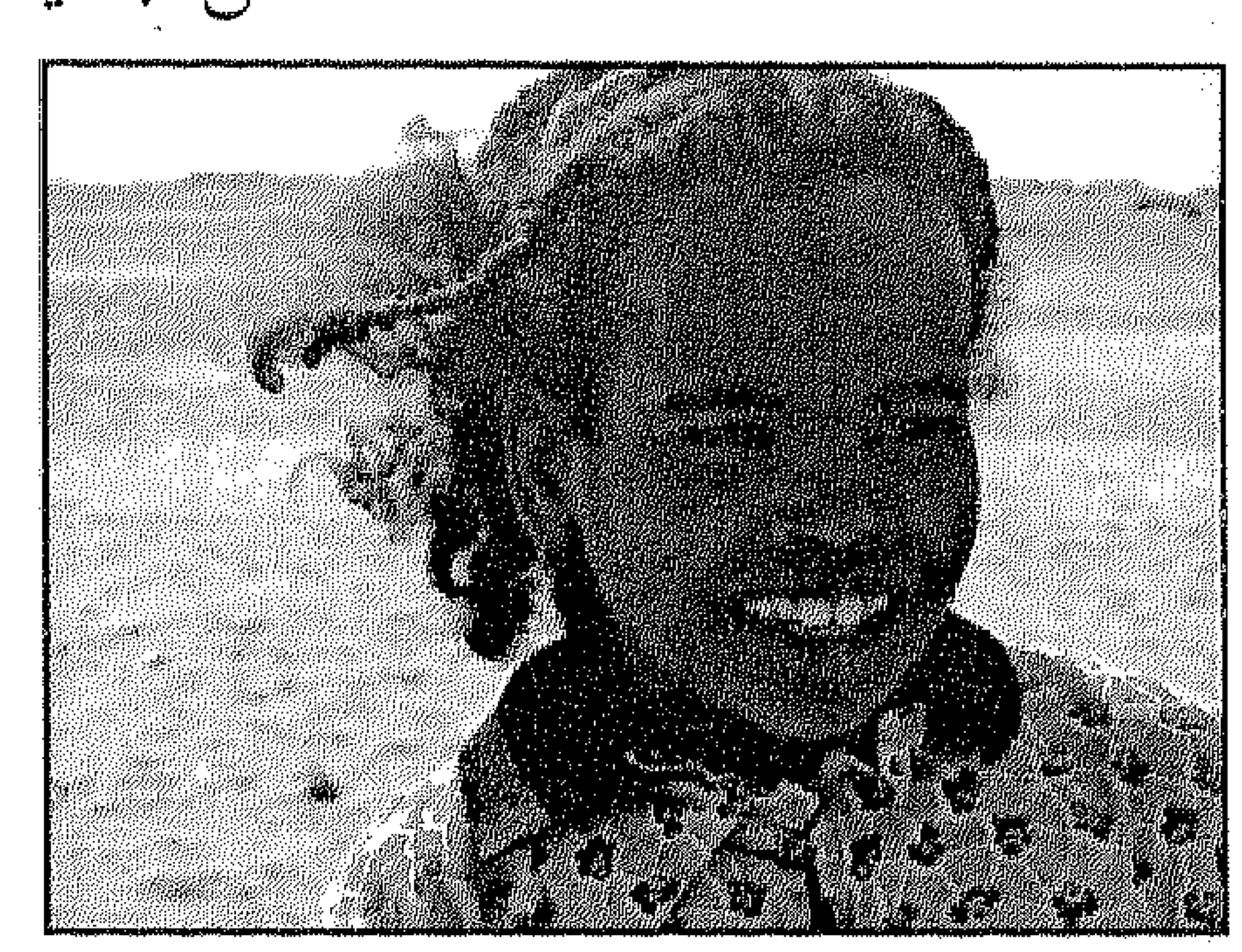




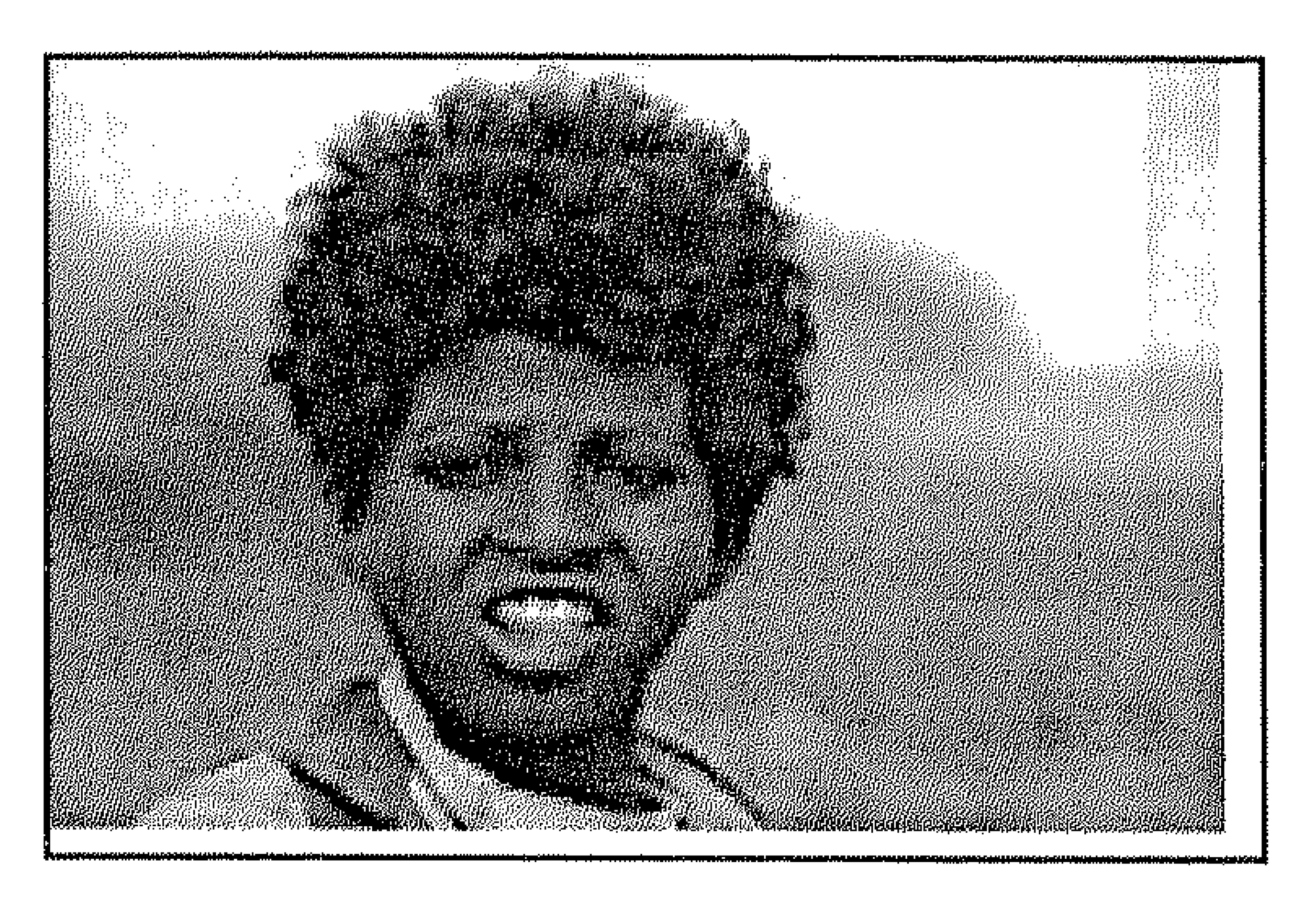
3- سكن البدو البشارية بالشلاتين.



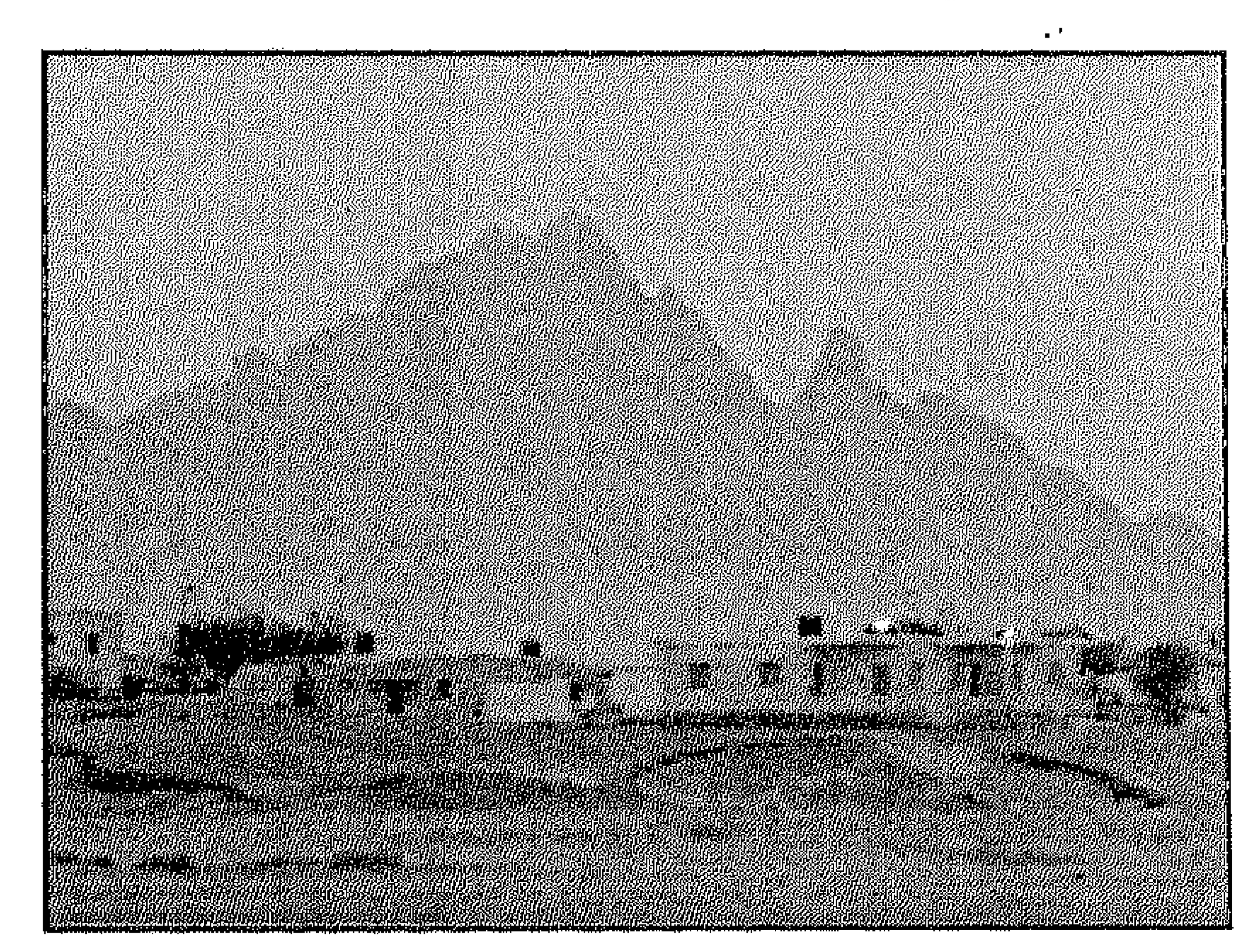
4- مسكن جديد لإيواء أهل الشلاتين.



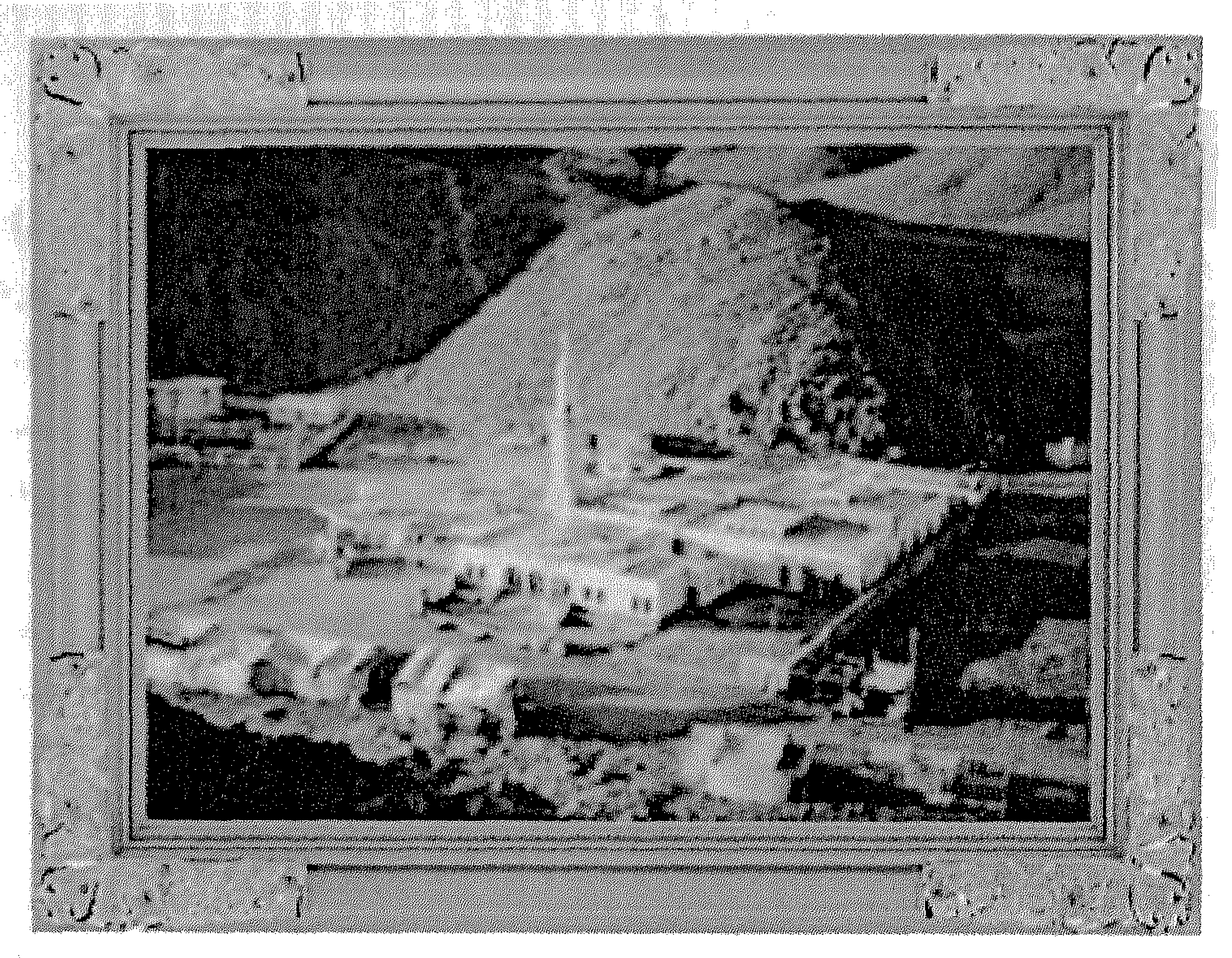
5- فتاة من سكان قرية الشلاتين.



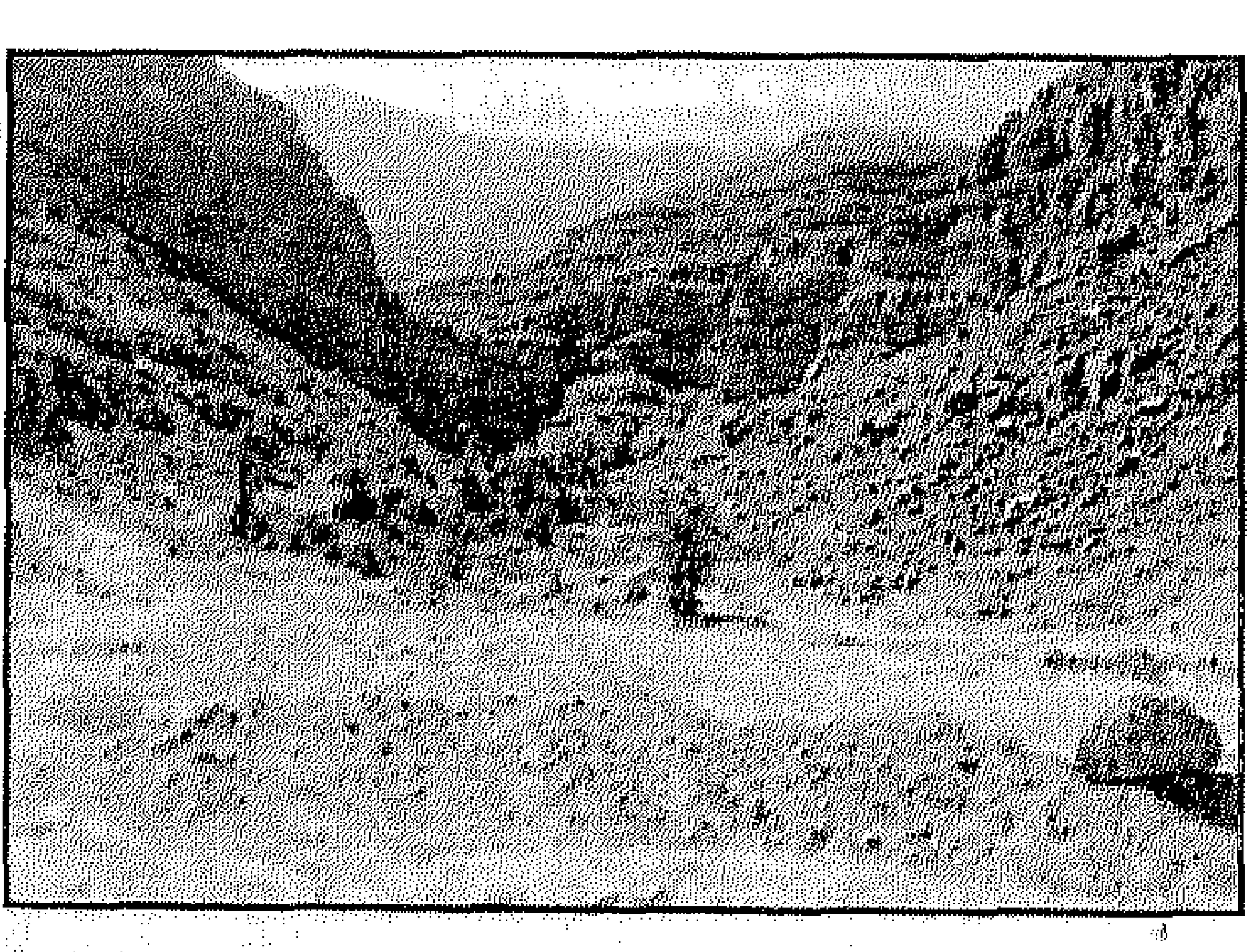
6- صبي من سكان جبل علبة.



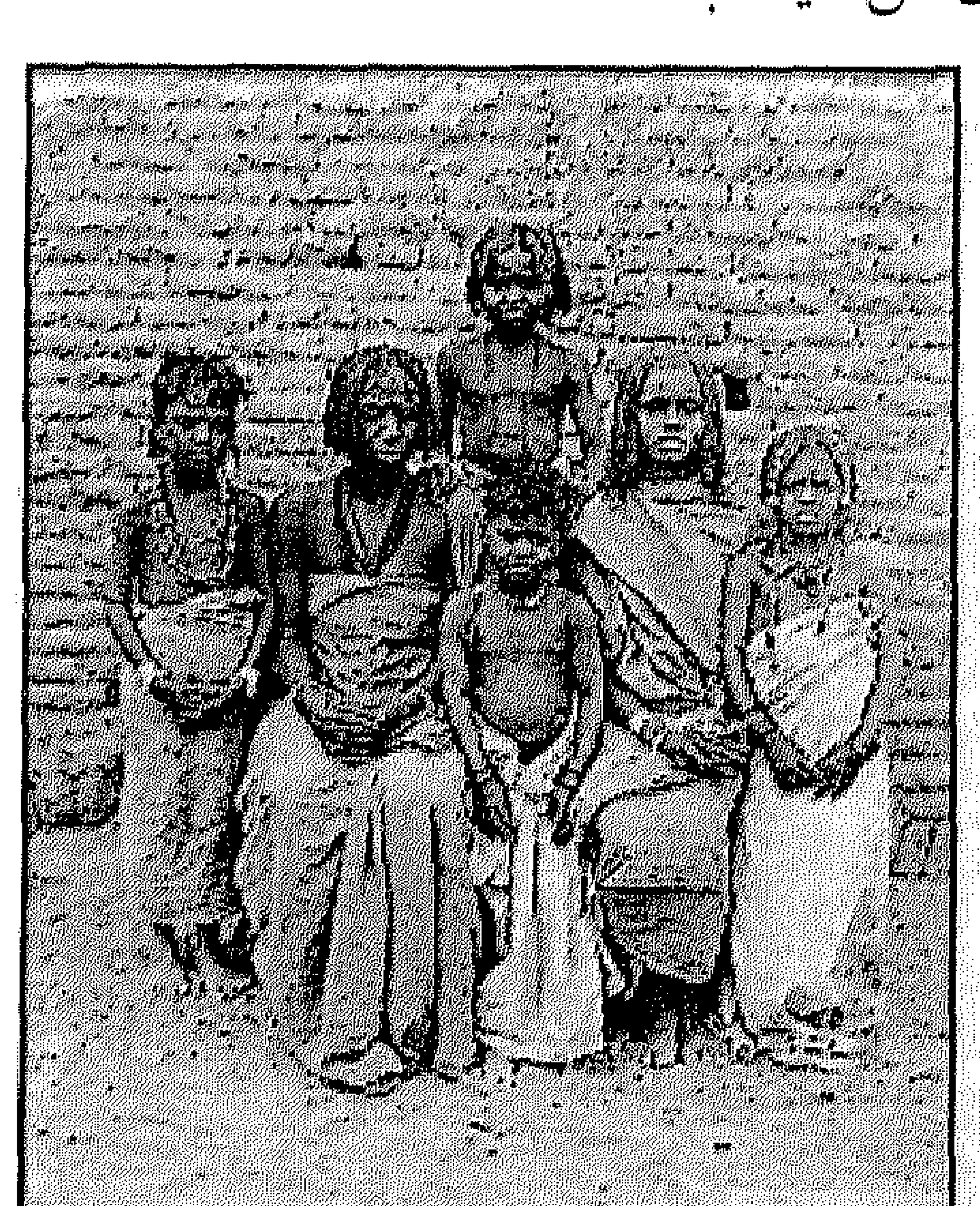
7- مدينة الشلاتين.



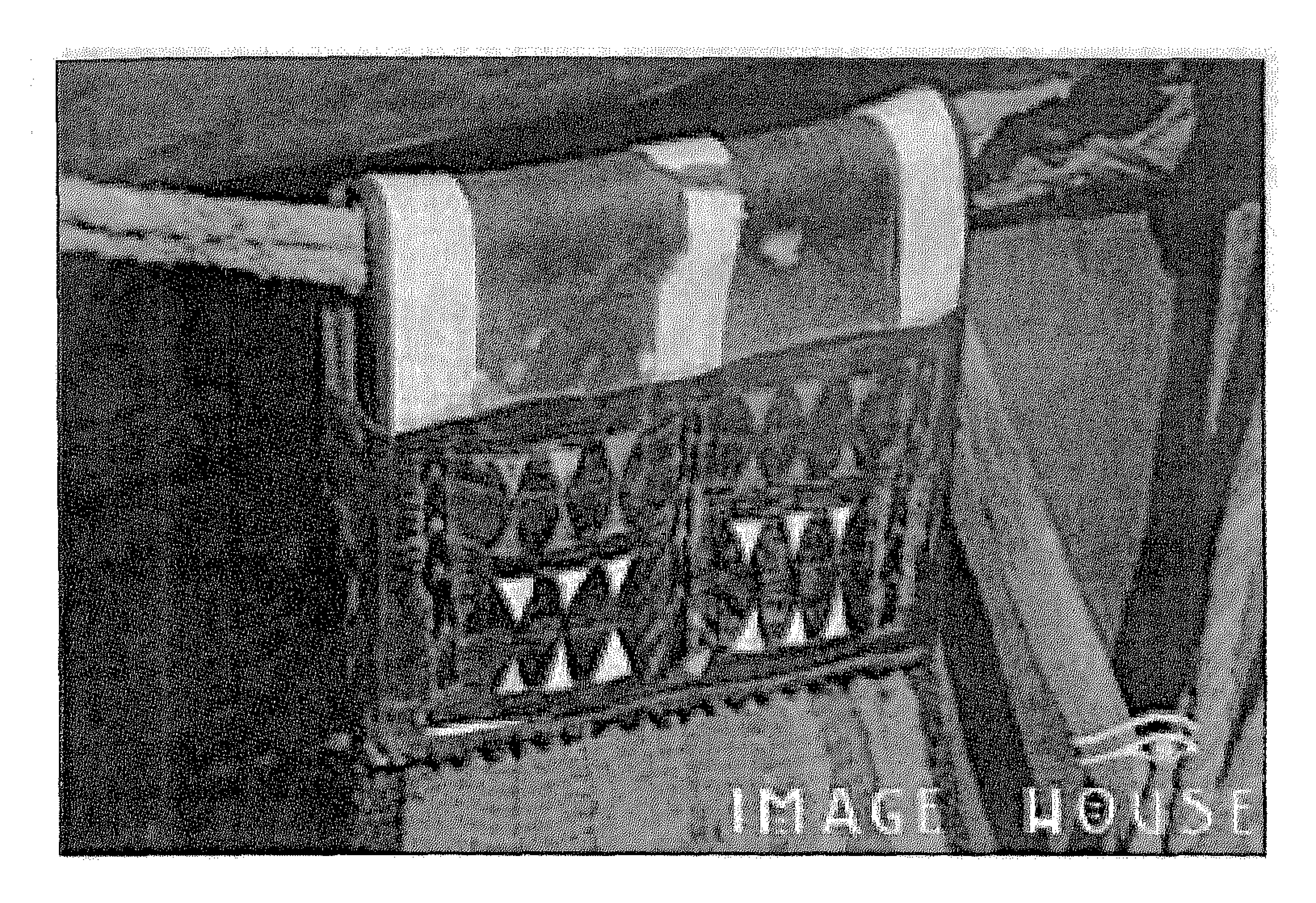
8- مقام ومسجد سيدي أبي الحسن الشاذلي بوادي حميثرا
على مسيرة يومين من عيذاب.



9- صحراء حلايب.



10- أسرة من قبيلة البشارية
تسكن بالقرب من عيذاب.



11- مشغولات جلدية صنع نساء بشارية.



12- احتفال بزفاف.

16- المراجع

1. **ابن الجيعان، شرف الدين أبو زكريا يحيي بن شـاكر** (ت. 885هـ / 1480م): التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية. نشرة مكتبة الكليات الأزهرية 1974م والنشرة مصورة عن طبعة بولاق 1316هـ / 1898م، كما جاء في آخر الكتاب ص 196.
2. **ابن الوردي، سراج الدين**: عجائب البلدان من خلال مخطـوط "خريـدة العجائـب وفريدة العجائب" تحقيق : أنور محمود زناتي – نشر مكتبة الثقافة الدينية، القـاهرة، طبع 2007م.
3. **ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي**: تحفة النظـار فـي غرائـب الأمصار وعجائب الأسفار(جزآن) والمعروف (برحلـة ابـن بطّوطـة)، المكتبـة التجاريّة الكبرى، القاهرة، مصر، طبعة 1967م.
4. **ابن جبير، محمد بن أحمد**: الرحلة المسماة تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت – مصر طبعة 2003م.
5. **ابن حوقل، أبو القاسم** (القرن الرابع الهجري): "مسالك الممالك". طبع فـي مدينـة ليدن بهولندا بمطابع بريل 1873م.
6. **ابن خلدون، عبد الرحمن**: مقدمة ابن خلدون (ألفها 1377م). دار الكتب العلميـة، القاهرة طبعة 1999م.
7. **أبو خليل، شوقي** (2002): الأطلس العربي الإسلامي. الطبعة الخامسة. دار الفكر، دمشق.
8. **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي** (ت 808هـ/1405م): "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم مـن ذوي السـلطان الأكبر"، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
9. **أبو الفدا، إسماعيل بن علي الأيوبي** (1848م): جغرافية أبـو الفـدا. ترجمـة م. رينولد، باريس.
10. **الإدريسي، أبو عبـد الله محمـد بـن محمـد بـن عبـد الله بـن إدريـس**، (ت 560هـ/1164م): "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1415هـ/1994م.
11. **الإدفوي، جعفر بن ثعلب**: الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والـرواة بـأعلى الصعيد، المطبعة الجمالية، القاهرة طبعة 1914م.

12. **الإصطخري، أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي** (توفي في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي): "مسالك الممالك" مطبعة بريل، ليدن، 1937م.
13. **أمين، صالح محمد** (1980): تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة د. سنمار البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، القاهرة، جامعة عين شمس.
14. **بسيوني، فؤاد عبد العزيز** (1958): موجز عن الأبحاث التعدينية بمنطقة علبة خلال الموسم الجيولوجي 56 – 1957م. تقرير غير منشور، مصلحة الأبحاث الجيولوجية والتعدينية، وزارة الصناعة، الإقليم المصري، الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة.
15. **بشير إبراهيم بشير** (1979م): عيذاب حياتها الدينية والأدبية. مجلة الدراسات السودانية. جامعة الخرطوم – العدد الثاني، المجلد 5.
16. **البلوي، أبو عبد الله بن محمد المديني** (بدون تاريخ): سيرة أحمد بن طولون- تحقيق. محمد كرد علي- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة.
17. **حسن، يوسف فضل** (1979م): انتشار الإسلام في إفريقيا. طبعة الخرطوم.
18. **حسن، يوسف فضل** (1989م): دراسات في تاريخ السودان وإفريقيا وبلاد العرب، الجزء الثاني، دار جامعة الخرطوم للنشر، الطبعة الأولى.
19. **الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله**: معجم البلدان، أجزاء 7، ط 3، دار صادر، بيروت، كبعة 1995م.
20. **الحِميري**، محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، ترجمة وتحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، طبعة 1984م.
21. **خسرو، ناصر**: سفر نامة. ترجمة وتحقيق: يحيى الخشاب. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، طبع عام 1993م.
22. **دراج، أحمد السيد** (1958م): عيذاب. مجلة نهضة إفريقيا، وزارة الثقافة، العدد التاسع والعاشر (يوليو-أغسطس)، ص. 53-60، القاهرة.
23. **ربيع، حسنين محمد** (1980م): وثائق الجنيزة واهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لمواني الحجاز واليمن في العصور الوسطي. بحث قدم الي الندوة العالمية الاولي لدراسات تاريخ الجزيرة العربية، كلية الآداب، جامعة الرياض.

24. **ربيع، حسنين محمد** (1980م): البحر الأحمر في العصر الأيوبي. سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث. 10-15 مارس 1979، ص. 105-123.
25. **رمزي، محمّد** (1994م): القاموس الجغرافي للبلاد المصريّة من عهد قدماء المصريّين إلي سنة 1945م، القسم الأوّل: البلاد المُنْدَرِسَة. الهيئة المصريّة للكتاب، القاهرة، مصر.
26. **الزاملي، أحمد السيد محمد** (1984م): الموانئ البحرية علي ساحل البحر الأحمر، دراسة في الجغرافيا الاقتصادية, رسالة مقدمة للحصول علي درجة الماجستير في الآداب من قسم الجغرافيا، كنية الآداب،جامعة القاهرة,
27. **زكي، هالة أحمد** (2005م): طرق الحج القديمة تستعيد شبابها. تحقيقات جريدة الأهرام القاهرية. الأربعاء 19 يناير.
28. **سليجمان، شارل جابريل** (1959م): السلالات في إفريقيا. ترجمة يوسف خليل، مكتبة العالم العربي، القاهرة.
29. **سمباج، يوسف** (بدون تاريخ): القاموس النوبي (نوبي – عربي – إنجليزي). مكتبة الشروق.
30. **شقير، نعوم** (1981م): تاريخ السودان. تحقيق وتقديم الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت.
31. **طاهر، محمد** (2006م): مخاوف من زيادة عدد السكان والحاجة المتزايدة للمياه العذبة: «عيذاب» و«سواكن» مثالان صارخان لتأثير ندرة المياه على أفول الحضارات. الشرق الأوسط، جريدة العرب الدولية. السبت 24 ربيع الأول 1427هـ 22 ابريل 2006م العدد 10007.
32. **الطبري، محمد بن جرير** (ت : 310هـ): جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق : محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر ، القاهرة.
33. **الطبري، محمد بن جرير** ، وتاريخ الأمم والملوك "تاريخ الطبري".
34. **الطحلاوي، محمد رجائي جودة** (2007م): أبو الحسن الشاذلي. رحلة الاغتراب..من زغوان إلي عيذاب (الرجل–المكان–الزمان). الطبعة الثانية– منقحة وموسعة، 176 ص، مكتبة جاد الكبرى بالفجالة، القاهرة.

35. **الطحلاوي، محمد رجائي جودة** (2008م): سكان الصحراء الشرقية المصرية (المعازة، العبابدة، البشارية). دار الكتب والوثائق القومية المصرية، 180 ص.
36. **الطحلاوي، محمد رجائي جودة** (2009م): ثروة دولة الكنوز في وادي العلاقي. دار الكتب والوثائق القومية المصرية، 250 صفحة، القاهرة.
37. **الطرابيلي، عباس** (2005م): حدود مصر الجنوبية والأمن القومي المصري. جريدة الوفد القاهرية.
38. **الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين** (1894م): زبد كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق Paul Ravaisse، باريس.
39. **عبد الظاهر، محيي الدين** (1961م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور – تحقيق مراد كامل ومحمد على النجار – القاهرة ص 170-172.
40. **عبد العليم، أنور** (1978): الملاحة وعلوم البحار. سلسلة المعرفة، 13، الكويت.
41. **الفتحي، محمد بكير محمد ومدحت محمد جمال** (2008م): مثلث حلايب "الأرض – السكان– التنمية". 245 صفحة، دار المعرفة الجامعية، الخرطوم، السودان.
42. **القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله** (ت 821هـ/1418م): "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، دار الكتب المصرية، 1963م.
43. **كحالة، عمر رضا** (1418هـ/1997م): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة. عدد المجلدات 5، الطبعة الثامنة، ثلاثة أجزاء.
44. **كراتشكوفسكي، إغناطيوس يوليانوفتش** (1961م): الأدب الجغرافي العربي، ترجمـــة صلاح الدين هاشم، ج 1، منشورات الجامعة العربية، القاهرة.
45. **لبيب، صبحي** (1952م): التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطي. مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة.
46. **لبيب، صبحي** (1982م): سياسة مصر التجارية في عصري الأيوبيين والمماليك. المجلة التاريخية المصرية. المجلدان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون 1981-1982، ص 117-145.
47. **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين**: مروج الذهب ومعادن الجوهر. أربعة أجزاء، طبعة بيروت، 1973م.
48. **المقريزي، تقي الدين أحمد**: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الإعراب. تحقيق عبد المجيد عابدين، القاهرة، 1961م.

49. **المقريزي، تقي الدين أحمد:** اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا. ترجمة، تحقيق: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

50. **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت 845هـ/1441م):** "السلوك لمعرفة دول الملوك"، تحقيق محمد علي بيضون، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

51. **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت 845هـ/1441م):** المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية"، جزءان، ط 2، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1408هـ/1987م.

52. **مؤنس، حسين (1987م):** أطلس تاريخ الإسلام. الزهراء للإعلام العربي. الطبعة الأولي، 527 صفحة.

53. **موسي، عبد الله كامل (2004م):** القصير وآثارها الإسلامية. ترجمة وتحقيق، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

54. **النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب:** نهاية الأرب في فنون الأدب. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2004م.

55. **الوزان، الحسن بن محمد، المعروف باسم "ليون الإفريقي":** وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر. الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م.

56. **اليمني، نجم الدين أبي محمد عمارة:** النكت العصريّة في أخبار الوزراء المصرية. تصحيح هرتويغ درنبُرغ، الطبعة الثانية، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

المراجع باللغات الأجنبية

1. **Ambraseys, N. N., Melville, C. P., and Adams, R. D. (1994):** The Seismicity of Egypt, Arabia and the Red Sea. A historical review, Cambridge.
2. **Ashtor, E. (1956)**: The Karimi Merchants. Journal of the Royal Asiatic Society, pp. 45-55.
3. **Bazzana, A., Dalongeville, R., Elisséeff, N., and Sanlaville, P. (1979):**Rapport de la mission exploratoire Soudano-Française en Mer Rouge. Lyon.
4. **Bent, Th. (1896)**: A Visit to the Northern Sudan. The Geographical Journal, Band VIII, July to December.
5. **Bruyere B. (1966):** Fouilles de Clysma-Qolzoum (Suez) 1930 - 1932. Le Caire (Cairo), Imprimerie de l'Institut Français d'Archéologie Orientale, in-4, 126 pp + 36 plates (numbered I-XXXVI) and one folding plan, sewn, orig. printed wrapper. Published as Volume XXVII in the series: "Fouilles de l'Institut Français d'Archéologie Orientale du Caire". Text in French.
6. Cambridge U.L.T-S. B, 40, F.56
7. Cambridge U.L.T- S, Arabic Box`48 (270)
8. Cambridge U.T.L. S. 39, F 480
9. Cambridge U.T.L.-S. New Series, Box 21
10. **Crowfoot, J. W. (1911):** Some Red Sea Ports in the Anglo-Egyptian Sudan. Geographical Journal, Vol. 37, pp. 523–550.
11. **Couyat, M. J. (1911):** Les routes d'Aidhab. Notes pour serbvir à l''histoire du desert Arabique. Bulletin de l'institut français d'archéologie orientale (BIFAO 8), p. 135-143. Institut français d'archéologie orientale – Le Caire.
12. **Elisséeff, N. and el Hakim, A. (1981):** Mission Soudano-Française dans la province the Mer Rouge (Soudan), Lyon.
13. **Fischel, W. J. (1958):** The Spice Trade in Mamluk Egypt: A Contribution to the Economic History of Medieval Islam Journal of the Economic and Social History of the Orient, Vol. 1, No. 2 (Apr. 1958), pp. 157-174.

14. **Floyer, E. A. (1892):** The mines of the Northern Etbai or of Northern Aethiopia. Journal of the Royal Asiatic Society, 1, 811–33.

15. **Gabra, G (1982):** Bemerkungen zu den Aussagen des arabischen Synaxars der Kopten über Nabis, den Bischof von Aidhab. Nubische Studien, Tagungsakten der 5 Internationalen Konferenz der International Society for Nubian Studies. Heidelberg, 22-25 September 1982, Mainz, pp. 231-236.

16. **Gabra, G (2008):** Once More Nabis, Bishop of Aidhab Berenike (by Gertrude van Loon). Christianity and Monasticum in Upper Egypt, Nagh Hammadi. St Mark Foundation Internation Coptic Studies Conference, Naqqada, Egypt.

17. **Garcin, J. C. (1972):** Jean-Leon l'Africain et 'Aydhab. Annales Islamologiques 11, 189–209.

18. **Goitein, S. D. (1960)**; L'etat actuel de la recherche sur les documents de la Geniza du Caire. Revue des etudes juives, Troisieme serie, 1 (CXVIII 1959-1960, pp. 0-27, id.

19. **Goitein, S. D., (1963):** Letters and Documents on the Indie trade in medieval times. Islamic Culture, Vol. 37, pp. 188-2055.

20. **Goitein, S. D., (1967):** A Mediterranean Society: the Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo Geniza, vol. I. Berkeley.

21. **Hassan, Y. F. (1973):** The Arabs and the Sudan. University of Khartoum Press.

22. **Harden, D. B. (1955):** Glass from Sennar and Aidhab, in P. L. Shinnie (ed.), Excavations at Soba, 69–76. Khartoum.

23. **Hinkel, F. W. (1992):** The Archaeological Map of Sudan. VI. The area of the Red Sea coast and northern Ethiopian frontier. Berlin.

24. **Hobson, R. L. (1928):** Chinese porcelain fragments from Aidhab, and some Bashpa inscriptions, Transactions of the Oriental Ceramic Society 1926–27, London, pp. 19–21m, reprinted in KUSH, Journal of the Sudan Antiquities Service, Vol. V, 1957.

25. **Houtsma, M. Th. et al., eds. (1913-38)** The Encyclopædia of Islam: A Dictionary of the Geography, Ethnography and

Biography of the Muhammadan Peoples, 4 vols. and Suppl., Leiden: Late E. J. Brill and London: Luzac.

26. **Insoll, T. T. (1999):** The Archaeology of Islam. Oxford.
27. **Kawatoko, M. (1993):** Preliminary survey of 'Aydhāb and Bādi sites, Kush, Vol. XVI, Journal of the Sudan National Board of Antiquities & Museums, Khartoum, 203–224.
28. **Labib, Subhi (1970):** Egyptian Policy in the Middle Ages in "Studies in the Economic History of the Middle East", ed. M. A. Cook, London.
29. **Labib, Subhi (1970)**: Les marchands Kàrimis eu Orient et sur l'Océan Indien, in M. Mallat (ed.). Sociètès et Companies de Commerce eu Orient et dans l'Océan Indien, Paris
30. **Le Quesne, Charles (2006):** Quseir: An Ottoman and Napoleonic Fortress on the Red Sea Coast o Egypt. The American University in Cairo Press.
31. **Macmicheal, H. A. (1935):** The Coming of Arabs in Sudan. AESW, London.
32. **Murray, G. W. (1926):** Aidhab. Geographical Journal 68, 235–40.
33. **Paul, A. (1955):** Aidhab. A Medieval Red Sea Port. Sudan Notes and Records, 36, 64-70.
34. **Peacock, D. and Peacock, A. (2008):** The Enigma of 'Aydhab: a Medieval Islamic Port on the Red Sea Coast. International Journal of Nautical Archaeology, Vol. 37; No. 1, pages 32-48.
35. **Timothy Insoll (2003):** The Archaeology of Islam in Sub-Saharan Africa. Published by Cambridge University Press. 470 p.
36. **Yajima, H. (1989):** On the Date of Decline of Aydhab. An International Port of Trade on the Red Sea. Journal of East-West Maritime Relations. Vol. 1, Tokyo, pp. 167-197.
37. **Zbigniew, K. (2002):** Ababda Music (photography + MP3 recording, Amsterdam. Internet.

Internet
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AD%D8%B3%D8%A7%D9%85_%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8A%D9%86_%D9%84%D8%A4%D"9%84%D8%A4

http://www.alwarraq.com

http://www.asharqalawsat.com/details.asp?section=55&article=359403&issueno=10007

http://www.syrcata.org/index.php?module=subjects&func=viewpage&pageid=1243

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B1%D9%8A%D9%86%D8%A7%D9%84%D8%AF_%D9%85%D9%86_%D8%B4%D8%A7%D8%AA%D9%8A%D9%88%D9%86

http://wakra.net/ithab.htm

http://www.gamerboba.com/vb/archive/index.php/t-547.html

http://www.al-eman.com/Islamlib/viewchp.asp?BID=174&CID=277

http://www.al-eman.com/islamLib/viewchp.asp?BID=224&CID=41

http://alqarshawy.jeeran.com/archive/2007/2/152526.html

http://swakin.netfirms.com/history.htm

http://www.asharqalawsat.com/leader.asp?section=3&article=20222&issueno=8074

http://alsahra.org/?p=1686

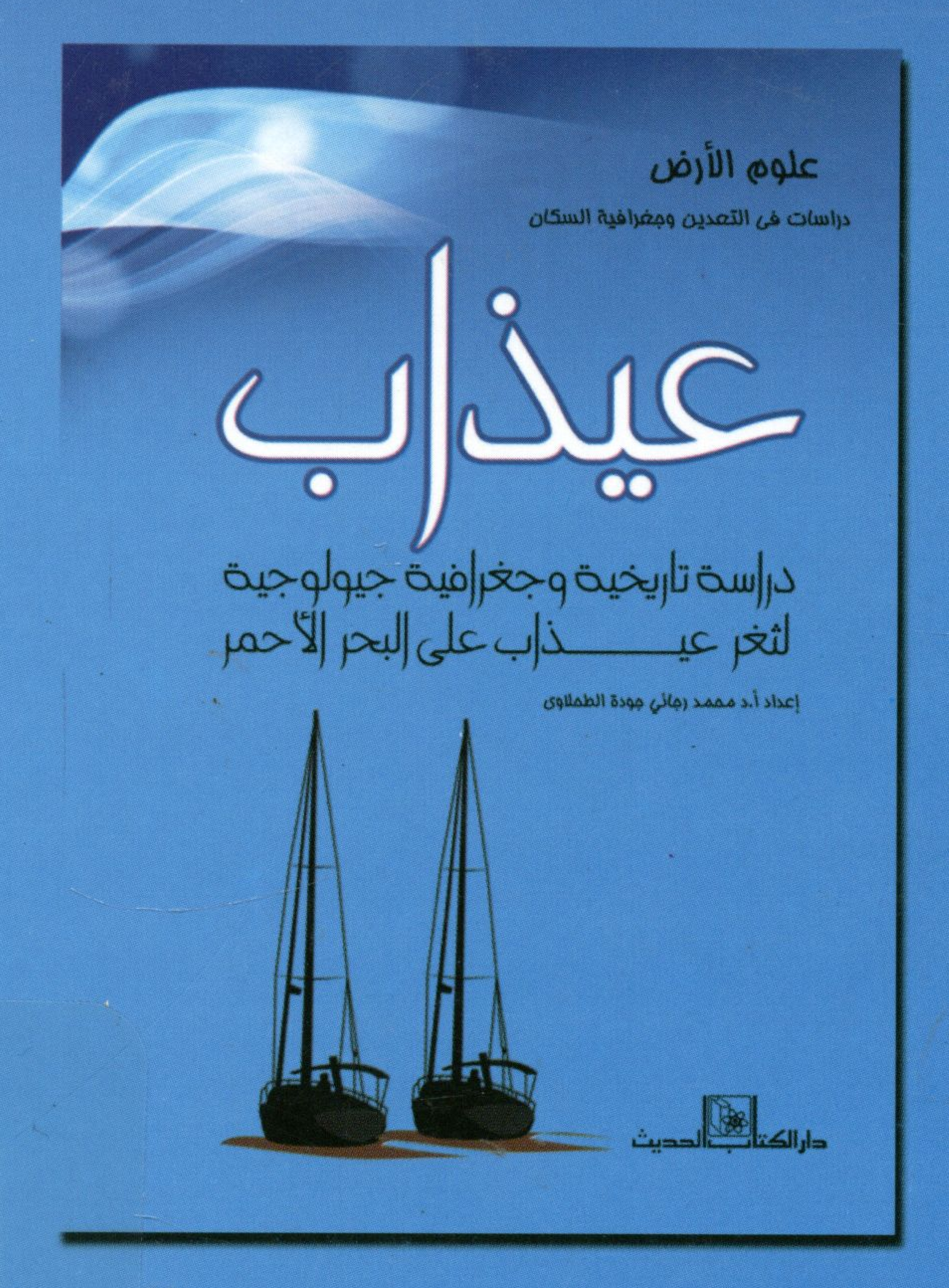
http://www.kassalaland.net/phpbb/viewtopic.php?f=1&t=689&view=next

http://www.postpoems.com/cgi-bin/displaypoem.cgi?pid=519982

http://www.saaid.net/feraq/mthahb/21.htm

http://forum.meshfakeronline.net/index.php?showtopic=60520

المحتـــــــوى


علوم الأرض
دراسات فى التعدين وجغرافية السكان
عيذاب
دراسة تاريخية وجغرافية جيولوجية
لثغر عيـــذاب على البحر الأحمر
إعداد أ.د محمد رجائي جودة الطحلاوي
دار الكتاب الحديث


Bibliotheca Alexandrina
10030431